وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة الجزائر 2
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم التاريخ

العلاقات السياسية العثمانية الصفوية خلال القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر

إعـداد الطـالب:
عبد الحفيظ دحدح

إشـراف الدكتـور:
محـــمد دراج

السنة الدراسية: 2015 / 2016

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة الجزائر 2
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم التاريخ

العلاقات السياسية العثمانية الصفوية خلال القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر

إعـداد الطـالب:
عبد الحفيظ دحدح

إشـراف الدكتـور:
محـــمد دراج

لجنة المُناقشة

- أ.دة/ فلة موساوي – القشاعي ..... رئيسا.
- د/ محمد دراج ..... مُقررا.
- أ.د/ أرزقي شويتام .....عُضوا.
- أ.د/ مختار حساني.....عُضوا.

السنة الدراسية : 2015 / 2016

بسم الله الرحمن الرحيم

شُـــكـــر وتقديـــــــر

بـسم الله و الصلاة و السلام على رسول الله. أحمد الله و أستعينه، و أستـغفره و ما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أُنيب. لا ينكرُ الفضلَ إلا جَاحد، و لا ينساه إلا مُتكبر، ونُكران الفضل وعدم الإقـرار به سـواء لله ﷻ أو للنّاس سلوك مُشين والاعـتراف بالجميل والفضل لا يـنقص من قـدر المرء على الإطـلاق، ولكنه ينمُ عن أصل طيّب، وشخصية ملتزمة، ويـدل على الــحمد والخيـر.

مـنذ أن بدأت بإعداد دراستي هذه، وجدتُ نفسي بين قلوبٍ كريمة أحاطتني برعاية تعجزُ لُغتي عن وصفها، وأوّل من طَوَّقَ عُنقي بفضله، ذلك الرجل الذي يحمل بين جوانحه قلبا كبيرا، ونصيبا وافِـرا من التواضع المُلفت، والتجاوب والروح العالية في التشجيع، والتمكُن المُقنع من كل الأدوات التي يتطلبها البحث التاريخي الجاد، سواء من حيث المعرفة التاريخية أو المنهج العلمي السليم الذي يقود إلى التوظيف المطلوب لها. إنه الدكتور محمد دراج، الذي تابع مختلف مراحل هذا العمل بدقة و مُثابرة، و أحاطني برعاية علمية خاصة اتسمت بالجدية. فكنت أشعر حين أُجالِسُه بمعنى الأبَوة العلمية. فقد كانت لموافقته في الإشراف على هذه الدراسة، وما بذله معي من جهد في تصويب معلوماتها والإرشاد المنهجي، عظيم الأثر في أن ترى النور بهذه الصورة.

وأنـا الذي لا أملك لرد جميله و فضله - عملا بالحديث الشريف (لا يشكُر الله من لا يشكُر النـاس) - إلا إبداء مشاعر الامتنان والعرفان والاعتزاز بشخصه ودعائي أن يحفظه الله ﷻ ويمنّ عليه وعلى أهل بيته بالعافية والعمر المديد. كما يسرني أن أقدم شكري و تقديري لأساتذتي الأفاضل في قسم التاريخ بجامعة الجزائر 2، وكذا إداريي القسم، فبفضل توجيهاتهم ونُصحهم تمكنت من إتمام هذا العمل، والله من وراء كل القصد.

الإهـــــــــــــــداء

أُهـدي هذا العمل إلى من كان سندًا و عونًا لي في مشوار حياتي، و أحاطني بدفء الحنان و الرّعاية... إلى روح والدي الحبيب أحمد رحمة الله عليه، الذي تعـلمت منه أخلاق الوفاء و الصِدق والقناعة ... داعيا الله أن يرحمه، و يجمعـني و إيــاه في مستقر رحمته.

- إلى والدتي الحنون والغالية أطال الله في عمرها.

- إلى رفـيقة دربي، زوجتي، و بناتي : فلسطين، دُعاء و أسماء.

- إلى إخوتي وأخواتي: نوارة، حسينة، خليصة، بركاهم، محمد، عادل وصبرين.

- إلى كل من جمعتني به أيام الدراسة في كل مراحلها، وإلى كل زملائي في العمل.

قائـــــمةُ المُختـــــصرات

المُختصرات العربية

- ت: توفي.
- ج : الجزء.
- ج.م.ع : جمهورية مصر العربية.
- د . م . ن : دون مكان نشر.
- د . ن : دون ناشر.
- د .خ . ش : دون تاريخ نشر.
- د.د.ن: دون دار نشر.
- ط : الطبعة.
- ع : العدد.
- ف : الفصل.
- ك1: الكتاب الأول.
- ك2: الكتاب الثاني.
- م . ل . ع: مُجمع اللغة العربية (مصر).
- مج : المجلد.

المختصرات الأجنبية

Liste des Abréviations

- E. B : Encyclopedia Britannica.
- F.P : First published.
- L :Livre.
- S.D : Sans date.
- S.D.L.E : Sans date et lieu d'édition.
- Vol : Volume.
- D.E: Deuxième édition.
- T : Tome.

مُـــقدمـــــة

إنّ من أهم الوظائف التي تضطلع بها الدراسات التاريخية، هي الإجابة على إشكاليات الحاضر بقضاياه، أزماته، تعقيداته وتقلبات أوضاعه، وتبدل المواقف السياسية إزاء هذه القضايا، والصراعات المدفوعة بأسباب ومُحرّكات تختلف باختلاف الظرف والمكان والزمان، و تفسير الأحداث الحالية وشرحها وتبيان دلالاتها و خلفياتها، ومحاولة توقع مسارها في المستقبل. وهو أمر لا يمكن بأيّ حال أن يتمّ إلا بالاستقصاء و التحرّي في أصول و جذور هذه الأحداث والقضايا والبحث والتفتيش والتنقيب في ظروفها وتفاصيلها ومسبباتها وتقلباتها عبر الزمن.

تعتبر العلاقات بين الجماعات البشرية ظاهرة قديمة، برزت وترسّخت مع ظهورالتجمّعات البشرية، التي اضطرّت بهدف الحفاظ على بقائها، وتأمين حاجاتها إلى التعامل مع غيرها من الجماعات وفق قواعد وأسس تحدد هذه العلاقات وتسير بها إلى تحقيق الأهداف المُتوخاة. ومع مرور الأزمنة تطورت هذه العلاقات و تبدّلت قواعدها و منطلقاتها.

ويبدو أنّ البُعد الديني - في الفترة محل البحث - كان حاضرا في العلاقات والتوترات السياسية، فعلى الجانب المسيحي كان الصراع مريرا بين أتباع الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية في القسطنطينية، والكنيسة الكاثوليكية الغربية في روما. و على الجانب الإسلامي كانت العلاقات بين الدولة العثمانية السُنية والدولة الصفوية الشيعية في حالة من الصراع والصدام، رغم فترات قصيرة من السلم و الهدوء بين الجانبين، وهو واقع عايشته الكثير من الأديان والعقائد قديما و حديثا تمخضت عنه صراعات عنيفة وصدامات مُسلحة، وما تبع ذلك من مجازر دموية.

كانت منطقة الأناضول أو آسيا االصغرى تمثل منطقة صراع على النفوذ بين القوى الكبرى في وقت مُبكّر. إذ أنها شكلت مجالا للصراع بين المسلمين والروم ثم بين السلاجقة و الروم، ثم بين المغول والعثمانيين، و بين العثمانيين والصفويين.

إلا أنه أخذ في هذه المرحلة – محل الدراسة - بُعدا دينيا مذهبيا، مثّل فيه العثمانيون العالم السني بينما مثل الصفويون العالم الشيعي.

إنّ حالة الصراع التي طبعت العلاقات بين الطرف الصفوي و الطرف العثماني ليست سوى امتدادا تاريخيا للخلافات المذهبية الماضية، و محطة لِما تلاها من تبايُنات و اختلافات، وجّهتها الظروف والمتغيرات المحلية و الدولية آنذاك. فقد شهد الطرفان صراعا حادا من أجل الهيمنة و التوسع في مناطق العالم الإسلامي، و استخدم كل طرف منهما الوسائل السياسية و الاقتصادية المختلفة غير أنّ التعبئة المذهبية كانت في مُقدمة تلك الوسائل.هذا على الرغم أن هذه الدولة أو تلك كانت تمثل دائرة سياسية، هي بالأصل مُكونة من القبائل التُركمانية المهاجرة من أواسط آسيا إلى بلاد فارس و الأناضول.

لقد كان للدولة العثمانية خلال هذه الحقبة - بعد أن تحوّلت من إمارة على الحدود البيزنطية إلى قوة إقليمية ثم إلى دولة عالمية - وزنها السياسي على الساحة، ودورها الفاعل و المركزي في العالم الإسلامي، وفي التفاعلات الدولية. وهي دولة تبنّت رسميا مذهب أهل السُنّة، و كان لزاما عليها الذود عن وجودها و كيانها السياسي. وهو ما كان يقتضي منها الدفاع عن المذهب السُني، واحتواء التمدد الشيعي الذي فرضه الصفويون في محيطها، واجتهدوا لتوسيع دائرته. الأمر الذي يُسوّغُ لنا اعتبارها تجسيدا لمرحلة من مراحل الصراع المذهبي في المنطقة.

بالمقابل كانت الدولة الصفوية، منذ ظهورها و تبنيها رسميا للمذهب الشيعي الاثنى عشري، تمثل نموذجا واضحا للدولة المذهبية في العصر الحديث. ومن ثمّ تأتي أهمية الدولتين بإعتبارهما آخر الدول الإسلامية الكبرى التي أعلنت إرتكازها على الشريعة الإسلامية.

لقد كان لنشوء الدولة الصفويّة وتكوّنها أهمية بارزة في تاريخ إيران الحديث

بوجه خاص وتاريخ العالم الإسلامي بوجه عام. فبنشأتها تشكلت الوحدة السياسية والوطنية لإيران في ظل عقيدة دينية واحدة هي المذهب الشيعي الإثني عشري والذي أعلن عن اعتناقه بصورة رسمية - مؤسس الدولة - الشاه إسماعيل الصفوي.

ولـذلـك لا يُمكن اعتبار الدولة الصفوية صورة من التاريخ أو جزءًا منه فحسب، بل هي مصـدر لذلك المصطلحُ الذي يحمل في ذاته العديد من الدلالات الثقافية والاجتماعية، ناهيك عن الدلالات السياسية. حيث لا يمكن الحديث عن الشأن الطائفي في الوسط الإسلامي اليوم بين السنة والشيعة إلا و لهذه الدولة وسياساتها الحضور المُلِح في الخطابات و النقاشات.

طرح الإشكالية

لـقد برز الصراع بين الأناضول وبلاد فارس في وقت مبكر، و كانت الحروب بينهما سجالا على مدى قرون من الزمن. ولا بُدَّ أن هناك محرّكات كثيرةً و متعددة جـرَّت القوى الحاكمة في الإقليمين إلى هذا الصراع وأجّجَته. فهو نِزال تداخلتْ فيه العوامل الإستراتيجية والتجاور الجغرافي، و المنافع التجارية و التباين الديني، وهو وضع جعل من حالة الصراع و المنافسة بين الطرفين أمرا لا مفرَّ منه.

لـم تكُـن الدولة العثمانية و الدولة الصفوية تنتميان إلى نفس المنظومة المذهبيـة، وهـو الأمـر الـذي يُعـطي لموضوع العـلاقات بيـن الدولتـين تميُزا و خصوصيةً، تختـلف عن تلك التي اتسمت بـها العـلاقات بين مختـلف القِـوى التي حكمت الأناضول و بلاد فارس - ناهيك عن القوى الإسلامية التي كانت قائمة في الفترة الزمنية محل الدراسة – خصوصا بعد أن تدرج هذا الخلاف المذهبي القديم ليأخذ بعدا سياسيا وعسكريا، تبنت فيه كل دولة الدين كقاعدة تستند إليها لتبرير صراعها مع الآخر لتحقيق أهداف سياسية في النهاية.

ومن ثمّ فإنّ الإشكالية الرئيسة التي تطرح نفسها هي الإجابة على التساؤل التالي: ما هو واقع العلاقات العثمانية الصفوية خلال القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي، ومسارها وتطورها وخصوصياتها ؟. وهي إشكالية تدفع بالضرورة إلى طرح جملة من القضايا و التساؤلات الفرعية وِفق السياق التالي:

أولا: إن تحوُل إمارة آل عثمان في الأناضول إلى دولة عالمية كبيرة و مؤثرة في العلاقات الدولية، اتسع نفوذها ليشمل أجزاء جغرافية واسعة ومهمة من قارات آسيا و أوربا وإفريقيا، والذي قابله منذ القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي الصُعُود المُلفت للأسرة الصفوية التي استندت إلى قاعدة دينية مبنية على التشيُع يستوجب طرح جملة من الاشكاليات تختصرها التساؤلات التالية: كيف نشأت كل دولة منهما ؟ وما هي أدوار كل مرحلة من مراحل التأسيس ؟.

ثانيا: لم تكن العلاقات العثمانية الصفوية سوى امتداد لخلاف مذهبي سُني شيعي قديم، شهد خلال الفترة الزمنية المُثارة في الموضوع تنوعا في أدواته و أساليبه حيث تراوحَ بين التشدُد والصِّدام العسكري بين الطرفين في فترات معينة و المُهادنة و السلم في فترات أخرى، وفق الظروف المحلية داخل كل دولة منهما. وأيضا تبعًا للواقع السياسي الإقليمي والدولي الذي ميـّزَ هذه الفترة، الأمر الذي يقودنا إلى التساؤل التالي : ما هو واقع و مسار العلاقات بين الطرفين العثماني و الصفوي في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي ؟.

ثالثا: تنوعت الدوافع و الأسس التي تحكمت في العلاقات العثمانية الصفوية كما تعددت آثار هذه العلاقات. فالمتمعن في تلك العوامل يلحظ أنها لا تزال تُحدّد العلاقات السُنية الشيعية حتى يومنا هذا. أمّا انعكاساتها و آثارها فقد مسّت المجال المحلي و الإقليمي و الدولي.

لقد كان لهذه العلاقات دورا أساسيا في توجيه العديد من القضايا التي عرفها

العالم آنذاك، بل لا تزال ملامح الكثير من تلك القضايا ماثلة حتى في عصرنا. فما هي الأسس التي تحكمت في العلاقات العثمانية الصفوية ؟ و ما هي آثار هذه العلاقات على الوضع السياسي المحلي والدولي ؟. وهل كان للعامل المذهبي نصيب ودور في توجيه و إدارة هذه العلاقات ؟. وبسبب طول الفترة الزمنية التي يتناولها البحث، و كثرة الأحداث و المنعطفات التي صاغت العلاقات العثمانية الصفوية، اكتفيت بدراسة العلاقات السياسية بين الدولتين في النّصف الأول من القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي كنموذج لهذه الحالة من الصراع.

دوافع اختيار الموضوع

إنّ انقسام العالم الإسلامي إلى سُني وشيعي بدأت معالمه الأولى منذ أيام حروب علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، ليتطور عبر التاريخ ليبلغ ذروته بالصدام العسكري والسياسي بين الدولتين العثمانية والصفوية. و لقد كان لندرة الدراسات التي تناولت موضوع العلاقات العثمانية الصفوية داخل الجزائر خلال الفترة الزمنية المحددة في الدراسة، دافعا قويا من دوافع اختياري لهذا الموضوع.

فالمُتتبع للتاريخ الإسلامي سيكتشف بأن الصراع السُني الشيعي هو من أهم المحاور الرئيسية التي تحتاج إلى الوقوف على حيثياته بشيء من التفصيل. هذا على الرغم من وجود كتابات تاريخية أشارت إلى هذا الموضوع ضمن سياق أعمال بحثية مختلفة. و في مقدمتها كتاب تاريخ العلاقات العثمانية - الإيرانية (الحرب والسلام بين العثمانيين والصفويين) لصاحبه عبّاس إسماعيل صبّاغ. وهو عبارة عن دراسة عامة للجوانب الجغرافية و الاقتصادية و البشرية للدولتين العثمانية والصفوية.

.مصاعب البحث

لا شـك في أنّ الكـتابة التاريخية الصحيحة لا يمكن ان تَـنْبَـني إلا بالنظر إلى المادة الخام الأولية - من أرشـيف و مصـادر و رسائـل سياسية رسمية و غـيرها - كأحد العناصر الأساسية، والأدوات الحقيقية للبحث العلمي الذي يقود إلى المعرفة التاريخية التي تحمل من المصداقية، ما يجعلها قاعدة لتحقيق الماضي والبناء عليه. ولهذا فإنّ أكبر معضلة واجهتني لإنجاز هذا البحث هو عدم تمكُني من اللغتين الفارسية و التركية. و ترتب على ذلك، تغييب المادة الأرشيفية و المصادر التي تدارست الموضوع بهاتين اللغتين.

الدراسات السابقة

أولا: المصادر

- أحمد بن يوسف القرماني، **أخبار الدول وآثار الأُول في التاريخ**. وهو كتاب تناول تاريخ العديد من الدول والأسر الحاكمة وسِير الأنبياء والممالك الإسلامية. كما تعرّض بالتفصيل لتاريخ الدولة العثمانـية منذ عهد مؤسسها، والسلاطين الذين تعاقبوا على حكمها. وتعرض إلى بعض فصول تاريخ الصفويين بداية من الشيخ جنيد و وقائع الصراع العثماني الصفوي.

- شرف خان شمـس الدين البدليسي، **شرف نامة**. و هو مـؤرخ كـردي، تربّى في البلاط الصفوي إلى أن أصبح ممثلا للأكراد لدى الدولة الصفوية. ثم تحوّل إلى خدمة الدولة العثمانية، فعُيّن حاكما لمنطقة بدليس. أما الكتاب فقد وضعه باللغة الفارسية، وهو في معظمه مُخصص لتاريخ االكُرد السياسي الذي ارتبط بتاريخ القوتين العثمانية و الصفوية. ولـهذا أشار إلى تاريخ الدولتيـن وعلاقاتهما. واتسـم بالتـوازن والحياد تُجاه الدولتين.

ثانيا: الرسائل الجامعية

- نبيل عبد الحي رضوان، **جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس و استرداده في مطلع العصر الحديث**. وقد أفادتني هذه الرسالة في تحديد آثار الصراع الصفوي العثماني على الموقف العثماني من محنة الاندلس.

- طَالِب محيبس حَسَن الوَائلي، **إيران في عهد الشاه إسماعيل الأول**. واستعنت بهذه الرسالة في بعض محظات تاريخ الدولة الصفوية، زيادة على ملحق يبرز التركيبة المذهبية لإيران قبل الصفويين.

ثالثا: المقالات

- باسيام حمزة عباس، **" إيران في عهد الشاه طهماسب الأول الصفوي 1524-1576م "**. وهو مقال ورد في مجلة الخليج العربي، ويتناول الصراع العثماني الصفوي في عهد الشاه طهماسب.

- الشاطر بصيلي عبد الجليل، **" الصراع بين الدولة العثمانية وحكومة البرتغال في المحيط الهندي وشرق إفريقيا و البحر الأحمر "**. ورد في المجلة التاريخية المصرية، وأعانني هذا المقال في تحديد دور التحالفات البرتغالية الصفوية في إضعاف الموقف العثماني في هذه المناطق.

رابعا: المراجع العربية

- محمد سهيل طقوش، **تاريخ الدولة الصفوية في إيران**. و هو يستعرض تاريخ الدولة الصفوية منذ تأسيسها حتى سقوطها.

- وجيه كوثراني، **الفقيه و السلطان**. وهو كتاب ركّز فيه صاحبه على الجانب الديني، و المؤسسات الدينية في الدولتين العثمانية والصفوية، و تأثير الدين وتداخله مع السياسية بشكل كبير في الفترة موضوع الدراسة. وقد استفدت منه في تحليل مدى استعمال كل من العثمانيين والصفويين للدّين كسلاح لتعبئة الأنصار.

خامسا: المراجع الفارسية المُعربة

- نصر الله فلسفي، **إيران وعلاقاتها الخارجية في العصر الصفوي**. وهو مؤرخ إيراني، خصّصَ بداية كتابه لتاريخ الدولة الصفوية منذ أن كانت طريقة صوفية إلى أن تشيَّعت ثم حقّقت مشروع الدولــة، وتعرّض للمذابح التي ارتكبها الشاه إسماعيل الصفوي، وطريقة فرضه للتشيُع في بلاد فارس و تُخومها.

- علي شريعتي، **التشيُع العلوي و التشيُع الصفوي**. وهو كتاب فيه الكثير من الحقائق حول الواقع المذهبي الذي فرضه الصفويون. و فيه حاول التمييز بين التشيُع الذي تبناهُ الصفويون والتشيُع العلوي، كما تضمن الكثير من النقد للطُقوس التي أدخلها الصفويون على المذهب الشيعي.

سادسا: المراجع التركية المُعربة

- ثريا فاروقي، **الدولة العثمانية والعالم المُحيط بها**. وهو عبارة عن دراسة شاملة للظروف السياسية المُحيطة بالدولة العثمانية، وعلاقات الشعوب والإثنيات بها. إلى جانب لمحات عن الوضع التجاري للدولة وحروبها مع الجوار. وقد استعنت بهذا الكتاب في تبيان دور العامل الاقتصادي في تأجيج الصراع بين الطرفين.

- أكمل الدين احسان اوغلي، **الدولة العثمانية تاريخ و حضارة**. وفيه لمحة عن أصول اللغة التركية، و فصول هامة حول الجانب الحضاري بكل صُوره للشعوب التي ألحقتها الدولة العثمانية بسلطتها.

سابعا: المراجع الأجنبية

- Tèophile L'avallee, **L'empire ottoman depuis les temps anciens jusqu'à nos jours.**

وهو كتاب يدرس تاريخ العثمانيين وفتوحاتهم في أوربا و آسيا، ووضع الدولة

العثمانية حتى مطلع النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي.

- Edward Creasy, **History Of The Ottoman Turks.**

ويستعرض فيه صاحبه تاريخ العثمانيين منذ ظهورهم بقيادة أرطغرل حتى بداية عهد السلطان مراد الخامس سنة 1256م هـ / 1840 م.

منهج البحث

- المنهج الوصفي: هو منهج شائع الاستخدام في الدراسات التاريخية يستند إلى تحديد خصائص الظاهرة ووصف طبيعتها، وسيتم توظيفه في سرد الأحداث التاريخية حسب تسلسلها الزمني ومحتويات ومضامين كل فصل من فصول العمل.

- المنهج التحليلي: هو الأداة التي تسمح بدراسة الوقائع والأحداث والعلاقات بمُتغيراتها، وفي هذه الحالة ستكون العلاقات بين الدولة العثمانية و الصفوية محلّ التحليل ضمن الإطار الزمني المحدد في الدراسة.

- المنهج المقارن: إنّ قراءة المصادر والمراجع التي تعرّضت للعلاقات العثمانية الصفوية، تقودُ إلى الوقوف على بعض الاختلافات بين المؤلفين في عرض بعض القضايا التاريخية التي تخُصُ تاريخ الدولتين العثمانية والصفوية وعلاقاتهما، و بالتالي يصبح استخدام هذا المنهج ضروري لعرض مختلف تلك الآراء و المقارنة بينها.

إلى جانب ذلك، التزمتُ في هذا العمل بتعريف المواقع والأماكن و أسماء الأعلام الأساسية، وكتابتها وفق تسمياتها بلغاتها الأصلية. وقد كان للأستاذ المشرف دور هام في ترجمة ما كان منها باللغة التركية إلى العربية. زيادة على ذلك الالتزام باستخدام التاريخين الهجري و الميلادي في جميع مراحل العمل.

خطة البحث

لــلإجابة على الإشكاليات السالفة الذكر، ارتأيتُ تقسيم الموضوع محل البحث إلى مدخل و مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة. ففي المدخل تناولت واقع العلاقات بين القوى السياسية في المنطقة قبيل ظهور الدولة العثمانيـة و الصفويـة، و مُحـرّكات هذه العلاقات. أماّ في المـقدمة فـتعرضت إلى الإطـار العام الذي يندرج ضمنه موضوع البحث، وهو أهمية العلاقات الدولية قديما وحديثا والتغير الكبير الذي طرأ على الضوابط التي تتحكم فيها. انطلاقا من الخلاف السُني - الشيعي من حيث بداياته، وصُولا إلى المرحلة العثمانية الصفوية.

فـرضت ظـروف البحث وطـبيعة الموضوع أن لا تقـتـصر هـذه الـدراسة على السنوات التي ارتبطت بمسار العلاقات العثمانية الصفوية، بل كان لا بُد من العودة إلى الفترة السابقة لها، للتعريف بالدولتين العثمانية والصفوية، واستعراض تاريخهما. لذا كان طبيعيا أن يُغطي الفصل الأول هذه الفترة، وهو فصل يتكون من مبحثين: الأول خاص بنشوء الدولة العثمانية، والثاني خاص بالدولة الصفوية.

أمــا الفصل الثاني فيختص بدراسة واقع العلاقات العثمانية الصفوية خلال الفترة الزمنية المحددة، وهو يتكون من ثلاثة مباحث، كلٌ منها يتعرض إلى فترة محددة من حيث الزمن، وأيضا من حيث طبيعة وسِمة هذه العلاقات بين الدولتين. إذ نجد أن تلك العلاقات كانت تتبدل و تتغير وفق ظروف كل طرف الداخلية ناهيك عن المحيط السياسي السائد في تلك الحقبة التاريخية.

ويــتناول الفصل الثالث الأسس التي حدّدت العلاقات العثمانية الصفوية وانعكاساتها المحلية و الدولية، ودور التـمـذهُب في هذه العـلاقات، و هذا وفـق مبحثين اثنين. أما الخاتمة، فقد تضمنت خُلاصات و استنتاجات على ضوء ما ورد في فصول البحث في جميع مراحله.

لــقد سعيتُ في هذه العمل إلى تقديم ما قَدِرتُ عليه من جُهد، من أجل تقديم رؤية تاريخية للموضوع، تُثري رصيد مكتبتنا، وتَقِر بها عيون أساتذتي، وفي مقدمتهم الأستاذ الكريم محمد دراج، الذي تابع هذا العمـل في كل مراحلـه، بنشاطـه المعهـود و التزامه المشهـود، وإتقـانه المُميز للغة التركية. فكان خير مُعيـن لي في إتمام هذا العمل. وأني لا أملك لرد جميله إلا إبداء مشاعر الامتنان والعرفان ودعائي أن يحفظه الله ﷻ ويمـنّ عليه، وعلى أهل بيـته بالعافية والعمر المديد. كما أني أتقدم بالشكر الجزيل لجامعة الجزائر متمثلة في قسم التاريخ وهيئة التدريس التي كان لها يد كريمة في وصول هذا العمل إلى مُبتغاهُ.

مدخـــــل :

العلاقات السياسية في الأناضول قبل القرن 10 هـ / 16 م

1- الـغـزو المغــولي للعـــالم الإســـلامي.

2- الإمـــارات السلـــجوقية في الأنـاضـــول.

3- الدولة الإيلخانية المغولية في بلاد فارس.

1- الغزو المغولي للعالم الإسلامي.

تعرّض العالم الإسلامي إلى تَـدفُـق موجات بشرية هائلة قدِمت من الشرق قـادها جنكيز خان (Genghis Khan)[1]، والذي كان قد تمَكّن من توحيد قبائل المغول[2] منذ سنة 603 هـ / 1206 م[3]. و تزامنت هذه الموجة المغولية مع حركة نُزوح كبيرة للقبائل التركية من آسيا الوسطى، لتستقر بالقرب من نهر جيحون[4].

لم يُخلّف هذا الزحف البشري الهائل، خسائر بشرية و حضارية، و التسبب في زيـادة الانـهيـار السـياسي للـعـالم الإسـلامي فـحـسب، بل أدى إلى إصـــابة القـوى

---

[1] جنكيز خان : حكم الإمبراطوية المغولية في الفترة (624-599 هـ / 1203-1227 م). ولد عام 562 هـ 1167 م، اسمه الحقيقي تيموجين. حَمَل اسم جنكيز خان - والتي تعني ملك ملوك العالم- بعد توحيده للقبائل المغولية، و تنصيبه ملكا عليها. أنظر: الحافظ الذهبي، **العبر في خَبَر من غَبَرَ** تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، ج 3، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1985 ص 192-193؛ يلماز أوزتونا، **المدخل إلى التاريخ التركي**، ترجمة أرشد الهرمزي، ط 1 الدارالعربية للموسوعات، بيروت، 2005، ص 362؛ عبد السلام عبد العزيز فهمي، **تاريخ الدولة المغولية في إيران**، دار المعارف، القاهرة، د.خ . ش، ص 102.

[2] المغول : قبائل توزعت على المنطقة الواقعة في هضبة منغوليا وسلاسل جبال تيان شان وصحراء جوبي وحول بحيرة بايكال. تعيش على الرعي و الصيد و الغزو، ورغم وحدتها في الأصل، إلا أنها انقسمت إلى قبائل فرعية كثيرة، تحمل كل منها اسما تُعرف به. أنظر : إسماعيل عبد العزيز الخالدي **العالم السلامي والغزو المغولي**، إشراف أحمد محمد العسّال و عبد الستار فتح الله سعيد، ط 1، مكتبة الفلاح، الكويت، 1984، ص20.

[3] دونـالد ولبـر، **إيـران ماضيها و حاضرها**، ترجمة عبد النعيم محمد حسنين، ط 2، دار الكتاب المصري، القـاهرة، 1985، ص 65.

[4] نهر جيحون : ينبع من البحر الرومي، يعرف في الخرائط الحالية باسمه الفارسي سردَرْيار، وكان يُعدُ الحد الفاصل بين الفرس و الترك. وقد سَمَّى العرب الأقاليم الواقعة شماله ببلاد ما وراء النهر. أنظر: الحِمْيَري محمد بن عبد المنعم، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق إحسان عبّاس، ط 2 مكتبة لبنان، بيروت، 1984، ص 185؛ عبد السلام محمد هارون، **مُعجم مُقَيّدات ابن خلكان**، ط 1 مكتبة الخانجي، القاهرة، 1987، ص92؛ البشاري شمس الدين الشامي المقدسي، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، ط 2، مطبعة بريل، ليْدن(هولندا)، 1906، ص 284؛ مجمع اللغة العربية، **المُعجم الكبير**، ج 4، ط 1، دار أخبار اليوم، القاهرة، 2000، ص 721.

الإسلامـية القائـمة آنــذاك - مــمثلة في الدولة الخــوارزميـة[1]، والخـلافة العباسـية التي بلـغت مسـتوى من الضعف، جعلها تعيش أيَامَهَا الأخيرة[2] - بصـدمة كبرى أدت إلى سوء التنظيم وضعف المواجهة[3].

بعد أن نجح جنكيز خان في اجتياز نهر جيحون 624 هـ / 1227 م، استولى على بلاد ما وراء النهر[4]، وعلى أغلب بلاد فارس[5]. وبعد وفاته خلفه العديد من القادة منهم هولاكو (Houlagou) [6]، الذي اندفع من بلاد فارس باتجاه الغرب قاصدا بغداد.

يُمــثل دخـول هولاكـو بغـداد في 656 هـ / 1258 م، حـدثا تاريـخيـا فاصـلا

---

[1] الدولة الخوارزمية (470-617 هـ / 1077- 1220 م): الخوارزميون سلالة تركية مسلمة سُنية. أسس دولتهم نوشتكين، الذي كان حاكما على إقليم خوارزم في ظل السلطة السلجوقية. استغل الخلافات بين الأمراء السلاجقة على الحكم ليستقل عن الدولة العباسية. أنظر: الخالدي، مرجع سابق، ص47.

[2] حسـن أحمد محــمود، **الإســلام في آسيا الوسطى**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1972 ص 83.

[3] فهمي، مرجع سابق، ص 3.

[4] بلاد ما وراء النهر: الاسم الذي أطلقه المسلمون على الأراضي الواقعة وراء نهر جيحون، و الذي كان اسمه قبل ذلك نهر أكسوس. فتح هذه البلاد قتيبة بن مسلم. أشـهر مدنها بخارى و فرغــانة و سمرقند. أنظر: حسيــن محمد نصــار و آخرون، **الموســوعة العربية**، م 1، ط 3، المكتبة العصرية بيروت، 2009، ص 748.

[5] بلاد فارس : كلمة فارس مشتقة من تسمية الموقع الذي شيدت فيه الأُسر المَالِكة الأولى التي حكمت المنطقـة قُصورَهَا، و يسمى بالفارسية پارسا أو فـارس. وقد انسابت هذه الأُسر ذات الأصول الآرية من جنوبي بحر أورال إلى الهضبة الواقعة اسفل بحر قزوين. وأطلقت على موطنها الجديد اسم إيران، وهو يعني موطن الآريين، وهو ذات الاسم الذي أقرّهُ الشاه رضا بهلوي رسميا في سنة 1354هـ / 1935م للجمهورية الإيرانية الإسلامية الحالية. أنظر: الأندلسي أبي القاضي صاعد بن احمد بن صاعد، **طبقـات الأمــم**، تحقيق لويس شيخو اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت 1912 ص 5-6؛ عبد العزيز سليمان نوار، **تاريخ الشـعوب الاسلامية**، دار الفكر العربي، القاهرة د.خ. ش، ص 263؛ الحِمْيَري، مصدر سابق، ص 433؛ ولبـر، مرجع سابق، ص 2.

[6] هولاكو : قائد مغولي، أسس الإمبراطورية الإيلخانية في بلاد فارس، بعد أن قضى على الدولة العباسية، حكـم في الفتــرة (613- 663 هـ/1217- 1265 م). أنظــر: الذهبي، مصدر سابق ص 311- 312؛ نصار و و آخرون ، ص 3537- 3538.

ومهمّا، كانت له تداعياته و أبعاده الإستراتيجية، نتج عنه سقوط الدولة العباسية. لتبدأ بـذلك مرحلة جديـدة في تـاريخ المنطقـة، والـتي اتصـفت بظـهور الدول المغولية في بلاد فارس، والتركية السلـجوقية في الأناضول[1]، والتركية المملوكية في مصــر، إلى جانب المُكـوَن القـديم للمنـطقة مـمثلا في الـدولة البيــزنطية. هذه العنـاصر السـياسية القـديمـة و الجديدة سوف يكون لها الدور الحاسم في رسم و تحديد العلاقات بين هذه القوى، و مسار الصراع من حيث خلفياته وأسبابه وبالتالي مستقبل المنطقة.

2 - الإمارات السلجوقية في الأناضول.

ينتمي السلاجقة إلى قبائل الإيغور(Uygurlar)[2] التركية، موطنهم الأصلي تركستان الشرقية، توزعوا عبر التاريخ في البلاد التي تُعرف اليوم باسم آسيا الوسطى، ثم ارتحلوا منها و استقروا بالقرب من بخارى[3]. وكان أول من أسلم

---

[1] الأنـاضول: يسمى أيضا آسيا الصغرى، يشكل نقطة التقاء آسيا بأوربا، وهو عبارة عن هضبة جبلية عالية تُشكِل الجزء الأكبر من دولة تركيا اليوم، فيها العاصمة أنقرة. أنظـر : محمد شفيق غربال و آخرون ، **الموسوعة العربية الميسرة**، مج 1، ط 1، المكتبة العصرية، بيروت، 2010.، ص 308 و محمد فريد وجدي، **دائرة معارف القرن العشرين**، مج 1، ط 3، دارالمعرفة للطباعة و النشر بيروت، 1971، ص 377.

[2] الإيغور : يُسَمون في اللغة العربية الغز، سُمّوا بذلك من غُزَّى، جمع غازٍ، لأنهم كانوا غُزاة. وهم قبائل تركية تتكون من عشرة فروع، دخلت إلى البلاد الإسلامية في نهاية القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، ومنهم ينحدر السلاجقة. أنظر : أحمد تيمور باشا، **التذكرة التيمورية، مُعجم الفوائد ونوادر المسائل**، تحقيق محمد شوقي أمين، ط 1، دار الكتاب العربي، مصر، 1953، ص 291-292 و القزويني زكرياء بن محمد بن محمود، **آثار البلاد و أخبار العباد**، دار صادر، بيروت، د.خ.ش ص 587؛ الخالدي، مرجع سابق، ص 22.

[3] بخارى : مدينة في خراسان، فُتحت في عهد معاوية بن أبي سفيان، كانت فيها دار الإمارة على جميع خـراسان، تقع اليوم غرب جمهورية أوزباكستان. أنظر : عبد الحكيم عفيفي، **موسوعة 1000 مدينة إسلامية**، ط 1، أوراق شرقية للطباعة والنشر و التوزيع، بيروت، 2000، ص 103؛ الحِمْيَري مصدر سابق، ص ص 82-84 ؛ نصار و آخرون ، مرجع سابق، ص 640.

منهم على المذهب السُني[1]، هو الأمير دُقاق (Duqāq)[2]. وسُموا بالسلاجقة نسبة الى جدهم سلجوق (Selçuk) الذي جمع شمل هذه القبائل ووحدها تحت رايته[3].

هاجرت هذه القبائل سنة 375 هـ / 986 م نحو نهر جيحون، حيث أسّس قائدها سلجوق إمارة واسعة. وبعد وفاتـه، تولى قيـادة هذه القبائل طغرلبك (Ertuğrul Bey) [4] الذي قضى على الدولة الغـزنوية [5]، ثم أعلن بأنه يـريد الحج؛ وأيــضا الحد من نفـوذ الدولـة الفاطمية في مصر[6]. فتوجّه إلى بغداد و دخلها بإذن من الخليفة العباسي سنة 447 هـ / 1055 م[7]. ومع ارتفاع عدد

---

[1]محمد سهيل طقوش، **تاريخ السلاجقة في بلاد الشام**، ط 3، دار النفائس للطباعة و النشر والتوزيع بيروت، 2009، ص 6.

[2] صدرالدين بن الحسن الحسيني، **أخبار الدولة السلجوقية**، تصحيح محمد إقبال، جامعة البنجاب لاهور، 1933، ص 1.

[3] أحمد شلبي، **موسوعة التاريخ الإسلامي و الحضارة الإسلامية**، ج 3، ط 8، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1980، ص 418.

[4] طغرلبك : سلطان سلجوقي، يعتبر المؤسس الحقيقي لدولة السلاجقة. توفي سنة 455 هـ/1063 م. أنظر: ابن الأثير أبو الحسن على، **الكامل في التاريخ**، تصحيح محمد يوسف الدقاق، مج 3، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987، ص 362؛ بن خلكان أبو العباس شمس الدين، **وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان**، تحقيق احسان حقي، مج 5، دار صادر، بيروت، د.خ.ش، ص 63-64؛ قتيبة الشهابي **معجم ألقاب أرباب السلطان في الدول الإسلامية**، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1995، ص 45 و الحِمْيَري، مصدر سابق، ص 303.

[5] الدولة الغزنوية :(582-351هـ / 962-1186 م). ينتسب الغزنويون إلى مدينة غزنة عاصمة دولتهم، و التي تقع اليوم في وسط أفغانستان، مُؤسسها هو محمد أبو اسحاق البتكين. أنظر: عباس اقبال اشتياني، **تاريخ إيران بعد الإسلام**، ترجمة محمد علاء الدين منصور، دار الثقافة للنشر و التوزيع القاهرة، 1989، ص 169؛ أمين ابراهيم شميل، **الوافي في المسألة الشرقية و مُتعلقاتها**، ج 2 مطبعة الأهرام، الاسكندرية، 1879، ص 182؛ نصار و آخرون ، مج 5، مرجع سابق، ص 2331.

[6]بعضُ المؤرخين الذين تناولوا هذه القضية يذكرون بأن الخليفة العباسي القائم بأمر الله هو من طلب المعونة من طغرلبك، و حثّهُ على دخول بغداد لكي يتخلّص من طغيان وزيره أرسلان البساسيري الذي كان يُهين الخليفة و يعامله معاملة سيّئة، ولا يُراعي حُرمته. انظر: الحِمْيَري، مصدر سابق ص ص 405-407.

[7]الحسيني، مصدر سابق، ص 9.

الأتراك السلاجقة، ازداد نفوذهم في مراكز الدولة، ليبدأ بذلك عهد دولتهم[1]. وقد نظر الخليفة العباسي إلى السلاجقة على أنهم خير معين له في مواجهة البويهيين[2] الذين اعلنوا ولاءهم لمذهب الفاطميين[3]، وحوّلوا الخطبة لهم بدلا من العباسيين[4].

مع تصاعد قوة السلاجقة، بدأت حركة توسعاتهم باتجاه الأناضول خصوصا في عهد السلطان السلجوقي ألب أرسلان (Alp Arslan)[5]. وهو الأمر الذي أدى إلى زيادة التَوجُّس البيزنطي، الناتج عن تزايُد نفوذ السلاجقة الجغرافي والسياسي مما أضحى يهدد كيان الدولة البيزنطية[6]؛ و ذلك منذ أن بدأت عمليات التغلغل السلجوقي في الأناضول في عهد طغرلبك[7]. هذا على الرغم من أنَّ علاقة

---

[1] عن ظروف تأسيس دولة السلاجقة وتاريخها. أنظر: ابن الأثير، مصدر سابق، ص 235 وما بعدها.

[2] البويهيون(320 - 448 هـ / 932 - 1056 م) : تأسست دولتهم على يد ثلاثة من أبناء بويه الصيّاد، والذين سيطروا في البداية على بلاد فارس، ثم دخلوا بغداد سنة 334 هـ / 946 م، وصار الخليفة العباسي طوع أمرهم. كما حاول بعض الوزراء من آل بويه إقصاء العباسيين عن الخلافة وتحويلها إلى العلويين. أنظر : اشتياني، مرجع سابق، ص ص 57-67.

[3] للمزيد حول تمذهُب البويهيين وخططهم للقضاء على الخلافة العباسية السُنية. أنظر: شلبي، مرجع سابق، ص 415 و ما بعدها.

[4] عصام الدّين عبد الرّءوف الفقي، **الدول المستقلة في المشرق الإسلامي**، دار الفكر العربي القاهرة، 1999، ص 144؛ ابن الأثير، مصدر سابق، ص 341.

[5] ألب أرسلان:هو محمد بن داود بن ميكائيل بن سلجوق، سلطان سلجوقي، حكم في الفترة (455-465 هـ / 1063- 1073 م). تولى حكم الدولة بعد وفاة طغرلبك. أعتمد ألب أرسلان خلال فترة حكمه على وزيره الحسن قوام الدين أبو علي (نظام الملك) الذي أشتهر ببناء المدارس في البلاد وخصص لها الكثيرمن النفقات. وقد قامت هذه المدارس بدور هام في تاريخ السلاجقة، وأهمها المدارس النظامية في بغداد. وقد قَصَد نظام المُلك بهذه المدارس مُقاومة الدعاية لمذهب الفاطميين الذي كان يتصدرها الأزهر حينها. أنظر: الأصفهاني عماد الدين بن حامد، **تاريخ دولة آل سلجوق**، شركة طبع الكتب العربية، مصر،1900، ص27؛ البعلبكي، مرجع سابق، ص 3391؛ وجدي، مرجع سابق ص 459؛ نصار و آخرون ، مج 7، مرجع سابق، ص 455؛عبد السلام محمد، مرجع سابق، ص 34 الشهابي، مرجع سابق، ص 193.

[6] الفقي، مرجع سابق، ص 147.

[7] أوزتونا، مرجع سابق، ص 29.

الأتراك بالأناضول لم تكن وليدة العهود الإسلامية بل هي سابقة لها. إذ أنهم هاجروا إلى هذه المنطقة واستوطنُوها في فترات متقطعة قبل المرحلة الإسلامية[1]. ففي عام 437 هـ / 1045 م جهز طغرلبك جيشا وسار صوب الأناضول[2]، وفتح العديد من المدن إلى أن وصَلَ الى بحيرة وان (lac de Van) [3].

خلف السلطان ألب أرسلان عمَّهُ طغرلبك في الحكم. وفي عهده نشطت توغلات السلاجقة في الأناضول، مستفيدين من انشغال البيزنطيين بالقلاقل في ممتلكاتهم الأوربية[4]. غير ان الاصطدام الكبير بين القوتين حدث في معركة ملاذكرد (Manzikert) [5] سنة 463 هـ / 1071 م[6]، والتي كان الإمبراطور البيزنطي يخطط من خلالها إلى إخراج الأتراك نهائيا من الأناضول والتوغل في بلاد فارس، و الإجهازعلى دولة السلاجقة[7]. لكن المعركة انتهت بنصر كبير للسلاجقة وأُسْر الإمبراطور البيزنطي[8].

كـان لمعركة مـلاذكرد صدَى كبيرا في كل أرجـاء المنطقة بفـعل النـتائج التي

---

[1] أوزتونا، المرجع السابق، ص 29.

[2] ابن الأثير، مصدر سابق، ص 316.

[3] بحيرة وان : أشهر بحيرات أرمينية، تقع اليوم في شرق تركيا، على الحدود مع إيران. أنظر : كي لسترنج، **بلدان الخلافة الشرقية**، ترجمة بشير فرنسيس و كوركيس عوّاد، ط 2، مؤسسة الرسالة بيروت، 1985، ص 217- 218.

[4] شهدت المقاطعات البيزنطية في هذه الفترة بداية هجمات النورمانيين، سيما في جنوب إيطاليا. أنظر: أوزتونا، ص 300.

[5] ملاذكرد : منطقة تقع شمال بحيرة وَانْ، شهدت المعركة الشهيرة بين السلاجقة والبيزنطيين. وهي اليوم مدينة في شمال شرق تركيا. أنظر: الأصفهاني، مصدر سابق، ص 37- 38؛ ابن الأثير، مصدر سابق، ص 388؛ شفيق غربال و آخرون ، مج 6، مرجع سابق، ص 3207، عفيفي، مرجع سابق ص 441.

[6] أوزتونا، ص 304.

[7] نفسه، ص 304.

[8] الفقي، مرجع سابق، ص 148.

خلفتها على مستوى خارطة الأناضول السياسية. فهي من الأحداث المِفصلية في التاريخ. فقد فتحت الطريق للسلاجقة و لِمن جاء من بعدهم لفتح الأناضول، وأيضا شكلّت بداية للصراع بين الشرق و الغرب باسم الحروب الصليبية على الشرق الإسلامي لدفع خطره. كما أن هذه المعركة حدثت في الوقت الذي أصاب فيه الضعف كل الشرق الإسلامي[1].

كانت الدولة الفاطمية تنحدر بسرعة نحو الفوضى و الضعف، فخسرت كل مـمـتلكاتها في بلاد الشام لصالح الدولة البيزنطية[2]. وفَـقدَ خلفـاء بني العباس مركزهم وهيبتهم، فاندفع البيزنطيون في موجات من الغزو في أراضيهم. لكن ظهور السلاجقة أدى إلى انحسار النفوذ البيزنطي تدريجيًّا عن المنطقة وإنهاك الامـبراطورية و إضعافها، إلى الحدّ الذي جـعلها تعجز في المستقبل عن مواجـهة الإمارات الصغيرة في الأناضول. ولهذا يُعـتبر تاريخ هذه المعركة تاريخا لا يعادله من حيث الأهمية سوى تاريخ فتح القسطنطينية[3].

إن هذا الانتصار شجّع ألب أرسلان على التركيز على إكمال عمليات الفتح. فأمر إبن عمّه الأمير سليمان قوتالمش (Seleyman Kutalmiş)[4] بمواصلتها

---

[1] محمد عبد العظيم أبو النصر، **السلاجقة تاريخهم السياسي و العسكري**، ط 1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية و الاجتماعية، القاهرة، 2001، ص 87؛ محمد عبد العظيم أبو النصر، **السلاجقة تاريخهم السياسي و العسكري**، ط 1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة 2001، ص 87.

[2] محمد عبد الله عنان، **مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام**، ط 5، نشر حسين عنان، د.م.ن، 1997 ص 104.

[3] أوزتونا، مرجع سابق، ص 308.

[4] سليمان قوتالمش: مؤسس دولة سلاجقة الروم، حكمها في الفترة (470 - 479 هـ/ 1077-1086 م)، يُطلق عليه لقب فاتح الأناضول. إستطاع أن يُوحّده ويُخضعه لراية السلاجقة، لكن هذه الوحدة تفككت بعد وفاته. كما أنه بادر منذ بدأ حملاته إلى إسكان آلاف الأتراك سنويا في الأناضول. أنظر : أوزتونا، ص 315.

ففتح وسط الأناضول، وسار غربا حتى وصل إلى ضفاف مضيق البوسفور[1]. وبذلك أصبح السلاجقة بفضل توسعاتهم يُطلون على البحر الأبيض المتوسط و البحر الأسود و بحر إيجه[2].

بعد وفاة ألب أرسلان خلفه ابنه ملكشاه (Melikşah)[3] الذي شهد عهده قيام العديد من الثورات الداخـــلية كان أخطرها وأشــهرها تلك التي قامت بـها فرقة الإسماعيلية[4]. وعلى عادة السلاجقة التي تقضي بتعيين حاكم على كـل إقليم يُطلق عليه لقب شاه- أي ملك[5] - قام السلطان ملكشاه في سنة 470 هـ / 1077 م بإصدار قرار يقضي بتعيين سليمان حاكما على الأناضول[6]. واختار سليمان مدينة نيقية (İznik)[7] عاصمة للأناضول، لتكون أول عاصمة لدولة سلاجقة الرّوم، ثم

---

[1] البوسفـور: هو المضيق الذي يفصل بين آسيا و أوربا، و يربط البحر الأسود ببحر مرمرة. أنظر : ابـراهيم افندي، **مصباح السـاري ونـزهة القاري**،د.د.ن، بيروت، 1272 هـ (1856م)،ص 56. و محمد المعلم و آخرون ، **موسوعة الشروق**، مج 1، مطابع الشروق، القاهرة، 1994، ص 283. و عفيفي مرجع سابق، ص 137.

[2] افندي، ص 56.

[3] ملكشاه : هو محمد بن السلطان ألب أرسلان ابن داود السلجوقي التركي، حكم دولة السلاجقة في الفترة (464 - 484 هـ / 1072 - 1092 م)، كان يُلقّب بالسلطان العادل. أنظر : الذهبي، مصدر سابق، ج 3، ص 350؛ بن خلكان، مصدر سابق، ص 283-284؛ الشهابي، مرجع سابق، ص 32.

[4] الإسماعيلية : فرقة شيعية تنتسب إلى إسماعيل بن جعفر الصادق، جعلت له الإمامة بعد أبيه. من أبرز قـادتها الحسن الصبّاح زعيم الحشاشين، و حمدان قرمط زعيم القرامطة. كما يُطلق على هذه الفرقة اسم الباطنية. قضى هولاكو على هذه الفرقة في طريقه إلى بغداد. أنظر : الشهرستاني أبو الفتح محمد بن عبد الكريم، **الملل و النحل**، تصحيح أحمد فهمي محمد، ج 1، ط 2، دار الكتب العلمية بيروت، 1992، ص 170-171؛ مصطفى عبد الكريم الخطيب، **معجم المصطلحات و الألقاب التاريخية**، ط 1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996، ص 30؛ محمد المعلم و آخرون ، مرجع سابق ص 34؛ شلبي، مرجع سابق، ص 426؛ أحمد تيمور، مرجع سابق، ص 38؛ أمين شميل، مرجع سابق، ص 267-268.

[5] شلبي، مرجع سابق، ص 426.

[6] أوزتونا، مرجع سابق، ص 311 .

[7] نيـقية : مدينـة تركيـة تحمـل الـيوم اسم أزنيـق. أنظر: الحِمْيَري، مصدر سابق، ص 589. و القزويني، مصدر سابق، ص 608؛ نصار و آخرون ، مرجع سابق، ص 3450؛ عفيفي، مرجع سابق، ص 508.

عوضتها قونية (Konya)[1] عشية الحرب الصليبية الأولى[2].

على اثر وفاة ملكشاه، بدأت عوامل الضعف و الانهيار تنال من الدولة السلجوقية بسبب الصراع بين أبنائه، وتفككت إلى إمارات في العراق و الشام و بلاد الروم[3]. و تزامن هذا الانهيار مع بداية الزحف المغولي في موجته الثانية بقيادة هولاكو.

خلف قليج أرسلان (Kılıç Arslan)[4] والده سليمان في حكم الأناضول، في وقت زاد فيه الخطر التركي، فاستنجدت بيزنطة بدول أوربا لتفادي سقوطها ومنع دخول الأتراك إلى أوربا[5]. فتجنّد الأوربيون وبدؤوا حملتهم الصليبية الأولى بحجة أن السلاجقة يُسيئون إلى المسيحيين[6]، وسمحت هذه الحملة للبيزنطيين باستعادة أغلب الأناضول.

---

[1] قونية :من أكبر المدن الإسلامية ببلاد الرّوم، كانت عاصمة إمارة قرمان التركمانية. أنظر : بدر الدين محمد العامري الغَزي الدمشقي، **المطالع البدرية في المنازل الرّومية**، تحقيق المهدي عيد الرواضية، ط 1، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبوظبي، 2004، ص 102؛ عفيفي، مرجع سابق ص 375-376.

[2] محمود محمد الحويري، **تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى**، ط1، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2002، ص 27.

[3] بلاد الرّوم : يُراد بالروم الشعب الروماني، أما جغرافية بلاد الروم فكانت تعني عند المسلمين القسطنطينية و الأناضول؛ أي أقاليم الدولة البيزنطية. وبمرور الوقت تغيرّ هذا المفهوم ليقتصر على آسيا الصغرى، والتي انتقلت الى سلطة المسلمين منذ عهد السلاجقة. انظر : بطرس البُستاني، **دائرة المعارف**، مج 9، د.ن، بيروت، 1876، ص 721؛ القزويني، مصدر سابق، ص 586؛ كي لسترنج مرجع سابق، ص 159.

[4] قليج أرسلان:هو ابن سليمان بن قتلمش، حكم دولة سلاجقة الروم في الفترة ما بين(485 - 501 هـ 1092 - 1107 م). أنظر: الذهبي، مصدر سابق، ص 379؛ البعلبكي، مرجع سابق، مج 5، ص 2579.

[5] أوزتونا، مرجع سابق، ص 322.

[6] محمود شاكر، **التاريخ الإسلامي (العهد العثماني)**، ج 8، ط 4، المكتب الإسلامي، بيروت 2000، ص 46.

في عام 616 هـ / 1219 م تولى حكم السلاجقة في الأناضول السلطان علاء الدّين كيقباد (Alaaddin Keykubad)[1]. وقد سعى هذا السلطان إلى إقامة تحالف مع الأيوبيين حكام مصر لمواجهة الخطر الصليبي و المغولي، وتزوج منهم، إلا أنه فشل في مسعاه، بل إن الأيوبيين أرسلوا حملة عسكرية عام 631 هـ 1234 م لانتزاع مدينة أخلاط[2] من السلاجقة، لكنهم هُزموا[3].

بعد وفاة علاء الدّين، خلفه ابنه السلطان غياث الدين كيخسرو الثاني (Gıyaseddin Keyhüsrev) [4]، في وقت بـدأت فيه طلائع المغـول في اقتـحام الأناضول[5]، مستغلة الصراع الذي كان قائما بين سلاجقة الـروم في الأناضـول والمماليك في مصر[6]. والتـقى الطـرفان السـلجوقي و المـغولي في

---

[1] علاء الدين كيقباد : هو ابن السلطان غياث الدين كَيْخُسْرو بن قلج أرسلان بن سلجوق، حكم دولة سلاجقة الروم في الفترة (616 - 634 هـ / 1220 - 1237 م). أنظـر : ابن عماد شهاب الدين الحنبلي الدمشقي، **شذرات الذهب في أخبار من ذَهَب**، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط و محمود الأرناؤوط، مج 7، ط 1، دارابن كثير، دمشق- بيروت، 1991، ص 563؛ الذهبي، مصدر سابق ص 220.

[2] أخلاط : تقع على الحدود بين بلاد المسلمين و الأرمن. يتكلم أهلها العربية و الفارسية و الأرمينية وبسبب هذا التنوع أطلق عليها اسم أخلاط. أنظر: علوي ناصر خسرو، **سفر نامة**، ترجمة يحيى الخشاب، ط 2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، 1993، ص 50، البشاري، مصدر سابق، ص 377. وأمّا حاليا، فأخلاط مدينة تقع في شرق تركيا قريبا من بحيرة وان. أنظر: البستاني مج 7، ص 437؛ الحويري، مرجع سابق، ص 35.

[3] أوزتونا، مرجع سابق، ص 347- 348.

[4] غياث الدين كيخسرو الثاني: تولى حكم دولة سلاجقة الروم بعد وفاة والده علاء الدين كيقباد، حكم في الفترة (634-643 هـ / 1237-1246 م) . أنظر :

E.B, (*http://www.britannica.com/EBchecked/topic/313674/Kay-Khusraw-II*) , 6 janvier 2013 , 17.00 h.

[5] كارل بروكلمان، **تاريخ الشعوب الإسلامية**، ترجمة نبيه أمين فارس و منير البعلبكي، ط 5، دار العلم للملايين، بيروت، 1968، ص 405.

[6] الحويري، ص 32.

كوسة طـاغ (Kösedağ) [1] بتاريخ 640 هـ / 1243 م، ولم تستـطع قوات السلطان غياث الدين الصمود أمام جحـافل المـغول، فكانت الهزيمة كبيرة و موجعة، وهـرب السلطان إلى مدينة أنقـورة (Ankara) [2]، واحتمى بها.

فقدت دولة سلاجقة الروم استقلالها، وأصبح حكامها يُعيَنون من طرف حكام المغول، بعد أن وقع أغلب الأناضول في قبضتهم، أما ما تبقى منه فخضع لسلطة المماليك. إلى جانب ذلك أدى الاجتياح المغولي إلى زيادة هجرة الأتراك من بلاد فارس وشرق الأناضول نحو الغرب، حيث استقروا في غرب الأناضول بجوار الدولة البيزنطية[3].

بعد هذا الإنكسار، توفي غياث الدين في 643 هـ / 1245 م، و بدأ عصر جديد من الإنحطاط و الضعف. حيث برز الصراع بين أولاده، فتوزعت ولاءاتهم بـين المـغول و الممـاليك. فـقد اسـتنجد أحـد أمـراء السـلاجقة بالسـلطان بيـبرس[4]

---

[1] كوسة طاغ : تسمى أيضا الجبل الأقرع، وهي تقع في ضواحي مدينة ارزينجان شرق تركيا. أنظر: فؤاد عبد المعطي الصيّاد، **المغول في التاريخ**، ج 1، دار النهضة العربية للطباعة و النشر بيروت، 1980، ص 183.

[2] أنقورة : مدينة مشهورة يُقال لها أنكورية، فتحها المسلمون في عهد الرشيد. تقع على تلة بين الجبال. أنظر : القرماني أحمد بن يوسف، **أخبار الدول و آثار الأُول في التاريخ**، دراسة و تحقيق أحمد حطيط و فهمي سعد، مج 3، ط 1، دار عالم الكتب، بيروت، 1992، ص 306. وأما حاليا فهي تقع في الجزء الشمالي الغربي لتركيا، تبعُد بحوالي 200 كلم إلى الجنوب من البحر الأسود، و هي عاصمة الدولة التركية. أنظر: نصار و آخرون ، مج 1، مرجع سابق، ص 486-487؛ وجدي، مرجع سابق ص 741؛ عفيفي، مرجع سابق، ص 70. وأيضا:

E.B, (http://www.britannica.com/EBchecked/topic/25974/Ankara) , 15 janvier 2013 17.00 h.

[3] الصيّاد، مرجع سابق، ص 183.

[4] بيبرس : هو الظاهر ركن الديّن أبو الفتوح بَيْبَرس التركي البُندُقْداري، سلطان مصر و الشام ورابع سلاطين المماليك البحرية، قاد الجيش المملوكي بأمر من السلطان قُطُز في معركة عين جالوت التي هزَمَ فيها المغول، حكم الدولة المملوكية في الفترة (611 - 676 هـ / 1215 - 1277م) و حَمَلَ لقب الملك الظاهر. أنظر: منير البعلبكي، **معجم أعلام المورد**، ط 1، دار العلم للملايين بيروت، 1992، ص 278؛ ابن عماد، مصدر سابق، ص 610 - 611؛ بـروكلمان، مرجع سابق ص 365؛ أحمد تـيمور، مرجـع سابق، ص 88؛ الشهابي، مرجع سابق، ص 134.

الذي سار صوب الأناضول وتوغل فيه، واستولى على الكثير من مدنه، وبعد تراجعه، قـام المغول بمعاقبة الأمراء السلاجقة لتعاونهم مع المماليك[1].

إن من أهم ما خلّفته هذه الأحداث التي كان الأناضول مسرحاً لها، هو بداية مرحلة جديدة أخرى في تغليب العنصر التركي في المنطقة، بفعل الهجرات المتعاقبة على الأناضول. وأيضا ظهور الإمارات التركية المستقلة وكانت هذه الحركة مصحوبة دائما بالشيوخ والعلماء، ممّا أضفى على الإحتكاك بالبيزنطيين طابع الجهاد الديني[2].

3 - الدولة الإيلخانية المغولية في بلاد فارس.

الإيلخانيون سلالة مغولية، حكمت بلاد فارس والعراق وأجزاء من الشام وشرق الأناضول. كان مقر حكمهم تبريز (Tabrīz)[3] حتى سنة 707 هـ 1307 م[4]. وكلمة ايلخان في اللغة التركية تعني إيل أي التابع، و خان و تعني الملك، وهو لقب يدل على أن الدولة الايلخانية ظلت منذ تأسيسها جزءا من إمبراطورية المغول التي يقودها الخاقان؛ أي الخان العظيم[5].

---

(1) بروكلمان، مرجع سابق، ص 405-406.

(2) زبيدة عطا، **بلاد الترك في العصور الوسطى**، دار الفكر العربي، الكويت، د.خ.ش، ص 146.

(3) تبـريز: تقـع في إقليم أذربيجـان الذي يُسمى بالفارسيـة أزربيجان. أنظر: كي لسترنج، مرجع سابق، ص ص 193- 196. و أمّا حاليا فتبريز مدينة في إيران، تقع شرق إقليم أزربيجان الإيراني. أنظر : م.ل.ع، ج 3، مرجع سابق، ص 25؛ عبد السلام محمد، مرجع سابق، ص 63. و أيضا:
E.B , (http://www.britannica.com/EBchecked/topic/579865/Tabriz) , 22 janvier 2013 2.00 h.

(4) أوزتونا، مرجع سابق، ص 369.

(5) ولـبـر، مرجع سابق، ص 69. وَرَدَ تعـريف إيلخـان في معجم المصطلحات كالتالي: لفظ فارسي-تركي، فكلمة خان تعني الملك و الأمير و الحاكم، و كلمة إيل تعني الخَلْق و العالم و القبيلة و العشيرة، ليكون المعنى العام للكلمة هو رئيس القبيلة أو العشيرة، اتخذه ملوك بلاد فارس المغول لقبا لهم. أنظر: مصطفى الخطيب، مرجع سابق، ص 59؛ أحمد تيمور، مرجع سابق، ص 63.

بعد هزيمـة المـغول على يد الممـاليك في عين جالوت[1] في سنة 658 هـ 1260 م[2]، استـقر جزء كبيـر منهـم في بـلاد فارس، وكـان أول من حمل لقب ايلـخان هو مؤسس الدولة الإيلخانية هولاكو[3].

خلف هولاكو في الحكم ابنه آباقا خان (Abaka Han) في 690-703 هـ 1291-1303 م[4]، والذي أوفد بعثات إلى ملوك أوربا و البابا عارضًا عليهم إقامة تحالف عسـكري لمـواجهة المـماليك في مصـر. ثم خلفه أخـوه تكـودار الـذي اعتـنق الـدين الإسـلامي على مـذهب أهـل السُنة، وتَسَمّى بأحمد. غير أن حفيده ألجايتو خدابنده (Olcaytu Hudabende) [5] الذي تولى حكم الدولة الايلخانية منذ سنة 709 هـ / 1309 م[6] تحوّل إلى المذهب الشيعي[7] ونقل العاصمة من تبريز إلى مدينة السلطانية[8]. ومنذ عهده أصبح التشيُع مذهبا رسميا في جميع أرجاء الدولة الايلخانية[9].

---

[1] عين جالوت : هي بلدة صغيرة في سهل يقع بين مدينتي بيسان في الشمال و نابلس في الجنوب، من أعمال فلسطين. أنظر : الحموي شهاب الدين أبي عبد الله، **معجم البلدان**، تصحيح و ترتيب محمد أمين الخانجي، مج 4، ط 1، مطبعة السعادة، مصر، 1906؛ راغب السرجاني، **قصة التتار من البداية إلى عين جالوت**، ط 1، مؤسسة اقرأ، القاهرة، 2006، ص 307؛ م.ل.ع، ج 4، مرجع سابق ص 9.

[2] بروكلمان، مرجع سابق، ص 390.

[3] ولبـر، مرجع سابق، ص 66؛ أوزتونا، مرجع سابق، ص 368.

[4] حسين مؤنس، **أطلس تاريخ الإسلام**، ط 1، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1987، ص 242.

[5] ألجايتو خدابنده : هو أحد أحفاد هولاكو، و ثامن ملوك إيلخانية فارس. حكم في الفترة (704-717 هـ / 1304-1317 م)، وتعني كلمة خدابنده بالفارسية عبد الله. انظر : مسعود الخَوَند **الموسوعة التاريخية الجغرافية**، ج 4، دار روّاد النهضة للطباعة و النشر و التوزيع، لبنان، د.خ.ش ص 202؛ ولبـر، مرجع سابق، ص 69؛ فهمي، مرجع سابق، ص 215.

[6] مؤنس، ص242.

[7] بروكلمان، ص 393.

[8] السلطانية : تقع على بعد 105 كلم شمال غرب بحر قزوين، تقع اليوم في غرب إيران، يوجد بها قبر الملك ألجايتو خدابنده. أنظر: البُستاني، مرجع سابق، ص 721؛ الخَوَند، مرجع سابق، ص 202.

[9] كامل مصطفى الشيبي، **الصلة بين التصوف و التشيع (النزعات الصوفية في التشيع)**، ج 2 ط 3، دار الأندلس للطباعة والنشر و التوزيع، بيروت، 1982، ص 74-75.

واجه الايلخانيون القوى السياسية القائمة آنذاك، و في مقدمتها الدولة البيزنطية سعيا منهم للسيطرة على الأناضول للاستفادة من خيراته الطبيعية، وموقعه في زاوية البحار، وأيضا ممراته المائية الحيوية[1]. إلى جانب ذلك كانت الكثير من إمارات الأناضول تخضع لسيطرة الإيلخانيين، حتى أن أورخان غازي (Orhan Gazi)[2] العثماني كان تابعا لهم[3]. وكانت هذه الإمارات خصوصا التابعة للأمراء السلاجقة في كثير من الأوقات تتحالف مع المماليك في مصر للتخلص من نفوذ الايلخانيين.

على الرّغم من التزام الصليبيين جانب الحياد في الصراع المملوكي المغولي في الأناضول، إلا أن السلطان بيبرس رأى وُجُوب استباق أي تحالف مُحتمل بينهما، فعقد تحالفًا مع البيزنطيين ضد العدو المشترك المغولي الصليبي. فالدولة البيزنطية كانت تعاني من تصرفات جيوش الحملات الصليبية المتتالية[4]. ونتيجة لهذا التحالف، أسرع بيبرس إلى التوغُل في الأناضول، لاسترداد الحصون التي كان يستخدمها الصليبيون في الإغارة على مدن الشام التابعة للمماليك[5].

---

(1) أوزتونا، مرجع سابق، ص ص 376 - 292.

(2) أورخان غازي: ثاني سلاطين الدولة العثمانية، حكم في الفترة 724-761 هـ/ 1324- 1360م). شهد عهده بناء مؤسسات الدولة. أنظر: الصفصافي أحمد القطوري **"رجل من صناع التاريخ أورخان غازي "**، مجلة حراء، ع 12، سبتمبر 1988، ص27- 28؛ البعلبكي، مرجع سابق، ص 73؛ Münir Atalar , ***Osmanli PadiŞahlarI*** , S.D.L.E , p 228

(3) أوزتونا، ص 376.

(4) عبد الله سعيد محمد الغامدي، **جهاد المماليك ضد المغول و الصليبيين**، رسالة دكتوراه غير منشورة جامعة أم القرى، 1987، ص 159.

(5) نفسه، ص 159.

بدأت الإمبراطورية الإيلخانية في التفكك بعد وفاة محمد خدابنده عام 736 هـ 1335 م، وكـان ذلـك بمـثابة الفـرصة السانحة للإمارات الأناضوليـة للاستقـلال و فرصة أيضا للمماليك لتوسيع نفوذهم على أجزاء من الأناضول[1].

من خـلال ما تقـدّم في هذا المدخل، يتضح أن الصـراع على النفوذ بين مختلف القـوى السياسية في الأناضول، المدفوع بأسباب تختلف في طبيعتها بين كـل مـرحلة من مراحـل تـاريخ هذه المنطقة، ليس وليد الفـترة العثمانية و الصفوية، بل يمتد إلى عهود تاريخية سابقة لهما. فقد ظـل الأناضول - بعد أن بـرزت أهميته الجغرافية في إشرافه على طرق المواصلات البرية والبـحرية التي تربط بين أوربـا وآسيا و المنافذ البحرية والطرق البرية، وكونه مُلتقى الحضارتين الشرقية و الغربية منذ العصور القديمة[2]، ثمّ بداية استقرار العنصر التركي به واستيطانه له، ثمّ قيام دولة السلاجقة ووصولها إليه، ومُزَاحَمَتِها للقوة البـيزنطية لا سـيما بعد معـركة ملاذكرد، التي أدّت إلى تسريع عملية أسْلـمة و تَـتْريك الأناضول. وهي العملية التي سوف تكتَمل على يـد مجموعات تُركية أخرى - منطقة جذب لأقوام كثيرة، أهمها القبائل التركمانية المختلفة والفُـرس التحقـت بمجموعـة الـدويلات والإمـارات التي كـانت تـتشكل بين الحيـن و الآخر. و ارتفعت أعدادهم مع الغزو المغولي لبلاد فارس و العراق. وهو الغزو الذي أدى إلى انهيار دولة سلاجقة الروم، لتحل محلها قوى أخرى عبارة عن

---

[1] الغامدي، المرجع السابق، ص 211-212.

[2] زيادة على أهمية الأناضول الجغرافية، فهو يملك مُقدرات اقتصادية متنوعة، فعلى مرّ العصور كان من المناطق الزراعية و الرعوية الرئيسية، مكنتهُ من أن يكون من أكبر مراكز إنتاج الحبوب. هذا زيادة على الثروة المعدنية، فيكفي أن نذكر هُنا بأنّ اكتشاف الحديد و استعمالة لأول مرّة في التاريخ تمّ في الأناضول من طرف الحيثيين. أنظر: أوزتونا، مرجع سابق، ص 292.

طوائف متنافرة و متصارعة، بسبب تعـارض مصالحها السياسيـة و الاقتصاديـة. فقد كـان للـتجارة و المال، والأطماع السياسية الدور الأكبر في تحديد وضع العلاقات بين الدول القائمة في المنطقة[1]، لكنها لم تُعمّر طويلا، لتُعَوضها قوة جديدة ناشئة فتـية من أصول تركية، هي القوة العثمانية.

[1] للمزيد حول هذا الموضوع. أنظر: سعيد عبد الفتاح عاشور، **العصر المملوكي في مصر و الشام** ط 2، دار النهضة العربية، القاهرة، 1976، ص 233. لم يكن للعامل المذهبي أي أثر في واقع العلاقات بين القوى السياسية القائمة في المنطقة قبل تأسيس الدولة الصفوية، بل كانت االمصالح السياسية و الاقتصادية الخاصة بكل قوة منها، هي التي تُحدّد و تتحكم في مسار هذه العلاقات. هذا إذا استثنينا حالة الصراع بين القوى الإسلامية التي تعاقبت على حكم الأناضول من جهة، والدولة البيزنطية من الجهة الأخرى. إذ كان الدافع الديني حاضرا بقوة في تأجيج هذا الصراع، سواء على الجانب الإسلامي أو البيزنطي، حيث كانت بيزنطة تستعين على الدوام بالعاطفة الدينية في تحريك القوى الأوربية المسيحية لنجدتها لمواجهة الخطر الإسلامي.

الفـصل الأول

نَشأَة الدولة العُثمانية و الدولة الصّفَوية وتَطَورهِما

المبحث الأول : نشأة الدولة العثمانية و تطورها.

1- تأسيس الدولة العثمانية.

2- تطور الدولة العثمانية.

3- معركة أنقرة وتفكك الدولة العثمانية.

4- إعادة بناء الدولة وصعودها.

المبحث الثاني : نشأة الدولة الصفوية و تطورها.

1- بلاد فارس قبل الصفويين.

2- أصلُ الصفويين.

3- التصوف و التشيع الصفوي.

4- تطور الحركة الصفوية.

5- تأسيس الدولة الصفوية.

يرتبط قيام الدول و انهيارها بصورة عامة، بحضور جملة من العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية . وقد كان لهذه العوامل دورا محوريا في ظهور الإمارات التُركمانية - ومن بينها الإمارة العثمانية - على مسرح الأحداث في الأناضول، مستغلةً الضعف الذي اعترى دولة سلاجقة الروم، نتيجةً لهجمات المغول، ثم بداية تفكك الإدارة الإيلخانية في بلاد فارس وتراخي قبضتها منذ بداية النصف الثاني من القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي. غير أنّ قيام هذه الدول لا تُحدِدُهُ في كل الأحوال العوامل المذكورة فقط. فلقد كان للعامل الديني المذهبي دورا فاق العوامل السابقة من حيث درجة التأثير على الأوضاع القائمة في بلاد فارس، والتي قادت إلى قيام الدولة الصفوية على أساس مذهبي خالص. حيث تمكّن هذا العامل من تجميع الأنصار لتحقيق المشروع السياسي لهذه الدولة.

المبحث الأول : نشأة الدولة العثمانية و تطورها.

بينما كانت دولة سلاجقة الروم آخذة في الاضمحلال بتأثير الظروف الداخلية والخارجية، كانت قوى تركية جديدة تتبلور في الأناضول. ولم تكن بيزنطة من القوة بحيث تحمي حدودها. وهي الظروف التي أفادت منها عشيرة تركية كانت قد انسابت مع أغلبية التُرك الذين وفدوا مع السلاجقة، هي العشيرة العثمانية.

1- تأسيس الدولة العثمانية.

مع ظهور المغول و بداية زحفهم باتجاه الغرب، و ما صاحب ذلك من فزع، ناهيك عن حالة الجذب والقحط الشديدين وكثرة النسل[1]، هاجرت قبيلة تركية إيغورية من مدينة ماهان شمال غرب بلاد فارس في القرن 7 هـ / 13 م

[1] علي محمد محمد الصلابي، **الدولة العثمانية (عوامل النهوض وأسباب السقوط)**، د.ط، دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع، إسكندرية، 2003، ص 23؛ الشيبي، الصلة بين التصوف والتشيع، ج 2 مرجع سابق، ص 328.

واستقرت في مدينة أخلاط. وعندما اقترب المغول من أخلاط، تحولت القبيلة إلى أذربيجان (Azerbaycan)[1] تحت قيادة أرطغرل (Ertugrul)[2].ثم توجهت القبيلة نحو أرزروم(Erzurum)[3]. وخلال مسِيرِهَا وجدت جيشين يتقاتلان - حدث ذلك في سنة 629 هـ/1232 م - فأنجدت جيش علاء الدين كيقباد. وليُجازيها على صنيعها معه أقطعها أراضي للاستقرار فيها[4] وأصبح يعتمد عليها في حروبه. وبعد وفاة أرطغرل في سنة 687 هـ / 1288 م خلفه ابنه عثمان غازي (Osman Gazi)[5] في قيادة القبيلة[6].

---

[1] أذربيجان: ناحية واسعة ومملكة متسعة ، بها نهر الرس ، عامرة بالمدن وكثيرة الجبال، أكبر مدينة فيها هي أردبيل، تليها المراغة، وتوجد فيها مدن صغيرة منها تبريز. أنظر: القرماني، مصدر سابق، ص 297؛ الاصطخري، **المسالك و الممالك** ، ص 77؛ نصار و آخرون ، مج 1، مرجع سابق، ص 209 و الحميري، مصدر سابق، ص 20؛ محمد وجدي، مرجع سابق، ص 131. و للإطلاع على خريطة قديمة لأذربيجان. أنظر:ابن حوقل أبو القاسم النّصيْبي، **صورة الأرض**، ج 1-2 ط 2، دار صادر، بيروت، 1938، ص 332.

[2]أرطغرل : هو أرطغرل بن كندر ألب بن قايا ألب بن كوك ألب بن صارقوق ألب بن قابي ألب رئيس عشيرة تركية، والد عثمان مؤسس الدولة العثمانية. أنظر : نصار و آخرون ، مرجع سابق ص 233؛ يلماز اوزتونا، **تاريخ الدولة العثمانية**، ترجمة عدنان محمود، مراجعة و تنقيح محمود الأنصاري، مج 1، مؤسسة فيصل للتموين، استامبول، 1988.، ص 83 . وللمزيد حول تفصيل نسب أرطغرل. انظر : منجم باشي أحمد بن لطف الله، **جامع الدول**، تحقيق احمد اغيراقجة، د.ط انسان باينلرى، استنبول، د.خ.ش، ص 8.

[3]أرزروم (أرضروم): من بلاد أرمينية ، أهلها أرمن. أمّا حاليا فهي مدينة في شرق تركيا كانت مركزا تجاريا و عسكريا منذ القديم، ونقطة تواصل بين الأناضول و بلاد فارس، ولا تزال حتى اليوم محطة هامة تربط بين أنقرة و إيران. أنظر : ابن بطوطة أبو عبد الله ابن محمّد اللاّواتي **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، ج 1، ط 1، المطبعة الخيرية، د.م.ن، 1322 هـ (1986 م)، ص 225؛ محمد وجدي، ص 197؛ الحموي ، مصدر سابق، م 1، ص 145-146. وغربال و آخرون ، ص 233؛ نصار و آخرون ، مج 1، مرجع سابق، ص 233؛ عفيفي، مرجع سابق ص 42.

[4] شرف خان البدليسي، **شرفنامة**، ترجمة محمد علي عوني، ج2، ط2، دار الزمان، بيروت 2006 ص 18.

[5]عثمان : حكم الدولة العثمانية في الفترة (698- 724 هـ/1299 - 1324 م). أنظر :
Münir Atalar , op.cit , p 426.

[6]إبراهيم بك حليم، **تاريخ الدولة العثمانية العلية (التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية)**، ط 1 مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1988، ص 31 .

غداة معركة كوسه طاغ، عرفت بلاد الأناضول فراغا سياسيا نتيجة الإرهاق الذي لحق بدولة سلاجقة الرّوم بعد أن أضحت تحت السيادة المغولية. وأمّا الدولة البيزنطية، فزيادة على التدهور والضعف الذي آلت إليه جرّاء المؤامرات و الدسائس الداخلية، فقد ركزت اهتمامها و مجهودها في البلقان وما وراءه في صراعها ضد الكنيسة المسيحية الكاثوليكية[1]. ومن هنا كانت الظروف مهيأة لظهور دولة جديدة قوية تملأ هذا الفراغ السياسي في الأناضول.

كان للمشايخ و الدراويش[2] الدور الحاسم و الفاعل في التحريض على الجهاد ضد الدولة البيزنطية[3]، إضافة إلى الدور الديني و الاجتماعي الذي قامت بها الأخيات[4]. ويحدد مؤلفا كتاب الدولة العثمانية المجهولة عوامل نجاح العثمانيين في بناء دولتهم في ثُلاثية : الجامع والتكية و المدرسة الدينية يُضاف إليها الطرق الصوفية و الأمراء العثمانيين الأكفاء [5]، وفي مقدمتهم مؤسس الدولة السلطان عثمان الذي التزم في بداية حكمه بسياسة والده أرطغرل في موالاة السلاجقة وخدمتهم في مواجهة البيزنطيين، والتوسع على حسابهم، وقد بدأت غزواته الحقيقة لأراضي الدولة البيزنطية عام 699 هـ / 1300 م. هذه

---

[1] للمزيد حول الصراع المذهبي بين الكنيستين الكاثوليكية و الإرذوذكسية. يراجع: حسنين محمد ربيع **دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية**، د.ط، دارالنهضة العربية، القاهرة، 1983، ص 102 وما بعدها.

[2] الدراويش: جمع درويش، وهي كلمة فارسية تعني الفقير المُتجوّل. أنظر: محمد وجدي، مرجع سابق ص 29.

[3] شاكر، مرجع سابق، ص 41؛ الحويري، مرجع سابق، ص 33.

[4] للمزيد حول تنظيم الأخيات ودورها. انظر : ابن بطوطة، مصدر سابق، ص ص 214-251.

[5] أحمد آق كوندز و سعيد أوزتورك، **الدولة العثمانية المجهولة (303 سؤال وجواب توضح حقائق غائبة عن الدولة العثمانية)**، د.ط، وقف البحوث العثمانية، اسطامبول، 2008، ص 55.

الغزوات حوّلت أتباعه من حياة البداوة إلى حياة الاستقرار[1].

بعد هزيمة سلاجقة الروم أمام المغول، لم تعُد هناك سلطة يأتمر بها عثمان، ورفض الكثير من التركمان الخضوع لسلطة المغول، فاجتمعوا حول عثمان[2] الذي اتخذ لنفسه راية، هي راية تركيا اليوم، وضرب العملة باسمه ولقّب نفسه باديشاه آل عثمان[3]. ثم خَيَّر أمراء المدن البيزنطية في الأناضول بين الإسلام أو دفع الجزية أو الحرب. الأمر الذي دفع هؤلاء الأمراء إلى طلب النجدة من المغول، فجهزعثمان جيشا قاده ابنه أورخان، واستطاع هزيمة المغول. ثم فتح مدينة بروسة (Bursa)[4] في 725 هـ / 1325 م، وبعد وفاة عثمان في 724 هـ / 1324 م خلفه إبنه أورخان [5].

2- تطور الدولة العثمانية.

رغم أن علاء الدين كان أكبر أولاد عثمان، إلا انه لم ينازع أخاه أورخان على الحكم،وفضّل أن يكون مُعينا لأخيه[6]، فكان أول وزير في الدولة العثمانية[7].

---

[1] Stanford J. Shaw, ***History of the ottoman empire and modern turkey*** vol 2, f.p , Cambridge University Press, New York, 1977, p 13-14 .

[2] منجم باشي، مصدر سابق، ص 24.

[3] Tèophile L'avallee, ***L'empire ottoman depuis les temps anciens jusqu'à nos jours***, Garnier frères, librairie éditeurs , paris, 1855, p 150 .

[4] بروسة : تسمى عند العثمانيين بورسة، فتحها السلطان أورخان وجعلها عاصمة دولته، وأصبحت مركزا لقيادة حملات الغزو والفتح. أنظر: عبد العزيز محمد الشنّاوي، **الدولة العثمانية دولة اسلامية مُفترى عليها**، ج 1، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1980، ص 42؛ الغزي الدمشقي، مصدر سابق، ص 134؛ كي لسترنج، مرجع سابق، ص 189؛ نصّار و آخرون ، مج 2، مرجع سابق، ص 817 . أمّا حاليا فهي تقع شمال غرب دولة تركيا .أنظر :عفيفي، مرجع سابق، ص 108. و أيضا: E.B, (http://www.britannica.com/EBchecked/topic/85842/Bursa),01 février 2013, 15 h.

[5] الصفصافي القطوري، مرجع سابق، ص27.

[6] Tèophiile L'avallee, op.cit, p 150 .

[7] حضرة عزتلو يوسف بك آصاف، **تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن**، تقديم محمد زينهم محمد عزب، ط 1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1995، ص 34.

في فترات حكمه الأولى، عمل أورخان على توطيد حدود الدولة التي ورثها عن والده ضد إمارات الأناضول. فقد **" كانت جزيرة الاناضول منقسمة بين ملوك الطوائف الذين قاموا بعد انقراض الدولة السلجوقية "**[1]، كما اهتم أورخان بالمشاريع الإصلاحية والعمرانية، و نظم شؤون الإدارة وبنى المساجد و أنشأ المعاهد العلمية وأشرف عليها خيرة العلماء،وكانوا يحظون بقدر كبير من الاحترام في الدولة، وكانت كل قرية بها كلياتها، وضرب العملة و وضع عليها عبارة **" أورخان إبن عثمان "** [2].

قام السلطان أورخان بنقل كرسي الحكومة إلى بروسة وجعلها مركز السلطة ووضع نظاما خاصا بالجيش الذي كان في السابق لا يجتمع أفراده إلا في وقت الحرب [3]. كما أن كل فئة من هذا الجيش كانت تتحزب للقبيلة التي تنتسب إليها [4]، فأشار عليه أحد رجاله بأخذ الشبان من أسرى الحروب وتربيتهم تربية عسكرية وإسلامية، وعندما جمع أورخان عددا من هؤلاء الأسرى، سار بهم إلى الحاج بكتاش(Hacı Bektâş) شيخ الطريقة البكطاشية[5] ليدعو لهم، وعند وصولهم إليه، قام الشيخ وقرّب إليه أحد الجنود الصغار و وضع يده على رأسه

---

[1] الميرالاي اسمعيل سرهنك، **تاريخ الدولة العثمانية**، تقديم ومراجعة حسن الزين، د.ط ، دار الفكر الحديث للطباعة و النشر، بيروت، 1988، ص 14.

[2] Daniel Panzac, ***Histoire économique et sociale de l'Empire ottoman et de la Turquie (1326 …1960)***,Vol 8, Collection Turcica, Peeters, 1995 p 752 .

[3] عزتلو، مرجع سابق، ص 34.

[4] أماني بنت جعفر بن صالح الغازي، **دور الإنكشارية في إضعاف الدولة العثمانية (الجيش الجديد)** ط 1، دار القاهرة، القاهرة، 2007، ص 48.

[5] للمزيد حول الحاج بكطاش والطريقة البكطاشية. أنظر: أحمد آق كوندز و سعيد أوزتورك، مرجع سابق، ص 80 وما بعدها؛ مصطفى الخطيب، مرجع سابق، ص 84؛ أحمد تيمور، مرجع سابق، ص 78؛ نصّار و آخرون ، مج 2، مرجع سابق، ص 731.

وقال مُخاطبا أورخان: **"إن هذا الجيش الذي تبنيه سيكون أبيضا و باهرا مثل النهار، يده ستكون ضاربة وسيفه بتارا وسهمه خارقا، وسيكون منتصرا في الرَّواح و المجيء"**[1]. ثم أطلق الشيخ عليهم اسم يني تشاري (Yeniçeri) أي الجيش الجديد، والذي أصبح يقابله في العربية اسم الجيش الإنكشاري[2].

منذ سنة 744 هـ / 1344 م و حتى وفاته، ركّز أورخان جهوده وكل قِوى الدولة من أجل الحصول على موطئ قدم في الضفة الأوربية لفتح القسطنطينية (Konstantinopel) [3]. ولهذا قام سليمان باشا ابن أورخان في ليلة مظلمة من عام 757 هـ / 1356 م بالعبور على متن زوارق بيزنطية استولى عليها برفقة ستين من الرجال الأشداء إلى الضفة الأوربية، وأخضع مجموعة من المدن البيزنطية في 756 هـ / 1357 م[4] ، و هي مُدن لا تبعد كثيرا عن القسطنطينية.

---

(1) A. Lamartine,***Histoire De La Turquie***, vol 2, Librairie Constitutionnel Paris, 1854, p 38-39 .

(2) محمد فريد بك المحامي، **تاريخ الدولة العلية العثمانية**، تحقيق إحسان حقي، ط 1، دار النفائس 1981.، ص 123.

(3) القسطنطينية : مدينة أسسها الإمبراطور قسطنطين الأكبر، ولهذا تُنسبُ إليه. أنظر : محمود مقديش **نُزهة الأنظار في عجائب التواري و الأخبار**، تحقيق علي الزواري و محمد محفوظ، مج 2، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1988، ص ص 19-26؛ الحميري، مصدر سابق، ص 481؛ القزويني مصدر سابق، ص 603؛ القرماني، مصدر سابق، ص 433؛ نصار و زملاؤة، مج 5، مرجع سابق ص2558؛ أحمد تيمور، مرجع سابق، ص 32. و منذ سنة 1930 م أصبحت رسميا تحمل اسم اسلامبول. أنظر: عبد السلام محمد، مرجع سابق، ص 263 – 264؛ عفيفي، مرجع سابق، ص 46 وغربال و آخرون ، مج 1، مرجع سابق، ص 263.

(4) Tèophile L'avallee, op.cit, p 137-138 .

إن أعمال أورخان و إنجازاته، وظهور مؤسسات الدولة في عهده، هو الذي جعله المؤسس الحقيقي للدولة العثمانية[1]. كما كان لفتوحاته في أوربا دورا مفصليا في فتح القسطنطينية في العهود اللاحقة.

في سنة 761 هـ / 1360 م توفي السلطان أورخـان[2]، وخلفه في الحكم ابنه مراد الأول[3]، وبدأ فترة حكمه بفتح مدينة أنقرة بعد أن قام أميرها بتحريض الأمراء في الاناضول على قتال العثمانيين مستغلا فترة انتقال السلطة من السلطان أورخان إلى ابنه مراد[4]. وفي العام الموالي فتح أدرنة (Edirne)[5]، ونقل مقر الحكم من بورسة إليها، لتصبح العاصمة الأولى الحقيقة للإمبراطورية العثمانية[6]. ويبدو ان الكاتب ذكر هذا الأمر، بحكم أن أدرنة كانت العاصمة العثمانية الأولى في أوربا، واستمرت كذلك حتى فتح القسطنطينية التي أصبحت مُحاطة بأملاك الدولة العثمانية ومفصولة عن الإمارات المسيحية في البلقان[7].

---

(1) منجم باشي، مصدر سابق، ص 46؛ آق كوندز و أوزتورك، مرجع سابق، ص 66.

(2) القرماني، مصدر سابق، ص 11- 12.

(3) مراد الأول : سلطان عثماني ، حكم في الفترة (761 -791 هـ / 1360 - 1389 م) . أنظر : البعلبكي، مرجع سابق، ص 421.

(4) المحامي ، مرجع سابق، ص 129.

(5) أدرنة : مدينة عظيمة قريبة من القسطنطينية، كان السلاطين العثمانيون يقضون فيها الشتاء. أنظر : القرماني، ص 307. أمّا حاليا فهي مدينة تركية تقع على الحدود مع اليونان و بلغاريا. اكتسبت استراتيجيتها من كونها الطريق الواصل بين آسيا الصغرى و البلقان. أنظر :القرماني، ص 307. و محمد وجدي، مرجع سابق، ص 118؛ عفيفي، مرجع سابق، ص 35. وأيضا:
E.B,(*http://www.britannica.com/EBchecked/topic/179207/Edirne*), 9 février 2013,17h.

(6) Herbert Adams Gibbons, ***The Foundation Of The Ottoman Empire A History Of The Osmanlis Up To The Death Of Bayezid I (1300-1403)*** Cornell University Library , New York , 1916 , p 125.

(7) المحامي، ص 130.

لقد تسبب هذا الواقع السياسي والعسكري الجديد في البلقان في ظهور مشاعر التوجس و القلق لدى الأمراء الأوربيين، ورغم الصراع المذهبي بين القسطنطينية و روما، فقد اضطر الامبراطور البيزنطي إلى طلب النجدة من البابوية[1] لمواجهة الخطر الإسلامي العثماني. فكتب البابا ألى ملوك أوربا يحثهم على التحالف ضد العثمانيين، فأسرع هؤلاء إلى تلبية دعوته، خصوصا وأنهم هم أيضا أصبحوا قريبين من هذا الخطر القادم من الشرق[2]. و استطاعت الدول المتحالفة أن تحشِدَ جيشاً التقى بالجيش العثماني قرب نهر مارتيزا (Rivière Maritza) [3] عام 764 هـ / 1363 م[4] ، وكان النصر حليف العثمانيين، ونتج عنها خضوع العديد من الأقاليم في البلقان للسلطة العثمانية، واضطرارالإمبراطور البيزنطي إلى عقد معاهدة سلام مع السلطان مراد عام 773 هـ / 1372 م التزم فيها بدفع الجزية، والاعتراف بالسيادة العثمانية وتقديم المساعدة العسكرية عند الحاجة. وهكذا أضحت الامبراطورية البيزنطية مرتبطة عمليا بالدولة العثمانية [5].

وقع الصدام الكبير الآخر مع القوى الأوربية في معركة كوسوفو[6]، فبعد أن أخمد السلطان مراد ثورات الإمارات في الأناضول، وجّه قواته نحو الصّرب الذين

---

[1] Tèophile L'avallee , op.cit, P 142.

[2] شاكر، مرجع سابق ، ص 68.

[3] نهر مارتيزا : هو نهر ينبع من جبال ريلا في مدينة صوفيا البلغارية، ثم يعبر الحدود اليونانية التركية، وصولا إلى أدرنة ليصُب في بحر إيجه. انظر:
E.B,(http://britannica.com/EBchecked/topic/365536/Maritsa-River),13février2013, 23h.

[4] Tèophiile L'avallee , op.cit, P 142 .

[5] نيقولا باربارو، **الفتح الاسلامي للقسطنطينية (يوميات الحصار العثماني 1453)**، ترجمة حاتم عبد الرحمن الطحاوي، ط 1، عين للدراسات والبحوث الانسانية و الاجتماعية، ج.م.ع، 2002، ص 23.

[6] تَرِدُ في المصادر العربية باسم معركة قوصاوه، وأيضا قوصوه. انظر: المطران يوسف الدّبس **تاريخ سورية الدنيوي و الديني (سورية في أيام السلاطين العثمانيين)**، مراجعة مارون رعد إشراف نظير عبود، ج 7، د.ط، د.ن، د.م.ن، د.خ.، ص 18؛ إبراهيم حليم، مرجع سابق ص 43.

نقضوا معاهدة السلام التي كانت قائمة بين الطرفين. والتقى الجيشان في سهل كوسوفو في 791 هـ / 1389 م، ونجح العثمانيون في افتكاك النصر. و حدث أنه عندما كان السلطان مراد يمر بين القتلى قام من بينهم جندي صربي اسمه ميلوك كوبلوفتش وطعن السلطان فأرداه قتيلا[1].

3- معركة أنقرة وتفكك الدولة العثمانية .

خلف السلطان مراد الأول بعد مقتله في معركة كوسوفو السلطان بايزيد الأول[2] في 761 هـ / 1389 م[31]، لُقِّب بالبرق[4]، لخفته و مهارته العسكرية [5]. بدأ عهده بمواجهة الفتن و القلاقل التي كانت تتسبب فيها الإمارات المستقلة في الأناضول،وسعى لتوحيد هذه الإمارات تحت سلطته، وتمكّن من إلحاقها بدولته بين سنتي 780 - 792 هـ / 1379 - 1390 م[6]. **" و بذلك انقرضت جميع الإمارات الصغيرة القائمة ببلاد الأناضول، وصار العلم العثماني يخفق منصورا فوق صروحها"** [7].

بعدما فرِغ السلطان بايزيد من القضاء على ثورات الأناضول، وجّه اهتمامه صوب أوربا، فعقد حلفا مع الصرب[8]، ثم قام بالزحف على بلغاريا سنة

---

[1] منجم باشي، ص 72؛ الدّبس، ص 18.

[2] بايزيد الأول: سلطان عثماني، حكم في الفترة (761 – 804 هـ / 1389- 1402 م). أنظر: البعلبكي، مرجع سابق، ص 94.

[3] Münir Atalar, op.cit, p 431 .

[4] يوصَفُ في مصادر و مراجع عربية أخرى بيلدرم؛ أي الصاعقة. أنظر :إبراهيم حليم، مرجع سابق، ص 46؛ شاكر، مرجع سابق، ص 71.

[5] عزتلو ، مرجع سابق، ص 38.

[6] نيقولا قاتان، **"صعود العثمانيين 1451 – 1512"، في تاريخ الدولة العثمانية**، إشراف روبير مانتران، ترجمة بشير السباعي، ج 1، ف، 2، ط 1، دار الفكر للدراسات و النشر و التوزيع، القاهرة 1993، ص 61- 62.

[7] المحامي، مرجع سابق، ص 137.

[8] عزتلو ، ص 39.

795 هـ / 1393 م[1] لتُصبح إقليما عثمانيا، وهو الأمر الذي أفزع أوربا، خصوصا إمبراطورية المجر والبابوية، واللّتان أطلقتا الدعوة إلى حرب صليبية، انظم اليها ملوك انجلترا واسكتلندا والنمسا وبوهيميا وايطاليا وسويسرا[2]، ودارت معركة طاحنة بين الطرفين في نيكوبوليس(Nicopolis)[3] في سنة 798 هـ/1396 م و انتهت بفوز كبير للعثمانيين، انتشر صداه في العالم الإسلامي وأوربا[4].

بعد هذه المعركة، عاود السلطان بايزيد مُحاصرة القسطنطينية، وكان قريبا من فتحها، إلا أن ظهور تيمورلنك (Timoer Lenk)[5] اضطره إلى رفع الحصار. و توالى التشجيع والتحريض وعرض المساعدات من أوربا لتيمورلنك لضرب الدولة العثمانية[6].

---

(1) Gibbons , op.cit, p 195 .

(2) Mehrdad Kia, ***The Ottoman Empire***, f.p, Greenwood Press, London 2008, p 27.

(3) نيكوبوليس : مدينة تقع شمال غرب اليونان . أنظر :
E.B,(http://britannica.com/EBchecked/topic/414455/Nicopolis-Actia),20 février 2013 17h.

(4) للمزيد حول معركة نيكوبوليس. أنظر: افندي، مصدر سابق، ص 99-100.

(5) تيمورلنك : ولد في قرية خواجة ايلغار، وهي من أعمال الكِس في ماوراء النهرين، قرب سمرقند يتصل نسبه إلى جنكيزخان. أنظر: ابن عرب شاه شهاب الدين أحمد، **عجايب المقدور في اخبار تيمور**، د.ط، كلكته (الهند)، 1882، ص 8؛ محمد بن حسن بن عقيل موسى، **المختار المَصُون من أعلام القرون**، مج 1، ط 1، دار الأندلس الخضراء، جدّة، 1995، ص 379؛ م.ل.ع، ج 3، مرجع سابق، ص 186.

(6) في 795 هـ / 1393 م دخل تيمورلنك بغداد، فهرب حاكمها السلطان أحمد بن أويس و استنجد بالسلطان بايزيد الأول، وطلب تيمورلنك بتسليمه، فردّ السلطان بأن هذا الأمر يُخالف تقاليد الضيافة عند الأتراك، فسيّر تيمورلنك جيشه صوب الأناضول. و في طريقه أرسل إلى المماليك يعرض عليهم التحالف ضد العثمانيين، لكنه أخفق في إقناعهم بمشروعه. أنظر: منجم باشي، ص 84. و ديورانت، ج 5، مرجع سابق، ص 56.

في سنة 804 هـ / 1402 م قام تيمورلنك بحشد قواته في سيناس (Sivas)[1] ووصلته التعزيزات من كامل أرجاء إمبراطوريته[2]، ووصل مدينة انقرة وجيشه مُستريح[3]. واحـتشد العثمانيون في بورسـة، ثم تحركوا باتجاه أنقرة، وعندما وصلوها كان جيشهم مُتعبا ومُنهكا. **" لقد خسروا المعركة قبل أن تبدأ "**[4].

أثنـاء المعـركة، تراجع الأمير سليمان ابن بايـزيد، وعاد إلى بورسـة، كما تخلى عنه الأمراء التركمان و تحولوا إلى صف تيمولنك[5]، ولم يـبق مع السلطان بايزيد سوى خمسة آلاف فارس، ولحقت الهزيمة بالجيش العثماني وأُسر السلطان بايزيد **" قبضا باليد على نحو ميل من مدينة انقرة، واستمر في أسر تيمور إلى أن مات بكربته و قيوده"** [6].

لقد كانت معركة أنقرة أكبر مواجهة عسكرية برية في تاريخ القرون الوسطى نتج عنها تأخير نمو الدولة العثمانية و تجميد فتوحاتها، وأيضا أخَرّت توحيد الأناضول. كما ساعدت في جانب آخر في إطالة عمر الدولة البيزنطية لعقود[7].

بوفاة السلطان بايزيد الثاني في الأسر[1]، تمزقت الدولة العثمانية، وانبعثت إمارات الأناضول، واستردت دول البلقان أراضيها، وبدأت مؤامرات الدول

---

[1] سيناس : تسمى اليوم سيفاس Sivas، مدينة تقع في وسط تركيا. أنظر :
E.B,(http:// britannica.com/EBchecked/topic/546971/Sivas), 24 février 2013, 12 h.

[2] جوزيف داهموس، **سبع معارك فاصلة في العصور الوسطى**، ترجمة محمد فتحي الشاعر، ط 2 الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1992، ص 188.

[3] ابن عرب شاه، مصدر سابق، ص 189.

[4] المرجع السابق، ص 190.

[5] يلماز أوزتونا، **موسوعة تاريخ الإمبراطورية العثمانية السياسي و العسكري و الحضاري**، ترجمة عدنان محمود سلمان و محمود الانصاري، م 1، ط 1، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2010 ص 110.

[6] بن ثغري جمال الدين ابي المحاسن يوسف، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة**، تقديم محمد حسين شمس الدين، ج 12، ط 1، دار الكتب العالمية، بيروت، 1992 ، ص 209.

[7] أوزتونا، ص 111.

المجاورة، ودخل أولاده في صراع على السلطة[2]، فأعلن كُلٌ منهم نفسه سلطانا. و استغل محمد الأول[3] ابن بايزيد تراجع الضغط االمغولي على الاناضول ليبدأ في مرحلة إعادة توحيد الدولة[4].

4 - إعادة بناء الدولة وصعودها.

تولى محمد الأول، والذي حمل لقب جلبي (Çelebi)[5]، مسؤولية إعادة توحيد الدولة واسترجاع الأقاليم التي ردّها تيمورلنك إلى أصحابها بعد معركة أنقرة [6]. وعقب انسحاب المغول، أسس محمد الأول مملكة صغيرة في أماسيا(Amasya)[7] ثم استولى على بورسة وأنقرة[8]. ولكي يقف في وجه هذه العواصف الداخلية التي كانت تهدد الكيان العثماني، قام السلطان محمد الأول بمُهادنة البيزنطيين، فأعاد إليهم بعض أقاليمهم. وواجه ثورة بدرالدين أحد أتباع أخيه موسى وقهره، ثم حارب أخاهُ مصطفى وهزمه[9].

---

(1) أكرَمَ تيمورلنك أسيره السلطان بايزيد وجامله في المعاملة على عكس ما تورده المراجع التي تناولت هذا الموضوع. أنظر : منجم باشي، مصدر سابق، ص 88؛ ديورانت، ج 5، مرجع سابق، ص 58-57.

(2) منجم باشي، ص 91.

(3) محمد الاول : سلطان عثماني، حكم في الفترة (816 - 824 هـ / 1413 - 1421 م). أنظر :
Münir Atalar , op.cit , p 432 .

(4) شاكر، مرجع سابق، ص 75.

(5) سُمي بجلبي لحُسن تصرفه و نشاطه ولباقته وإنسانيته وحبه للعدالة و الحقيقة، ونُبله و استقامته وأيضا لاهتمامه بالأدب و الفن. وهي كلمة تُقابلها في اللغة الإنجليزية كلمة Gentleman. أنظر :
Edward S. Creasy, ***History Of The Ottoman Turks***, f.p, Henry Holt And Company, New York , 1878, p 54.

(6) القرماني، مصدر سابق، ص 22.

(7) أماسيا : عاصمة محافظة أماسيا في شمال تركيا، تقع على نهر ايريس، كانت مركزا للعلم في عهد السلطان بايزيد الاول. أنظر :
E.B,(http://www.britannica.com/EBchecked/topic/18568/Amasya),26 février2013,23h.

(8) Edward. S. Creasy, op.cit, p 54-55 .

(9) المحامي، مرجع سابق، ص 150.

مع استعادة الدولة لحملاتها وفتوحاتها، وتحقيقها لانتصارات مهمة في مواقع مُتعددة، بـدأت تسترجع هيبتها المفقودة، وقد ساعـدت السلطان محمد الأول جملة من العـوامل أدت إلى استرجاع الكيان العثماني لِرُوحه، يمكن تحديدها فيما يلي :

- مُتابعة محمد الاول للفتوحات في البلقان، وتحويله مقر العاصمة من بورسـة إلى أدرنة ، وتعامله بقوة مع حركات التمرد في الأناضول.

- انتهـاجه لسياسة داخلـية مـرنة، قرَّبـته للناس، فكان يـولي اهتماما بالغا لشؤون الرعية خصوصا الفقراء، كما اهتم بالعلم والفنون، وقرّب اليه العلماء.

- أعاد ترتيب مؤسسات الدولة المختلفة وأرجعها إلى سابق عهدها، سعيا منه إلى محو آثار هزيمة أنقرة .

بناء على ما تقدّم، فإن السلطان محمد الأول، يعتبر المُؤسس الثاني للـدولة العثمانية[1]، ويعـود له الفضل في إعادة تثبيت أساساتهـا وقواعدهـا، وإعادة بنائها و توحيدها[2]. بعد وفاته خلفه السلطان مراد الثاني[3].

عند تولي السلطان مراد الثاني شؤون الدولة، كان عليه مواجهة التحديات التي كانت لا تزال تُرهق الدولة منذ معركة انقرة. فبادر إلى عقد معاهدات سلام مع دول أوربا حتى يقف في وجه فتنة عمِّه مصطفى، الذي كان قد احتمى بإمبراطور

---

[1] عبد الفتاح حسن أبو علية، **الدولة العثمانية والوطن العربي الكبير**، د.ط، دار المريخ للنشر،الرياض د.خ.ش، ص 112-113.

[2] Edward S. Creasy , op.cit , p 59 .

[3] مراد الثاني : سلطان عثماني، حكم في الفترة (824- 848هـ / 1421- 1444م)، تخلّى عن العرش، ثم عاد ليحكم في الفترة (850- 855هـ / 1446- 1451م). أنظر: البعلبكي، مرجع سابق ص 421.

بيزنطة منذ عهد والده السلطان محمد الأول. و لقد دعّمت بيزنطة مصطفى[1] وأيدته الكثير من إمارات الأناضول واعترفت به سلطانا شرعيا للدولة.

دخل مصطفى أدرنة في 824 هـ / 1421 م، لكن السلطان مراد الثاني تغلب عليه وأسره وصلبه في أدرنة [2]. ثم واصل السلطان فتوحاته في البلقان، فضم ألبانيا 833 هـ / 1430 م، والعديد من الأقاليم البيزنطية، حتى أصبحت هذه الإمبراطورية لا تملك سوى القسطنطينية وضواحيها.

طلب الإمبراطور البيزنطي يوحنا الثامن(Jean VIII) مُساعدة الغرب المسيحي، عارضا على البابا يوجينوس الرابع (Eugene IV) توحيد الكنيستين الشرقية و الغربية، فحشدت أوربا جيوشها للقيام بحملة صليبية ضد العثمانيين ودارت بين الجانبين معركة طاحنة في نيش (Niš)[3] في 847 هـ/1443 م [4] وكان النصر حليف الجيوش الأوربية، وعاد الخطر ليهدد كيان السلطنة العثمانية .

في ظل هذه المصاعب الجِسام والإنكسار في نيش، ووفاة ابنه علاء الدين اختار السلطان مراد الثاني العزلة، فتنازل عن العرش لابنه محمد البالغ من العمر أربع عشرة سنة[5]، **" وشاع هذا الخبر في الآفاق ، وقال ملوك الكفار بعضهم لبعض : إن ملك المسلمين قد صار شيخا كبيرا فاعتزل عن الملك ، وجعل منصبه**

---

[1] يذكر القرماني بأن هذا الرجل ادّعى بأنه ابن السلطان بايزيد الأول يلدرم، والذي كان قد ضاع إثر معركة أنقرة. أنظر : منجم باشي، ص 126؛ القرماني، مصدر سابق، ص 23.

[2] أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، مرجع سابق، ص 120.

[3] نيش: مدينة تقع في صربيا، على نهر نيسافا Nišava. أنظر :

E.B, (http://www.britannica.com/EBchecked/topic/415944/Nis),28 février 2013, 22h.

[4] Tèophile L'avallee, op.cit, p 166 .

[5] منجم باشي، ص 157؛ البدليسي، مصدر سابق، ص 79؛ المحامي، مرجع سابق، ص 157.

لولده، وهو صبي صغير لا يُخشى منه "[1] . فجنّدت أوربا حملة صليبية، هدفها تصفية الوجود الإسلامي في كامل البلقان، وتقدّم الجيش الأوربي صوب مدينة فارنا (Varna) [2] في 848 هـ / 1444 م.

كان الخطر أكبر من أن يقف في وجهه الأمير محمد، ورفض السلطان مراد العودة إلى الحكم، فكتب محمد إلى والده **" إن كُنا نحن البادشاه، فإننا نأمرك : تعالوا على رأس جيشكم، وإن كنتم أنتم، فتعالوا ودافعوا عن دولتكم "**[3]. فعاد السلطان مراد إلى قيادة الدولة وجهّز جيشا و زحف إلى فـارنا، وفتك بالجيش الأوربي، بعد أن قُتل أغلب قادته، وبفضل هذا النصر سيطرت السلطنة العثمانية على أغلب أرجاء البلقان [4].

لقد تولى السلطان مراد الثاني شؤون الدولة في ظـروف حرجة. ففي الأناضول، كانت الإمـارات لا تـزال تَتَـحَيَن الفرص للـتمرُد. وفي البلقان، كان الأوربيـون لا يتوانون عن تسيـير الحملات تِلو الحملات كلما شعروا بضعف السلطنة. وأثـناء تجهـيزه لحملة أخرى في البلـقان، توفي السلطان مراد الثاني في أدرنة سنة 855 هـ / 1451 م[5]، وخلـفه السلـطان محمـد الثاني[6] الذي لُقـب بأبي الفُتوح.

---

[1] القرماني، مصدر سابق، ص 25.

[2] فـارنا : مدينة بلغارية تقع على البحر الأسود، تعتبر ثالث مدينة من حيث السكان في بلغاريا. أنظـر: E.B,(http://www.britannica.com/EBchecked/topic/623516/Varna), 29 février 2013,20h.

[3] منجم باشي، ص 158-159؛ أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، مرجع سابق، ص 126.

[4] محمد سهيل طقوش، **تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة**، ط 2، دار النفائس، بيروت، 2008، ص 99.

[5] المحامي، مرجع سابق، ص 159.

[6] محمد الثاني: هو السلطان محمد بن مراد بك بن بايزيد بن مراد بن أرخان بن عثمان، صاحب بلاد الروم، ولد في أدرنة، لُقـب بأبي الفُتوح، جعل من قسطنطينة كرسي مملكته بعد فتحه لها، واستقر بها ومن بعده السلاطين، حكم في الفترة (850-848هـ/1444-1446م) و(855-886هـ/1451-

واجه السلطان الجديد في بداية حكمه المشاكل التي دأبت على إحداثها الإمارات التركمانية في الأناضول في فترات انتقال السلطة،وكانت بيزنطة كعادتها تقف وراء هذه القلاقل بالتحريض و المساعدة. كما كانت على الدّوام الدّاعي

و المُحرِّك للحملات الأوربية الصليبية المُتكررة على البلاد العثمانية. ولقد برزت أكثر أهمية عاصمتها القسطنطينية عندما أصبحت البلاد العثمانية مُقسمة إلى شطرين: الشطر الآسيوي و الشطر الأوربي، وكان إدخالها ضمن الممتلكات العثمانية مُرتكزَ استراتيجية السلاطين العثمانيين، لتكون مركز التواصل بين الشطرين[1].

مهّد السلطان محمد الثاني لفتح القسطنطينية[2] بعقد اتفاقيات سلمية مع الامبراطوريات الأوربية المُجاورة، ثم قام ببناء قلعة (روم إيلي حصار) على البوسفور من جهة الشاطئ الأوربي[3]، كما اتخذ ترتيبات عسكرية استهدفت عزل المدينة، ثم بدأ في حصارها البري و البحري.

بعد ثلاثة و خمسين يوما من الحصار والضغط، دخل العثمانيون المدينة في 20 جمادي الأولى 857 هـ / 29 ماي 1453 م، وقُتل إمبراطورها. وجعلها محمد

1481م). أنظر : السخاوي شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، **الضّوء اللّامع لأهل القرن التاسع** ج 10، د.ط، دار الجيل، بيروت، د.خ.ش، ص 47؛ الشوكاني محمد بن علي بن محمد، **البدر الطالع بمحاسن مَنْ بَعْدِ القرن السابع**، تحقيق محمد حسن حلاّق، ج 1، ط 1، دار ابن كثير ، دمشق- بيروت 2006، ص 823؛ Münir Atalar , op.cit , p 433.

[1] برنارد لويس، **استانبول وحضارة الخلافة الاسلامية**، تعريب سيد رضوان علي، ط 2 ، الدار السعودية للنشر و التوزيع، الرياض، 1982، ص 48.

[2] للمزيد حول التفاصيل اليومية للحصار و الفتح. أنظر: باربارو، مصدر سابق، ص 81 ومابعدها.

[3] فهد بن عايش بن محمد الطيار، **فتح القسطنطينية (827هـ - 1453 م)**، ط 1، النادي الأدبي تبوك، 2002، ص 39 .

الفاتح عاصمة دولة آل عثمان[1]، وأطلق عليها اسم استانبول ومعناها دار الإسلام[2].

شاع خبر هذا الفتح في العالم، فاهتزّ كل عرْشٍ في أوربا وانتابها الشعور بالفزع والألم والعجز في مواجهة الخطر الإسلامي العثماني. في حين عمّت الأفراح العالم الإسلامي، و راسل محمد الفاتح الزعماء المسلمين آنذاك ليخبرهم بنصره ويبرز لهم حرصه على الجهاد[3]. ثم واصل السلطان محمد الثاني غزواته بعد فتح القسطنطينية، فغزى العديد من البلاد البلقانية و صيّرهَا دارا للإسلام[4].

إن أهم ما يُمكن ملاحظته حول الفتوحات العثمانية في الأناضول و البلقان، هو السهولة النسبية التي رافقت هذه الفتوحات، والتي حوّلت الإمارة العثمانية إلى إمبراطورية، وهي سهولة تزامنت مع التشرذم السياسي في المنطقة، حيث كانت الأزمات الداخلية في هذه الفترة، تعصف بالإمبراطوريات القائمة، وكان حكامها يعتمدون في مواجهة العثمانيين على المساعدات الخارجية، و تحريك المشاعر الدينية لدى الأوربيين عن طريق الكنيسة في روما. في حين كان للعثمانيين منهجا عسكريا مركزيا منظما [5].

إلى جانب العامل السابق، ارتبط الفتح العثماني منذ بداياته بنهج عقائدي يرتكزعلى سياسة المُرابطة على الثغور، ولذلك كانت إمارات الحدود على تخوم الدولة البيزنطية تستقطب العناصر التي تُؤمن بأن التواجد في الثغور من الأعمال

---

[1] البدليسي، ص 87.

[2] طقوش، مرجع سابق، ص 110-111.

[3] عبد الجليل التميمي، **دراسات في التاريخ العربي العثماني 1453-1918**، ط 1، زغوان، 1994 ص 29.

[4] القرماني، مصدر سابق، ص 32-33.

[5] وديع أبو زيدون، **تاريخ الإمبراطورية العثمانية (من التأسيس إلى السقوط)**، ط 2، الأهلية للنشر و التوزيع، عمّان(الأردن)، 2011، ص 47.

الجـهادية المقدسـة[1]. فقد كانت كل القِيم الاجتماعية مُنسجمة مع المَثَل الأعلى للغزو[2]. إذ **" من المُؤكد أنها كانت في أول أمرها تجمُعا دينيا أكثر منها حُكما عائليا"**[3].

لم ترغب هذه المجموعات التركية في الأناضول الاتجاه بغزواتها باتجاه الممالك الإسلامية القائمة حينها، فكان من الطبيعي ان توجه غزواتها نحو الدولة البيزنطية[4] التي فقدت مجدها في هذه الفترة من التاريخ، **" إذ لم تكن هناك حكومة جديرة بالسقوط كالحكومة البيزنطية"**[5].

انتظمت هذه الجماعات في مؤسسات اجتماعية ودينية كالزوايا والأخيات والطرق الصوفية، هذه الأخيرة أضحت قاعدة أساسية يُعتمدُ عليها في تجميع الناس والانتقال إلى المرحلة السياسية من خلال بناء الدولة المركزية. وهو الأمر الذي نقل الإمارة العثمانية **" من ضِعة الشأن إلى ما لم يكن أحد يتوقع لها مثل هذا المصير الباهر الذي قُيّض لها أن تصير إليه "**[6].

في ظل هذا الظرف التاريخي و الزمني، كانت هنـاك حركة دينية ذات طابع تَصَوُفي - في شرق الدولة العثمانية - تنتشر بقوة بين التُرك في الأناضول و مُحيطه

---

[1] حسن الضيقة، **الدولة العثمانية(الثقافة، المجتمع و السلطة)**، ط 1، دار المنتخب العربي، بيروت 1997، ص 57.

[2] المرجع السابق، ص 47.

[3] هاملتون جيب و هارولد بوين، **المجتمع الإسلامي والغرب**، ترجمة عبد المجيد القيسي، ج 1، ط 1 دار المدى للثقافة و النشر، دمشق، 1997، ص 86.

[4] نبيل عبد الحي رضوان، **جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس و استرداده في مطلع العصر الحديث** رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم القرى، 1987، ص 308.

[5] ول وايريْل ديورانت، قصة **الحضارة(الإصلاح الديني)**، ترجمة عبد الحميد يونس، مج 6، ج 2 دار الجيل، بيروت، 1998، ص 34.

[6] إدوار برّوي، **تاريخ الحضارات العام -القرون الوسطى-**، ترجمة يوسف أسعد داغر و فَرِيْدم داغر ط 3، منشورات عويدات، بيروت، 1994، ص 575.

وتجتهد لتكسب الأنصار والأتباع ، لتتحول مع مرور الوقت من مجرّد طريقة دينية تصوفية إلى حركة سياسية تسعى إلى تشكيل دولة على أساس ديني مذهبي.

المبحث الثاني : نشأة الدولة الصفوية وتطورها.

يُعتبر ظهور الصفويين وتشكيلهم لدولتهم حدثا مهما في تاريخ العالم الإسلامي، بعد أن غدت هذه الدولة قطبا جديدا فاعلا في السياسة الدولية بهويتها القومية والمذهبية المتميزة والمؤثرة.

1- بلاد فارس قبل الصفويين.

بدأ الفتح الإسلامي لبلاد فارس في أواخر عهد الخليفة أبي بكر الصديق ﷺ وتواصلت عملية الفتح في عهد خليفته عمر بن الخطاب ﷺ، وفي عهده حقق المسلمون نصرا مبينا على الدولة الساسانية[1] في موقعة نهاوند[2] سنة 21 هـ 641 م، و التي سميت بفتح الفُتوح[3]، وهي المعركة التي قوّضت أركان هذه الدولة. واستكمل الفتح في عهد عثمان بن عفان ﷺ بقتل يزدجرد آخر ملوك الساسانيين 31 هـ / 651 م.

مع سقوط الخلافة العباسية على يد المغول في موجتهم الثانية بقيادة هولاكو في العام 655 هـ / 1258 م، قامت الدولة الإيلخانية في بلاد فارس، وبعد سقوطها ظهرت إمارات مستقلة قائمة على حكم الأُسر، واستمر هذا الصراع حتى بداية

---

(1) الدولة الساسانية : تنتسب إلى ساسان جد أردشير، مؤسس الدولة سنة 226 م، امتد وجودها حتى سنة 19 هـ / 640 م. أنظر: طه ندا، **فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1967، ص 16.

(2) نهاوند: مدينة عظيمة في قبلة همذان. أنظر: الحموي، مصدر سابق، ص 329؛ الحميري مصدر سابق، ص 579-580؛ عبد السلام محمد، مرجع سابق، ص 334-335.

(3) البلاذري أحمد بن يحيى بن جابر، **فتوح البلدان**، تحقيق و تقديم عبد الله أنيس الطباع وعمر انيس الطباع، مؤسسة المعارف للطباعة و النشر، بيروت، 1987، ص 428.

الموجة المغولية الثالثة بقيادة تيمورلنك سنة 798 هـ / 1396 م. ثم ما لبثت الدولة التيمورية أن تفككت بعد وفاة مؤسسها تيمورلنك وانقسمت بين أولاده و أحفاده، فعمّت الفوضى و الصراعات في بلاد فارس. وعجزت هذه المَمَالِك والأُسر عن مواجهة القوة الصفوية الصاعدة[1].

في ظل هذا الصراع و التنافس، برز نفوذ القبيلتين التركمانيتين القرة قوينلو (Karakoyunlular) والآق قوينلو (Akkoyunlular)[2]، و كانت هذه القبائل قد قدِمت إلى المنطقة في العهد السلجوقي. إلا أن أول ذِكْرٍ للآق قوينلو ورد في الحوليات التاريخية البيزنطية في عام 741 هـ / 1340 م، بعد أن هاجموا طرابزون(Trabzon)[3] مِرارا. و تزوج قائدهم أوزون حسن (Uzun Hasan)[4] إحدى أميرات طرابزون، وحذَى حذوهُ الكثير من أبناء هذه القبيلة. وأثناء

---

[1] طه ندا، مرجع سابق، ص 132.

[2] القره قوينلو و الآق قوينلو: قبيلتان من التركُمان، كانت مساكنهم القديمة في بلاد تركستان. فأماّ القره قوينلو (الدولة البارانية = دولة الخروف الأسود). فسُميت كذلك، إما نسبة إلى لون علمها أو خرافها أو إلى الخروف الأسود الذي كان رمزها.وهي قبيلة شيعية على المذهب الإثنى عشري، حكمت مناطق أذربيجان و العراق في الفترة (782- 873 هـ / 1380- 1468 م). و أما الآق قوينلو (الدولة البايندرية = دولة الخروف الأبيض)، فقد سُميت كذلك لأن الرموز المذكورة سابقا كانت باللون الأبيض، وهي قبيلة سُنية، حكمت مناطق ديار بكر و شرقي الأناضول و أذربيجان في الفترة (780- 914 هـ / 1338 - 1580 م). أنظر: محمد سيّار الجميل، **تكوين العرب الحديث**، ط1، دار الشروق عمّان، 1997، ص 70؛ بارتولد تاجيك، **دائرة المعارف الإسلامية**، ترجمة ابراهيم زكي خورشيد و آخرون ، مج 2، ع 6، د.م.ن، 1996، ص 481- 482؛ البُستاني، مج 1، مرجع سابق، ص 119-120؛ طقوش، مرجع سابق، ص 18- 19.

[3] طرابزون: ميناء كانت تُجلب منه السلع الآتية من القسطنطينية إلى بلاد الإسلام في عهد الدولة العباسية، سمّاها المسلمون طُرارَبَنْد. أنظر: كي لسترنج، مرجع سابق، ص 168؛ الحموي، مصدر سابق، ص 37. وأماّ اليوم، فهي عاصمة محافظة ايل طرابزون في الشمال الشرقي لتركيا على الشاطئ الجنوبي الشرقي للبحر الأسود. أنظر :

E.B,(http://www.britannica.com/EBchecked/topic/601397/Trabzon), 27 juillet 2012 15h.

[4] أوزون حسن: يُسمى حسن الطويل لِطول قامته، فكلمة أوزون في التركية تعني طويل القامة. مؤسس دولة التركُمان المعروفة بآق قوينلو (دولة الخروف الأبيض). هزم دولة الخروف الأسود التركمانية وآل إليه حكم العراق و اذربيجان وفارس، وجعل من تبريز عاصمة لدولته عام 872 هـ 1467 م وكل ما كان تحت سلطة الإمارة المهزومة. أنظر : سليمان الدخيل، **الفوز بالمُراد في تاريخ بغداد**

الاجتياح المغولي حاربت القبيلة تحت لوائه في معركة أنقرة، فمنحها تيمورلنك ديار بكر(Diyarbakır) [1] إقطاعاً جَزَاء مَوقِفِهَا.

واجهت هذه القبيلة غريمتها قبيلة القره قوينلو التي كانت تسيطر على الأراضي الواقعة شمال بحيرة وان وشرقها. وبضعف دولة القره قوينلو وفقدانها لأهميتها خضعت لدولة الآق قوينلو، والتي بدورها تداعت منذ 882 هـ / 1477 م وأخذ الضعف يدُبُ في أوصالها بسبب الصراع على السلطة، إلى أن انتهى أمرها على يد الدولة الصفوية[2].

2- أصلُ الصفوييـــن.

من أجل التعرف على أبعاد النفوذ الروحي والمعنوي الذي تمتعت به الأسرة الصفويّة منذ عهد مؤسسها الذي تنتسب إليه الدولة الصفوية، ينبغي معرفة أصول الأسرة التي أخذت اسمها من هذا الشيخ، واستفاد أولاده و أحفاده من ذلك النفوذ وهذا الاسم، فسارت حركتهم إلى النجاح، وتحولت بعدها إلى دولة ومشروع سياسي.

تقديم و تعليق محمد زينهم محمد عزب، ط 1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2003 ص 267-268.
و محمد سهيل طقوش، **تاريخ الدولة الصفوية في إيران 907 - 1148 هـ / 1501- 1736 م** ط 1، دارالنفائس، بيروت، 2009، ص 26؛ بروكلمان، مرجع سابق، ص 437؛ نصار و آخرون ، مج 1، مرجع سابق، ص 517.

[1] ديار بكر: اسمها القديم آمد، تُنسب إلى قبيلة بكر بن وائل العربية، التي وصلت اليها قبل الإسلام وبعده، وتمّ تعريبها بفضل الهجرات العربية خصوصا بعد الفتح الإسلامي. أنظر : ابن أجا محمد بن محمود الحلبي، **العِراك بين المماليك و العثمانيين الأتراك**، تحقيق محمد أحمد دهمان، ط 1 دار الفكر للطباعة والتوزيع، دمشق، د.خ. ش، ص 107؛ الحميري، مصدر سابق، ص ص 3- 5.
و حسين مؤنس، مرجع سابق، ص 127؛ عفيفي، مرجع سابق، ص 243.

[2] طقوش، تاريخ الدولة الصفوية في إيران، مرجع سابق، ص 26-27.

ينـتسب الصفويون[1] إلى الشيخ صفي الدين اسحاق الأردبيـلي[2]، الذي عاش في الفترة (650-735 هـ / 1252- 1334 م)، وهو ينتسب الى أسرة معروفة في مدينة أردبيل (Erdebil)[3]. وقد اشتهر بكونه مؤسس طريقة صوفية عُرفت على اسمه الطريقة الصفوية[4]. وتتمثل أهمية الأردبيلي في تحـويله للطـريقة الصوفيـة من مجرد طـريقة صـوفية، إلى حركة دينيـة، لم يقتصر نفوذها وتأثيرها ضمن حدود بلاد فارس وحسب، بل في نطاق جغرافي واسع من الأناضول، بفعل نشاط الدعاة الصفويين، الذين نجحوا في خلال المراحل اللاحقة في كسب العديد من القبائل التركمانية في تلك الأنحاء. وشكلت هذه القبائل فيما بعد القوة العسكرية التي مكّنت الحركة الدينية من التحوّل إلى المشروع السياسي بتأسيس الدولة الصفوية.

---

[1] للتوسع في شجرة النسب الصفوية. راجع : زَامْبَاوَر، **معجم الأنساب و الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي**، ترجمة زكي محمد حسن بك و حسين أحمد محمود، دار الرائد العربي، بيروت 1980، ص 390- 391.

[2] جعفر السبحاني، **أضواء على عقائد الشيعة الإمامية**، ط 1، مؤسسة الإمام الصادق، قُم (إيران) 1421 هـ (2000م)، ص 96؛ طقوش، ص 35.

[3] أردبيل: مدينة بآذربيجان، بناها أردبيل بن ليطي بن بافث بن نوح، وسميت باسمه. أنظر : القرماني مصدر سابق، ص 299؛ القزويني، مصدر سابق، ص 291. وتقع اليوم في شمال غرب إيران. أنظر: الحميـري، مصدر سـابق، ص 26؛ غـربال و آخرون ، مرجـع سـابق، ص 260؛ البشاري، مصدر سابق، ص 377؛ نصـار و آخرون، مـج 1، مرجع سابق، ص 223؛ عفيفي، مرجع سابق، ص 41.

[4] التصوف: الابتعاد عن كل ملذات الدنيا ومغرياتها، والانقطاع عنها، للوصول إلى درجات الكمال الإيماني و الأخلاقي وتحقيق رضى الله عز وجل. أنظر : الطاهر بونابي، **الحركة الصوفية في المغرب الاوسط خلال القرنين السادس و السابع الهجريين / 12 و 13** الميلاديين، أطروحة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، الجزائر، 2000، ص 34 وما بعدها. وللمزيد حول الموضوع. راجع : ماسينيون ومصطفى عبد الرازق، **دائرة المعارف الاسلامية (التصوف)**، ط 1، دار الكتاب اللبناني بيروت، 1984؛ مصطفى الخطيب، مرجع سابق، ص 106؛ نصار وآخرون، مرجع سابق، ص 89.

اختلف المؤرخون في نسب الشيخ صفي الدين، فمنهم من أرجَعَ نسبهُ إلى الإمام علي ﷺ[1]. ومنهم من ينفي صلته به، بل ويُؤكد بأن هذا الشيخ كان تركيا سُنيا[2]على المذهب الشافعي، فهو **" لم يكن شيعيا قطعا "**[3].

هناك رأي آخر يُرجع الأسرة الصفوية إلى أصول فارسية و ليست تركية، إذ أن الأرجح أن هذه الأسرة من منطقة كردستان التابعة لبلاد فارس، ثم هاجرت إلى أذربيجان أين اكتسبت الثقافة التركية التي كانت مُنتشرة بقوة بين السكان[4].

إنّ ربط نَسب الشيخ صفي الدين بآل البيت، إنما تمّ بعد قيام الدولة الصفوية بغرض التعبئة و التجنيد بين الأتباع و الأنصار[5]. كما أنه لم يثبت أن الشيخ استند إلى مُصنَّف شيعي واحد في مجالات الفقه والعقيدة، في حين أشار إلى أسانيد و كُتب أصحابها من السُنة - مثل الغزالي والبخاري و الرازي- في كتاباته ومؤلفاته. إلى جانب أن تفسيره لبعض الآيات القرآنية يختلف عن التفسيرات التي يتداولها الشيعة و يُقرونها، خاصة الآيات التي يسوقها هؤلاء في تأكيد أحقية علي بن أبي طالب ﷺ بالخلافة، واستخلاف النبي ﷺ له[6].

---

(1) الحيدري البغدادي إبراهيم فصيح، **عنوان المجد في بيان أحوال بغداد و البصرة و نجد**، ط 2 مكتبة مدبولي، القاهرة، 1999، ص 121. إن التسليم بارتباط الصفويين بعلي بن أبي طالب و ذريته يعني بالضرورة ارتباطهم بالعرب، وبالتالي يصبح الحكم الصفوي في هذه الحالة إمتداد للحكم العربي الإسلامي لبلاد فارس، و هو أمر ينفيه الصفويون عن أنفسهم.

(2) أوزتونا، موسوعة تاريخ الإمبراطورية العثمانية، مرجع سابق، ص 201.

(3) الشيبي، الصلة بين التصوف و التشيع، ج 2، مرجع سابق، ص 355.

(4) Roger M. Savory, ***"L'Iran de 1501 à 1629"***, in HISTOIRE DE L'HUMANITE, V 5, UNESCO, Paris, 2008, 639.

(5) وجيه كوثراني، **الفقيه و السلطان (جدلية الدين و السياسة في إيران الصفوية -القاجارية والدولة العثمانية)**، ط 2، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت، 2001، ص 105.

(6) كامل مصطفى الشيبي، الصلة بين التصوف و التشيع، مرجع سابق، ص 355.

3- التصوُف و التشيع[1] الصفوي.

خلال الحكم الأموي الذي امتد في الفترة (41 - 132هـ / 661-750م) إنتشرت الإتجاهات و الأفكار الشيعية في بلاد فارس، بسبب سياسة الأمويين التي ارتكزت على هيمنة العنصر العربي على السلطة[2] . ومع بداية الخلافة العباسية (132- 656 هـ / 750-1258 م)، بدأ بعض أصحاب تلك الاتجاهات المذهبية في التغلغل داخل أجهزة الدولة العباسية التي اعتمدت في مُقاتلة الأمويين وإسقاط دولتهم على الناقمين على حكمهم، خصوصا من الفرس.

بضُعف مؤسسة الخلافة ظهرت أُسر ومَمَالِك شيعية حاكمة في بلاد فارس[3]. لكن الفكر الشيعي، لم تتبلور فلسفته وأصوله، إلا في عهد الدولة الإيلخانية، التي كان سقوطها يمثل بداية انتشار الطرق الصوفية في المنطقة، وهي التي أضحت أساس الحياة الدينية والروحية [4].

في الرابعة عشر من عمره، التحق الشيخ صفي الدين بموجة التصوف التي كانت سمة ذلك العصر، وبدأ يتنقل بين مشايخ التصوف. وكان للشيخ تاج الدين إبراهيم الكيلاني[5] - الذي عُرِف في بلاده كيلان بالزاهد[1]، وكان واعظا

---

[1] التشيُع (الشيعة) : في التعريف اللغوي، هم الأتباع و الأنصار. ويُطلق هذا اللفظ على أتباع علي بن أبي طالب وبنيه. يؤمنون بإمامته نصًا و وصيةً، وأن الإمامة لا تكون إلا في ذريته. وترجع جذور التسمية إلى أيام الفتنة، بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان، حيث طالب بعض الصحابة ومنهم طلحة والزبير بأخذ الثأر من قتلة عثمان، فخرج إليهم علي للقتال، فتسمّى من اتبعه بالشيعة. أنظر : محمد السعيد جمال الدين، **دولة الإسماعيلية في إيران**، ط 1، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 1999 ص 12؛ الشهرستاني، مصدر سابق، ص 144؛ مصطفى الخطيب، مرجع سابق، ص 105. و عبد السلام محمد، مرجع سابق، ص 195.

[2] كوثراني، مرجع سابق، ص 101.

[3] نفسه، ص 101.

[4] نفسه، ص 103.

[5] الكيلاني : سُمي كذلك نسبة لإقليم كيلان، الواقع في الساحل الجنوبي لبحر قزوين، سمّاه العرب قديما جيلان. يمتاز بتضاريسه الجبلية الوعرة، وورد ذكره بهذا الاسم في مُؤلف مجهول، كتبه صاحبه

صوفيا شافعيا، توفي سنة 700 هـ / 1301 م - الأثر الكبير في تكوين شخصية صفي الدين التصوفية، حيث لازمهُ وتزوج ابنته بوصفه شابا تركيا[2].

على اثر وفاة الشيخ الكيلاني، عاد صفي الدين إلى موطنه أردبيل، بعد أن ورِث مكانة شيخه، وأضحت مدينته قبلة للمُريدين[3]. وقام الشيخ بإحداث تغييرات على الطريقة الصوفية الموروثة، بعد أن تسلّم زعامتها، فجمع بين التسنُن و التشيُع، فكانت مصادره في التفسير من مختلف المذاهب السُنية، وأيضا كتب التصوف ذات المرجعية الشيعية، خصوصا ما يرتبط بحب وقدُسية آل البيت. وربما يعود ذلك إلى إدراك الشيخ لتكوين بلاد فارس المذهبي المُتعدد، المُوزع بين السُنة و الشيعة[4]، ولهذا لم يثبُت على الشيخ صفي الدين أي نزوع نحو التشيُع[5].

4- تطور الحركة الصفويــة.

تـزعم الطـريقة الصفوية بعد وفاة الشيـخ صفي الدين، ابنه صدر الدين موسى المولود فــي 704 هـ / 1304 م، الـذي تعـاظمت مـنزلـته الدينــية، فخــشيه الحــاكم

في 372 هـ / 983 م، وحدّد موقعه بين الجبال و بحر الخزر (بحر قزوين). أنظر: مجهول، **حدود العالم من الشرق إلى الغرب**، تحقيق يوسف الهادي، ط 1، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 1999 ص 113؛ عبد العزيز بن صالح المحمود الشافعي، **عودة الصفويين**، ط 1، مكتبة الإمام البخاري الإسماعيلية، 2007، ص 7؛ القرماني، مصدر سابق، ص 351؛ كي لسترنج، مرجع سابق، ص 206-207؛ بروكلمان، مرجع سابق، ص 493.

[1] السلامي ابي المعالي محمد بن رافع، **تاريخ علماء بغداد(منتخب المختار)**، تصحيح و تعليق عباس العزاوي، ط 2، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2000، ص 118.

[2] الشيبي، مرجع سابق، ص 351؛ Savory, op.cit, p 639

[3] الشيبي، المرجع السابق، ص 352.

[4] كوثراني، مرجع سابق، ص 103- 104.

[5] بديع محمد جمعة، **الشاه عباس الكبير**، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، 1980 ص 7.

المغولي، فنفاه خارج أردبيل[1]. ثم عاد إلى مدينته بعد سقوط سلطة المغول الإيلخانيين نتيجة الغزو التيموري. وشهد عهده انتشارا واسعا للطريقة، مما أدى إلى بداية التطلعات السياسية للحركة[2]. وبعد وفاته 794 هـ / 1392 م، خلفه ابنه علاء الدين علي، الذي كان يُديم لِباس السَّواد، فَسُمي سِيَاهْ بُوش، أي المُسْوَد[3].

إنّ أهم حدث جرى في عهد علاء الدين، هو مرور تيمورلنك المُتشيّع[4] بأردبيل، راجعا مُنتصرا على السلطان العثماني بايزيد الأول في معركة أنقرة سنة 804 هـ / 1402 م، وبرفقته أعدادا هائلة من الأسرى الأتراك. فلما لقِيَهُ علاء الدين طلب منه إطلاق سراح الأسرى الذين كانوا معه، فلبى تيمورلنك طلبه، فأصبح جزء من هؤلاء من أخلص أتباعه، والجزء الآخر منهم سمح لهم بالعودة إلى ديارهم ليكونوا دُعاة لطريقته، إذ كلّفهم بنشر المذهب الاثنى عشري في أرجاء الأناضول[5]. كما اشترى تيمورلنك المزارع والضياع في أردبيل وأوقفها لزوايا الطريقة الصفوية[6]. وبذلك جمعت الطريقة الصفوية مقومات الزعامة و النفوذ و الاستمرارية.

بدأت الطريقة تتخذ الطابع العسكري في فترة قيادة علاء الدين لها، حيث ظهرت في عهده فرق عسكرية حسنة التدريب، طائعة لجميع الأوامر التي تتلقاها

---

(1) الشيبي، ص 356.

(2) طقوش، تاريخ الدولة الصفوية في إيران، مرجع سابق، ص 41.

(3) كامل مصطفى الشيبي، **الطريقة الصفوية ورواسبها في العراق المعاصر**، ط 1، مكتبة النهضة بغداد، 1967، ص 22.

(4) عبد العزيز بن صالح، مرجع سابق، ص 7.

(5) الشيبي، الصلة بين التصوف و التشيع، ج 2، مرجع السابق، ص 359.

(6) نصر الله فلسفي، **إيران وعلاقاتها الخارجية في العصر الصفوي 905-1148 هـ / 1500-1736 م**، ترجمة محمد فتحي يوسف الرّيس، دار الثقافة للطباعة و النشر،القاهرة، 1989 ص 13.

من شيـخ الطريقة، إلى أن أضحت تَتِصف بطابع الفدائية في العمل[1]. وهذه الفِرق ستكون النواة الأولى لتنظيم القزلباش (Kızılbaş) [2].

في سنة 830 هـ / 1427 م قرّر علاء الدين الذهاب إلى الحج ، وأثناء عودته مرَّ بِبـيت المقدس[3] **" ومعه جمع كثير، وذكروا أنّ له ولوالده بتلك البلاد أكثر من الف مريد، ولهم فيهم من الاعتقاد ما يجلُ عن الوصف رحمه الله وإيانا . مات العلاء بعد رجوعه من الحج ودخوله بيت المقدس "**[4].

تولى زعامة الطريقة الصفوية بعد علاء الدين ابنه إبراهيم، الذي كان برفقة أبيه أثناء حجّه، ودخل معه بيت المقدس، ثم عاد إلى أردبيل. وفي عهده ازدادت مكانة الطريقة وانتشرت بفضل الدُّعاة، وكثُر الأتباع، حتى أضحى مقرّهُ قبلة للمسلمين[5]، وبسبب مرضه، تفرّغ للعبادة و الزهد حتى وفاته 851 هـ/1447م[6] .

---

[1] الشيبي، الطريقة الصفوية و رواسبها، مرجع سابق، ص 23.

[2] القزلباش : تنظيم عسكري صفوي، يلبسُ كل جندي قلنسُوة حمراء ذات اثنتي عشرة شُقة ترمز إلى أئمة الشيعة، تلُفُها عمامة. وهم ينتمون في غالبيتهم إلى عشائر تركمانية في الأناضول، كانت ترتبط بالشاه إسماعيل الصفوي بصلات روحية قوية. ويعود أصل هذه التسمية إلى العثمانيين الذين أطلقوها على الشيعة الذين سكنوا الأناضول وكردستان. أنظر : ثـريا فاروقي، **الدولة العثمانية والعالم المُحيط بها**، ترجمة حاتم الطحاوي، ط 1، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2008، ص 105؛ الشيبي ص 363. وأيضا:

Rula Abissad, ***Converting Persia (Religion and power in the safavide empire)***, I.B.Tauris, London-New york, 2004, p 8; Roger M. Savory, op.cit p 640.

[3] الشيبي، الطريقة الصفوية ورواسبها، مرجع سابق، ص 23.

[4] السخاوي، مصدر سابق، ص 29-30. إنّ هذه الشهادة من مُؤرخ سُني يعيش في مدينة أهلها سُنة تُؤكد أن الطريقة الصفوية لم تتشيع بعد، وأنّ هذا الأمـر إنما سيحدث في الأطوار اللاحقة من تطور الحركة، إذ لـو أن السخاوي لا حظ ما يُشير إلى تشيُع علاء الدين لأشار إليه وذكرَهُ في كتابه.

[5] علي الكوراني العاملي، **كيف ردّ الشيعة غزو المغول**، ط 1، دار الهدى، قُم (إيران)، 2006 ص 401.

[6] طقوش، تاريخ الدولة الصفوية في إيران، مرجع سابق، ص 43.

خلف إبراهيم في زعامة الطريقة و دار الإرشاد الصفويّة ابنه جُـنيد، الـذي تميّـزعن اخوته بقـوة الشخصية، فبـدأ يطمـح إلى المُلك، ويسـلك سـلوك المـلوك وسـمّى نفسه سُلـطانا، وحـوّل الطـريقة الصفويـة إلى المـذهب الاثـنى عشـري[1]

و برزت في فترة زعامته للطريقة ملامح المشروع السياسي الصفوي[2]، الأمر الذي أثار مخاوف أمير دولة الخروف الأسود تُجاه الطريقة الصفوية.

اضطر جنيد إلى اللجوء عند أوزون حسن أمير دولة الخروف البيض[3] على الرغم من أن أوزون حسن كان سُنيا[4]، و يعودُ قُبُول هذا الأخير بحماية جُنيد و أتباعه إلى رغبته في الاستفادة من نفوذه المعنوي و الروحي على الشيعة في خططه السياسية، و توظيفه في صراعاته الإقليمية خاصة في مواجهة تركمان

---

[1] المذهب الاثنى عشري : تعتقد هذه الفرقة الشيعية أن الإمامة تكون في ذرية فاطمة الزهراء بنت النبي (ص)، وهي محصورة في اثنى عشر إماما، يتوارثون الإمامة بالوصاية، وهم منصوص عليهم من النـبي (ص). وتبـدأ الإمـامة بعلي بن أبي طالب، وتنتهي بمحمد بن الحسـن العـسكري الذي دخـل سردابا في بيت أبيه بسر من رأى، ولم يَعُد، وهو يُنتظَرُ إلى اليوم. ومصدر فِقهم هو جعفر الصادق الإمام السادس، ولهذا تُسمى هذه الفرقة أيضا بالجعفرية. أنظر : أبو زهرة محمد **تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة و العقائد وتاريخ المذاهب الفقهية**، ك 1، دار الفكر العربي، القاهرة، د.خ.ش ص 265؛ الشهرستاني، مصدر سابق، ص 171؛ نصار و آخرون ، مج 1، مرجع سابق، ص 99 و م.ل.ع، ج 3، مرجع سابق، ص 346. إن من بين أحسن ما كُتب حول هذا المذهب من حيث تاريخه و أصوله و عقائده، و ما يُقابلها لدى جمهور أهل السنة، هو كتاب: علي أحمد السالوس، **مع الاثنى عشرية في الأصول و الفروع (موسوعة شاملة)**، ط 7، مكتبة دار القرآن، القاهرة، 2003.

[2] طقوش، تاريخ الدولة الصفوية في إيـران، مرجع سابق، ص 43-44؛ كوثراني، مرجع سابق ص 105.

[3] j.De Hammer, ***Histoire De L'empire Ottoman Depuis Son Origine Jusqu'a Nos Jours*** ,T4, Bellizard-Barthes-Dufour-Lowell, Paris, S.D, p 89.

[4]: أوزتونا، موسوعة تاريخ الإمبراطوية العثمانية، مرجع سابق، ص 201.

القره قوينلو الشيعة[1]، وتوطّدت العلاقة بين الطرفين بزواج جُنيد من خديجة بيكم أخت أوزون حسن[2].

فرضت الأحداث والتطورات على الطريقة الصوفية، أن تتحول إلى حركة سياسية بشعارات دينية شيعية، استطاعت أن تجمع لزعيم الطريقة آلاف المريدين المستعدين للتضحية[3]. فشعر جُنيد بأنه يملك القوة اللازمة لمشروعه، فعاد إلى أردبيل، لكن أمير الآق قوينلو (دولة الخروف الأسود) تصدّى له وقتله[4].

تولى قيادة الحركة الصفوية بعد مقتل جُنيد، ابنه حيدر، الذي تربَّى في بيت خاله أوزون حسن. والذي أرسله إلى أردبيل ليقود الحركة الصفوية منذ سنة 875 هـ / 1470 م بعد أن زوّجهُ ابنته التي رُزقت بإسماعيل، وهو الذي قُيّض له أن يُنشِئ الدولة الصفوية[5].

يُعتبر حيدر هو مؤسس تنظيم القزلباش العسكري، و من حينها أصبح يُطلق على أتباع الحركة الصفوية اسم القزلباشية[6]. وتهيأت لحيدر الظروف العسكرية و السياسية للقيام بحملات الغزو والتوسع، وساعده في البداية ابن خاله يعقوب الذي تولى حكم دولة الآق قوينلو (الخروف الأبيض) بعد وفاة أوزون حسن 883 هـ 1478 م. لكن يعقوب أدار ظهره لحيدر خوفا على مُلكه، وفي إحدى المعارك التي

---

(1) نفسه، ص 201.

(2) كامل مصطفى الشيبي، الصلة بين التصوف و التشيع، مرجع سابق، ص 361.

(3) j.De Hammer , op.cit , p 89.

(4) Ibidem.

قُتل جُنيد في 864 هـ / 1460 م، في معركة شيروان بالقرب من باكو. أنظر : فلسفي، مرجع سابق ص 16. وباكو هي عاصمة دولة أذربيجان اليوم، تقع على الساحل الغربي لبحر قزوين. أنظر : E.B, (http://www.britannica.com/EBchecked/topic/49640/Baku),30 juillet 2012,15h.

(5) بروكلمان، مرجع سابق، ص 490.

(6) الشيبي، الصلة بين التصوف و التشيع، مرجع سابق ، ص 363؛ مقديش، مصدر سابق، ص 37.

خاضها حيدر ضد الشيروانيين - قَتلةَ أبيه جُنيد و المُتحالفين مع يعقوب - أصابه سهمٌ فقتله، وكان ذلك في 893 هـ / 1488 م[1]، بنواحي طبرستان[2].

5 - تأسيس الدولة الصفويـــــة.

بعد مقتل حيدر، أمر يعقوب أمير دولة الآق قوينلو بإرسال قوة عسكرية إلى أردبيل لاعتقال أخته وأولادها، ومنهم إسماعيل، وسَجَنهُم في قلعة بأصفهان (İsfahan)[3]. وبعد وفاة يعقوب 896 هـ / 1490 م تصارع إخوته و أولاده على السلطة[4]. وسمحت هذه الظروف للأسرة الصفوية بالعودة إلى أردبيل لإكمال رسالة الإرشاد، وكان حينها إسماعيل الابن الأصغر لحيدر طفلا صغيرا[5].

وُلد الشاه اسماعيل في عام 892 هـ / 1487 م[6]، و تربّى في أردبيل وتعلم مبادئ المذهب الشيعي الاثنى عشري، وتلقى تدريبا عسكريا في فنون القتال.

---

(1) البدليسي، ص 104؛ طقوش، تاريخ الدولة الصفوية في إيران، مرجع سابق، ص 46.

(2) طَبَرِسْتَان : بفتح أوله وثانيه وكسر الراء، والطَّبَرُ هو الفأس أو ما يُقطع به الحطب و ما شاكله بلغة الفرس، واستان الموضع أو الناحية، وهي بلاد واسعة مُجاورة لجيلان. أنظر: الحموي، مصدر سابق، مج 6، ص 16-17؛ القرماني، مصدر سابق، ص 411؛ البشاري، مصدر سابق، ص 354. و عبد السلام محمد، مرجع سابق، ص 208.

(3) أصفهان: كُتبت عند العرب أصبهان، مدينة عظيمة في فارس. يُقال أن الاسكندر هو من بناها. فتحها أبوموسى الأشعري في زمن عمر بن الخطاب. أنظر : القرماني، مصدر سابق، ص 299. و الاصطخري، مصدر سابق، ص 87؛ كي لسترنج، مرجع سابق، ص 237؛ وجدي، مرجع سابق، ص 384. أمّا حاليا فهي تقع في غرب إيران، جنوب العاصمة طهران. ازدهرت في عهد السلاجقة خلال القرنين 11 و 12 م، وتعتبر من أهم المراكز المعمارية في العالم. أنظر : عبد السلام محمد، مرجع سابق، ص 26؛ عفيفي، مرجع سابق، ص 54. وأيضا:
E.B,(http://www.britannica.com/EBchecked/topic/192452/Esfahan), 3 août 2012, 21h.

(4) j.De Hammer, op.cit, p 90.

(5) طقوش، تاريخ الدولة الصفوية في إيران، مرجع سابق، ص 47.

(6) الشاه إسماعيل: مؤسس الدولة الصفوية، حكم في الفترة (906 - 930 هـ / 1501 - 1524 م). جعل التشيُع مذهبا رسميا لها. أنظر : طَالِب محيبس حَسَن الوَائلي، **إيران في عهد الشاه إسماعيل الأول**، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، بغداد، 2007، ص 87؛ البعلبكي، مرجع سابق ص 57؛ غربال ووملاؤه، مرجع سابق مج 1، ص 301.

ولمّا أصبح يافعـا، قـاد القـزلباش لمحاربة الشيروانيين سنة 906 هـ / 1500 م لأخذ ثأر جدّه و أبيه، ونجح في كسر شوكة أميرها، وقام بنبش قبور قتلة آبائه، وحوّل عظامهم إلى رماد[1].

استفاد الشاه إسماعيل من الوهن الذي أصاب دولة الآق قوينلو نتيجة الحروب الداخلية بين أمراءها، وما أصاب البلاد من فوضى وانعدام الأمن. كما استطاع الشاه أت يُقيم تحالفا قويا - ليضمن استمرار دولته - مع علماء الدّين، اقتداءا بجيرانه العثمانيين[2]

بعد معارك خاضها الشاه اسماعيل ضد أمراء الآق قوينلو، فُتحت أمامه الطريق نحو تبريز[3]، ودخلها في عام 906 هـ / 1501 م، وجلس على عرش جدّه لأمِـهِ[4]. ليبدأ عصـر الـدولة الصفويـة، ومـعه تصـبح بـلاد فـارس طـرفا هامـا في العلاقات السياسية في المنطقة و العالم. إذ و لأول مرّة منذ إلحاقها بالعالم الإسلامي قبل ثمانية قرون، أصبحت بلاد فارس - في ظل الحكم الصفوي - قوة لها حظورها في السياسة الدولية[5]. بيد أن هذه الدولة كانت مطوّقة بدول سنية، من الشمال الغربي العثمانيون، ومن الشرق الأوزبك، ومن الغرب المماليك، وهو وضع جغرافي سوف يتسبب في حدوث التصادم بين الطرفين السُني و الشيعي.

---

(1) طقوش، تاريخ الدولة الصفوية في إيران، مرجع سابق، ص 53.

(2) Savory, op.cit, p 638.

(3) j.De Hammer, op.cit, p 93.

(4) فلسفي، مرجع سابق، 22.

(5) Savory, op.cit, p 638.

بعد دخول إسماعيل الصفوي مدينة تبريز، فرض مذهب الرافضة[1]، و أصرّ على أن كل من يخالف التشيع ويرفضه، فإن مصيره القتل[2]، وبذلك بدأت التركيبة المذهبية لإيران تتغير لصالح الشيعة، بعد أن كان أغلب قاطنيها من السُنّة[3]. كما أمر أتباعه بإخراج جثث أسرة الآق قوينلو من القبور و إحراقها[4].

لم يكتفِ الشاه إسماعيل بهذه الأفعال، بل أمر بتنظيم الإحتفالات المذهبية الطائفية بذكرى مقتل الحسين بن على بن أبي طالب ﷺ، من خلال اِستعراضات بشرية تقوم باللّطم على الوجوه والصدور، والضرب بالسيوف و السلاسل على الأجساد.كما أمر الشاه بقراءة الخطبة باسم الأئمة الاثنى عشر، وسنَّ شعار**" لا اله إلا الله، محمد رسول الله، علي ولي الله "**[5]. وهي تقاليد استنسخها وزير المراسيم الحُسينية في الدولة الصفوية خلال زيارته لأوربا الشرقية من طقوس المسيحيين في إحياء ذكرى شهداء المسيحية[6]، وهي المرّة الأولى في تاريخ المسلمين التي تتبنى فيها دولة إسلامية مثل هذه الطقوس[7].

اختلفت الآراء حول الدور التاريخي للصفويين، سواء من حيث الممارسات السياسية أو من حيث المذهب في حدّ ذاته. ففي الوقت الذي تنتقد فيه النُخبة

---

[1] الرافضة : وصف يُطلق على الغُلاة من الشيعة، سُمُّوا كذلك لرفضهم خلافة أبي بكر و عمر رضي الله عنهما. وأيضا لِغلُوهم في إخراج أئمتهم من صنف الخليقة، وهو وصف أطلقه عليهم العثمانيون. أنظر : الشهرستاني، مرجع سابق، ص 176؛ مصطفى الخطيب، مرجع سابق ص 202.

[2] إن فرض المذهب بالقوة، والمعاملة القاسية التي مارسها الشاه إسماعيل، ومن تولى الحكم بعده بحق أهل السنَّة، هو الذي أدى إلى ظهور ردود فعل مختلفة، و متفاوتة - اتسمت في أغلبها بالعداء - في المُحيط السُني للدولة الصفوية، سواء لدى الأوزبك أو العثمانيين أو المماليك. وهو ما يفسّر حالة الحرب بين الصفويين و جيرانهم من السُنة، خصوصا الأوزبك و العثمانيين.

[3] أنظر الملحق رقم 3، ص 173.

[4] طقوش، تاريخ الدولة الصفوية في إيران، مرجع سابق، ص 54-55.

[5] بديع جمعة، مرجع سابق، ص 10.

[6] علي شريعتي، **التشيُع العلوي و التشيُع الصفوي**، ترجمة حيدر مجيد، تقديم إبراهيم دسوقي شتا ط 2، دار الأمير للثقافة و العلوم، بيروت، 2007، ص 208-209.

[7] Savory, op.cit, p 639.

من أهل السُنَّة الصفويينَ بقوة، و تستحضر أفعالهم و ممارساتهم الشنيعة تُجاه السُنَّة، وتغييرهم للواقع المذهبي في بلاد فارس بالقوة و القهر. نجد أن الكتابات الشيعية تُثني على الدور الصفوي السياسي و المذهبي، وهو ما نلمسُهُ في كتاب (كيف رد الشيعة غزو المغول) للمؤلف علي الكوراني العاملي[1]،الذي دافع بقوة عن الصفويين، وامتدح طريقتهم و دولتهم، واصفا الذين ذكروا عيوبهم و انتقدوا سياساتهم بأعداء آل البيت![2].

في مقابل هذا المؤلف، نجد من النخبة الشيعية من كَتَبَ عن الصفويين بإنصاف وبكثير من الموضوعية، بل انتقد مذهبهم، وفرّق بين تشيُعِهم والتشيُع العلوي[3]، ومن هؤلاء علي شريعتي صاحب كتاب (التشيُع العلوي والتشيُع الصفوي)، حيث يذكر بأنّ **" المسافة بين وجهَي التشيُع العلوي و الصفوي هي عين المسافة بين الجمال المُطلق و القُبح المُطلق "**[4]. بل نجد المؤلف يسخر من مذهب الصفويين و شُيوخه، ويُوردُ الكثير من خرافاتهم و دجلهم ودورهم في الإساءة إلى التشيُع[5].

تُعدُ الدولة الصفوية بجذورها في التصوف، ثم التشيُع، وُصولا إلى تحقيق مشروع الدولة المذهبية أساس تاريخ إيران الحديث و تكوينها. امتدت جغرافيا من

---

[1] يحمل هذا الكتاب صورا من التعصب المذهبي الحاد تجاه تاريخ أهل السُنَّة، سواء دولهم في التاريخ أو قادتهم. وحاول صاحبه أن يبيّن أنّ الخلافة السُنية هي التي تسببت في نجاح الغزو المغولي، وأرجع مواجهة المغول وهزيمتهم إلى الدور الشيعي. كما يحمل الكتاب صُنوفا من التحامل الزائد على المؤرخين الذين عاصروا الدولة الصفوية ونقلوا أخبارها. راجع الكتاب، ص 319 و ما بعدها.

[2] نفسه، ص ص 378-450.

[3] نسبة إلى علي بن أبي طالب.

[4] شريعتي، مرجع سابق، 80.

[5] في سياق حديثه عن العلاقات العثمانية الصفوية، دافع المؤلف عن العثمانيين، وأشار إلى دور الصفويين في إضعاف الجبهة الإسلامية بقيادة الدولة العثمانية امام الزحف الصليبي الأوربي. أنظر: الكتاب، ص 63 و ما بعدها.

الخليج العربي الى بحر قزوين، ومن الفرات الى ما وراء نهر جيحون[1]. عاشت حتى النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي بعد أن عمّرت حوالي 285 سنة[2].

انتهت الدولة الصفوية في سنة 1148 هـ / 1736 م،على يد نادر شاه (Nâdir Châh)[3] الذي تمكّن بجيش من أفراد قبيلته الأفشار[4] من الاستيلاء على إقليم خراسان، وأخذ يُمسك بزمام الأمور في هذا الإقليم، مما جعل الشاه طهماسب الثاني (Tahmasp II)[5] يستعين به ضد خصومه في الدولة، فعينه قائدا للجيش[6]، وأطلق عليه لقب طهماسب قلي - أي غلام طهماسب[7] - واستطاع أن يصبح أقوى شخصية في الدولة بعد تحقيقه لعدة انتصارات ضد منافسي الشاه.

قام نادر شاه بعزل طهماسب الثاني، وتعيين ابنه الطفل عباس الثالث ملكاً على الصفويين، وصار نادر وصِياً على العرش[8]. لكن هذا الوضع لم

---

(1) أبو زيدون، مرجع سابق، ص 77.

(2) الجميل، مرجع سابق، ص 55.

(3) نادر شاه: حكم إيران في الفترة (1148- 1160 هـ / 1736- 1748 م). عمِل كقائد عسكري في خدمة الصفويين، ثم انقلب عليهم، وتولىّ السلطة. أنظر : البعلبكي، مرجع سابق، ص 451. و نصار و آخرون ، مرجع سابق، مج 7، ص 3344-3345.

(4) الأفشار: قبيلة تركمانية، فرّت من وجه المغول، تاركة تركستان لتستقر في اذربيجان. أيّدت الصفويين والتحقت بجيشهم . أنظر : طقوش، تاريخ الدولة الصفوية، مرجع سابق، ص 243.

(5) طهماسب الثاني :أحد شاهات الدولة الصفوية. حكم في الفترة (1134 - 1143 هـ/ 1722-1731 م). أنظر : الشوكاني، مصدر سابق، ص 343-344.

(6) شاهين مكاريوس، **تاريخ إيران**، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2003، ص 197.

(7) علي الوردي، **لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث**، ج 1، ط 1، انتشارات الشريف الرضى قُم (إيران)، 1413هـ (1993م)، ص 110.

(8) مكاريوس، ص 199.

يستمر سوى ثلاث سنوات، إذ قام نادر بعزل الشاه عباس الثالث وتنصيب نفسه ملكاً للدولة الصفوية، واتخذ لنفسه لقب الشاه[1].

سقطت الدولة الصفوية وحلّت محلها الدولة الأفشارية[2]، التي كان نادر شاه أول ملوكها. وبالرغم من أنه كان شيعي المذهب، إلا أنه حاول التقليل من المفاسد التي أحدثها الصفويون، ومنها سب الصحابة والخلفاء الراشدين، كما حاول إحداث تقارب بين السنة والشيعة.

في سنة 1156 هـ / 1743 م طلب نادر شاه من الدولة العثمانية الاعتراف بالمذهب الشيعي كمذهب إسلامي خامس، وأن تُخَصص له مكانا في الحرم الشريف، لكن العثمانيين رفضوا طلبه[3]، فاتخذ من هذا الرفض ذريعة لإعلان الحرب على الدولة العثمانية[4]. الأمر الذي أدّى إلى قلاقل انتشرت في عموم البلاد. فقام أحد ضباط الجيش بقتله سنة 1160 هـ / 1747 م[5].

من خلال ما سبق، يتبين لنا أن الشاه إسماعيل مؤسس الدولة الصفوية أضفى على دولته منذ بدايتها صبغة مذهبية، سواء في حروبه أو ترويجه للتشيع في المناطق المُجاورة للدولة الصفوية، وبالخصوص في شرق الأناضول. بل حتى في المناطق التي لم تصل إليها يَدُهُ، مثل الثورة التي حدثت في

---

(1) ولبر، مرجع سابق، ص 95؛ طقوش، تاريخ الدولة الصفوية في إيران، مرجع سابق، ص 252.

(2) الدولة الأفشارية: دولة أسسها نادر شاه، الذي تلقّب باسم نادر طهماسب قولي، حكمت بلاد فارس بعد سقوط الدولة الصفوية. إستمرت هذه الدولة حتى سنة 1162 هـ/ 1749 م. أنظر: مؤنس مرجع سابق، ص 244.

(3) يذكر دونالد ولبر أن نادر شاه جعل المذهب السُني مذهبا رسميا للبلاد، بدلا من المذهب الشيعي قاصدا بذلك إزالة الانقسام الذي مزّق العالم الإسلامي، لكن هذا التَحَوُل أثار ضده الشيعة. غير أنّ محمود شاكر يذكر بأن نادر شاه قام بمحاولة لإعادة المذهب السُني إلى البلاد لكنه فشل في ذلك. أنظر : ولبر، مرجع سابق، ص 95؛ شاكر، مرجع سابق، ص 390.

(4) علي ظريف الأعظمي، **الدولة الفارسية في العراق**، مطبعة الفرات، بغداد، 1927، ص 113.

(5) ولبر، مرجع سابق، ص 96.

صعيد مصر سنة 911 هـ / 1505 م، والتي أظهرت التشيُع، و دعت إلى إسماعيل الصفوي. فَجّرتْها عناصر شيعية متأثرة بالميراث المذهبي الموروث عن الدولة الفاطمية. غير أنها لم تحقق أهدافها، فقد انتهت هذه الثورة بإعدام أصحابها[1].

إنّ هذا الواقع الذي فرضه الصفويون، أدى إلى فترة عدم استقرار داخلي في الأناضول العثماني، مما أحدث رد فعل عثماني مقابل، لاَسَيَمَا في عهد السلطان سليم الأول. ففي مُقابل التشيع الصفوي، بدأ السلطان سليم يطرح التسنُنْ العثماني. وكان ذلك هو المُحفز على ظهور مشاعر العداء و الكراهية بين الطرفين. وأيضا انقسام العالم الإسلامي على أساس مذهبي. ممّا سهّل تمرير القوى الأجنبية لخُطَطِها - خصوصا تلك المرتبطة بالأطماع البرتغالية آنذاك - لتحقيق أغراضها في الشرق الإسلامي.

[1] الشيبي، الطريقة الصفوية ورواسبها في العراق المعاصر، مرجع سابق، ص 29.

الفصل الثاني

تطـور العلاقــات العثمانيـة الصفويـة

المبحث الأول : العلاقات العثمانية الصفوية في عهد السلطان بايزيد الثاني.

1- سيــاسة السلطـــان بايزيد الثـــاني.
2- النــفوذ الصــفوي فـــي الأناضـول.
3- ثــورة شاه قولــي و الدّعم الصفـوي.
4- حــركات الــتمــرُد المـــــذهبـي.
5- التّغيُر السياسي في السلطة العثمانية.

المبحث الثاني : العلاقات العثمانية الصفوية في عهد السلطان سليم الأول.

1- الشاه إسمـــاعيل و أتباعه.
2- سيــاسـة الســـــلطان سلـيم الأول.
3- معركة تشالديران والسقوط الصفوي.
4- الوضــع بعد معركــة تشالديـــران.

المبحث الثالث:العلاقات العثمانية الصفوية في عهد السلطان سليمان القانوني.

1- السلطـــان سليمان القانوني و الشاه طهماسب.
2- الصــراع العثمانـــي الصفـوي في الـــعراق.

مع بداية القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، توزّعت الخارطة السياسية للمنطقة الجغرافية الممتدة شرقي المتوسط على ثلاث كيانات سياسية كُبرى. اتسمت علاقاتها فيما بينها عموما بالخلاف الشديد و العِـراك السياسي و العسكري، رغم أن هذه المجموعات هي في الأصل ذات جذور تركية. إحدى هذه القوى هي الدولة المملوكية في مصر و بلاد الشام، والتي كانت قد وصلت حينها إلى مستوى من الضعف و الانحطاط جعلها عاجزة عن مواجهة التحديات التي كانت تُحدق بالعالم الإسلامي. والقوة الثانية هي الدولة العثمانية في الأناضول و البلقان، و التي بلغت ذروة قوتها وعظمتها في هذه الفترة. والقوة الثالثة هي الدولة الصفوية الفتية في الهضبة الإيرانية وتُخومها، والتي كانت في مرحلة التأسيس و التكَوُن . ومما زاد في تعقيد العلاقات بين هذه القوى الإسلامية وتشابكها هو بداية وصول الدول الأوربية إلى المنطقة و احتكاكها بهذه القوى، وفي مقدمتها البرتغال.

المبحث الأول : العلاقات العثمانية الصفوية في عهد السلطان بايزيد الثاني.

أعلن إسماعيل الصفوي نفسه شاهًا في بلاد فارس، وتَطَلع إلى النُفوذ في الأناضول والعراق، الأمر الذي كان يتعارض مع مصلحة الدولة العثمانية كأكبر قوة إسلامية حينها، وليُصبح بذلك التصادم بين الجانبين أمرا واقعا، لامَناص منه.

1- سياسة السلطان بايزيد الثاني.

بعد وفاة السلطان محمد الثاني خلفه ابنه بايزيد الثاني[1] . بدأ عهده بصراع حول العرش مع أخيه جم (Cem)[2]، لكنه تغلّب عليه بفضل مُساندة الإنكـشارية له

[1] بايزيد الثاني : كان حاكما على ولاية أماسيا في عهد والده السلطان محمد الثاني. تولى عرش الدولة العثمانية في الفترة (917-885هـ / 1481-1512 م). أنظر : محمد بن حسن، مرجع سابق ص 690؛ البعلبكي، مرجع سابق، ص 94؛ نصار و آخرون ، مج 2، المرجع السابق، ص 626.

[2] جم : كان حاكما على قونية، هو الأخ الأصغر للسلطان بايزيد، وعند وفاة السلطان محمد الثاني (الفاتح)، قام الصدر الأعظم قرماني محمد باشا بإخفاء خبر وفاة السلطـان، وكان يميل إلى الأمير جم

غير أن جم أعلن نفسه سلطانا على بعض المدن والأقاليم في الأناضول. فهو كان مُخيّرا بين الموت أو المُلك، وفـق القانون الذي سَنّهُ السلطان محمد الثاني، والذي يقضي بقتل السلطان الجديد لإخوته[1]. لكن تخلي بعض مُقربيه عنه أدّى إلى هزيمته و هروبه إلى المماليك في مصر[2]. و منها حـاول مرّة أخرى محاربة أخيه

= فأرسل إليه سِرا يطلب منه الحضور إلى استانبول لتسلُم السلطة. لكن ضباط الإنكشـارية اكتشفوا الأمر، فثاروا وقتلوا الصدر الأعظم، و عيّنوا الأمير كركود ابن بايزيد نائبا لوالده لحين حضوره. وهي المرّة الاولى التي تتمرد فيها الإنكشارية وتقتل الصدر الأعظم. أنظر : جميلة معاشي، **الإنكشارية و المجتمع ببايلك قسنطينة في نهاية العهد العثماني**، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة منتوري قسنطينة، 2008، ص 10؛ المحامي، مرجع سابق، ص 179؛ أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية مرجع سابق، ص 185؛ م.ل.ع، ج 4، مرجع سابق، ص 552.

[1] A. Lamartine, T4, L 5, op.cit, p 2.

التزم السلاطين العثمانيون بقانون قتل الإخوة منذ أن أتاحتْهُ فتاوى معظم فقهاء المذهب الحنفي، تجنُبا للفتنة، وصيانة المصلحة السياسية العليا للدولة، و المتمثلة في حفظ وحدتها و تماسكها، ومواجهة ما ينتج عن انتقال العرش من الأب إلى ابنه، من صراعات تؤدي إلى تفكيك الدولة. ويعتبر السلطان بايزيد الأول هو من اختـطّ هذا العُرف، بعد قتله لأخيه يعقوب. و تحوّل هذا العُرف إلى قانون في عهد السلطان محمد الثاني (الفاتح)، حيث ورد فيه أنه " على أي من أبنائي ممن يتولى السلطنة، أن يعلم أن نظام العالم يقضي عليه بقتل جميع إخوته. و قد اجازت أكثرية العلماء ذلك. فعليهم العمل به". وقد ظل العمل بهذا القانون حتى عهد السلطان سليمان القانوني. إذ أُستُبدِل بنظام جديد يتم وفقه حجز جميع الأمراء العثمانيين - عدا أبناء السلطان الحاكم - في أجنحة معزولة في القصر، سُميت الأقفاص. أنظر: جب و بوين، مرجع سابق، ص 76. نقلا عن: المجلة التاريخية لمعهد التاريخ العثماني، ع 14 1912، المُلحق 27؛ آق كوندز و أوزتورك، مرجع سابق، ص 132؛ حسن الضيقة، مرجع سابق ص 76؛ متولي، مرجع سابق، ص 57-58؛ أحمد تيمور، مرجع سابق، ص 248-249. و للإطلاع على النص الذي يوجب قتل الإخوة، والوارد في قانون نامة آل عثمان. أنظر: خليل ساحلي اوغلي، **من تاريخ الأقطار العربية في العهد العثماني**، مركز إرسيكا، استانبول، 2000، ص ص 532-548.

[2] بعد أن عَجَز الأمير جم عن مواجهة أخيه السلطان بايزيد، فرّ إلى مصر لإقناع المماليك بمساعدته فاستقبله السلطان المملوكي قايتباي بحفاوة، وأبقاه عنده لمساومة العثمانيين به. وهو ما أثار غضب السلطان بايزيد، وأدى إلى توتر العلاقات بين المماليك و العثمانيين. فقام السلطان بايزيد بتحريض الإمارات الحدودية التي كانت تحت الحماية المملوكية للتمرُد على المماليك. ثم خرج الأمير جم من مصر رغم معارضة قايتباي، و اصطدم مرة أخرى بأخيه. ولما انهزم، لجأ إلى رودس. وبدأت بعض دول أوربا تُطالب بتسليمه إليها لاستغلاله في إثارة المتاعب في وجه السلطان بايزيد الثاني. أنظر : بن إياس محمد بن أحمد الحنفي، **بدائعُ الزهور في وقائع الدُهور**، تحقيق محمد مصطفى، ج 3 ط 2، داراحياء الكتب العربية، القاهرة، 1961، ص 177. ويُسميه بن اياس في كتابه جمجمة بن عثمان و محمد سهيل طقوش، **تاريخ المماليك في مصر و بلاد الشام**، ط1، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1997، ص 487-488؛ سعيد عاشور، مرجع سابق، ص 270 و الحويري مرجع سابق، ص 192.

لكنه فشل، فلجأ إلى رودس 886 هـ / 1482 م.

بدأت دول أوربا الكبرى: المجر وفرنسا والبندقية تضغط على فرسان رودس لتسليمها الأمير جم، ليكون أداةً تُساوم بها السلطان بايزيد، مما أُجبر السلطان على الالتزام بسياسة سلمية تجاه أوربا خلال هذه الفترة[1]. وبعد مفاوضات طويلة قرّر فرسان القديس يوحنا تسليمه إلى البابا في روما في 893 هـ/ 1488 م، أين بـقي رهينة حتى وفاته [2].

بسبب هذه الظروف، لم يشهد عهد السلطان بايزيد الثاني فتوحات ذات شأن كبير، بل إقتصرت على العمليات العسكرية على الحدود، والتصدي لبعض المشاكل التي كانت تقع مع المماليك في مصر[3]. فقد عُرف عن السلطان بايزيد الثاني ميله للسلم، وابتعاده عن كل ما يُثير الحروب، والبساطة في العيش. كان كثير الانقطاع للعبادة و الزهد، يرعى العلوم و الآداب[4]، حتى أُطلـق عليه لقب بايـزيد الصوفي[5]. و في ظل هذه الظروف بـرز الشاه إسماعيل الصفوي في بلاد فارس، و أضحى مصدر الخطر الأول على الدولة العثمانية من ناحية الشرق.

شَهِد عهد السلطان بايزيد الثاني توترا في العلاقات مع دولة المماليك خصوصا بعد لجوء الأمير جم إليها [6]. لكن هذه العلاقات سرعان ما تحسّنت مع ظهور التهديد البرتغالي، حيث أرسل العثمانيون في سنة 917 هـ / 1511 م مدافعا و ضباطا من البحرية إلى المماليك لمساعدتهم في مواجهة البرتغاليين[7] الذين كانوا يُهـددون بالاستيلاء على الأماكن الإسلامية المقدسة في الحجاز وإخراج

---

(1) أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، مرجع سابق، ص 188.
(2) سرهنك، مرجع سابق، ص 58-59.
(3) المرجع السابق، ص 190.
(4) أبو زيدون، مرجع سابق، ص 70.
(5) المحامي، مرجع سابق، ص 180.
(6) سرهنك، ص 56.
(7) أوزتونا، ص 231.

عظام النبي ﷺ و إحراقها[1]. إلا أن السياسة المملوكية لم تتبدل، إذ بقيت على الدوام تلتزم الحياد إزاء الصراع العثماني الصفوي، بل كان المماليك يرون بأن هذا الصراع في صالحهم، فهو فرصة لإنهاك الدولتين[2].

2- النفوذ الصفوي في الأناضول.

أعلن الشـاه إسماعيل عن نـيته في ضم الأناضول إلى دولـته [3]، إذ أنـه كشف للسفير البرتغالي عن نواياه الحقيقية في الاستيلاء على مكة، و ضم البلاد العربية الخاضعة للماليك لسُلطته[4].

لتحقيق هذه النوايا، تبنى الشاه إسماعيل جملة من القواعد في تعامُلِه السياسي مع الدولة العثمانية؛ يمكن ايجازها في النقاط التالية :

* **أولا :** تكثيف التوسع و الانتشار المذهبي في الأناضول، عن طريق استغلال التذمُر الشعبي من السلطة العثمانية، لأنها حوّلت الناس من حياة البداوة و التِرْحال إلى حياة الاستقرار، لتكوين دولة مركزية، والتي أدّت بدورها إلى التزامات شتّى تُجاه السلطة، ومنها دفع الضرائب[5].

* **ثانيـا:** استغلال الشاه للمصاعب الإدارية و الاجتماعية و الاقتصادية للدولة العثمانـية مع بـداية القـرن العاشـر الهجـري / السـادس عـشر الميـلادي، خصـوصـا

---

[1] فاضل بيات، **الدولة العثمانية في المجال العربي، دراسة تاريخية في الأوضاع الإدارية في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية حصرا (مطلع العهد العثماني - أواسط القرن التاسع عشر)**، ط 1 مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2007، ص 127.

[2] نفسه، ص 127.

[3] خليل اينالجيك ، **تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الإنحدار**، ترجمة محمد الأرناؤوط ، ط 1 دار المدار الإسلامي، بيروت، 2002، ص 52.

[4] ايفانوف، مرجع سابق، ص 48.

[5] أكمل الدين احسان اوغلي، **الدولة العثمانية تاريخ و حضارة**، ترجمة صالح سعداوي، ج 2 إرسيكا، استانبول، 1999، ص 195؛ اينالجيك، ص 52.

في الجزء الجنوبي الغربي من الأناضول، حيث تعيش المجموعات الشيعية المرتبطة بالدولة الصفوية[1]. فالتدابير الإدارية التي اتخذها السلطان بايزيد الثاني في حق ملاك الاراضي، من العسكريين السابقين والقبائل، بتسجيلها في دفاتر الضرائب، أدّت الى انتشار النقمة على السلطة. **" فالنظام العثماني لم يكن ينسجم مع الاقتصاد المُتنقل، ومع القانون العُرفي العشائري "**[2]. وكانت مصالح هؤلاء المُلاك و امتيازاتهم أهم من قضية المَذْهَبْ[3].

* **ثالثــا:** اعـتماد الشـاه إسماعيل على الأفكار الدينية المُرتكزة على المَهْدَوِية [4] فقد شاع بين الناس أنه هو المهدي المُنتظر. ولم يكن هذا الأمر صعب القـُبول لدى قبائل اعتادت - قبل إسلامها - على أنّ قادتها صُورٌ لله، فاختلطت عليها هذه المعتقدات مع ما كان ينشره الدُّعاة الصفويون[5].

* **رابعــا:** استفاد الشاه إسماعيل من سياسة السلطان بايزيد المُسالمة، فكان ينشُرُ أفكاره المذهبية بين الشباب، ثم يُرسلهم إلى أردبيل لتكوينهم و تربيتهم مذهبيًا، ثم يعودون إلى الأناضول للدّعاية للمذهب الاثنى عشري[6]. فقد كان بإمكان هؤلاء الدُّعاة الصفويين التأثير في الجنود العثمانيين[7].

* **خامسا:** استند الشاه إلى القبـائل التركية التي التفت حوله، وأيدت العقيدة التي

---

(1) فاروقي، مرجع سابق، ص 105.

(2) اينالجيك، مرجع سابق، ص 52.

(3) أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، مرجع سابق، ص 203.

(4) المهدوية : من حيث المُعتقد، آمن الصفويون بغيبة الإمام المعصوم، وهو أمر يستوجب التَحَمُل و الصبر، وتعطيل بعض أركان الدين، كإقامة الجمعة، و الدعوة للجهاد و إسقاط مبدأ الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر. وعندما تنتهي فترة غيبة الإمام الثاني عشر، يعود ليتولى قيادة العالم بعد ثورة عالمية تُرسي العدالة، وتقضي على الظلم و الجور. أنظر : شريعتي، مرجع سابق ص 262 -267.

(5) احسان اوغلي، مرجع سابق، ص 196.

(6) آق كوندز و أوزتورك ، مرجع سابق، ص 209.

(7) فاروقي، ص 105.

كانت مزيجا بين عقائد فارسية محلية، سادت في المنطقة قبل الفترة الإسلامية وبعض مبادئ الإسلام المُتشيّع. وهو ما استهوى التركُمان حديثي العهد بالإسلام. فتحوّل الأناضول إلى مصدر رئيسي لتزويد التجربة السياسيّة الصفويّة بالمُقاتلين من رجال القزلباش[1]. مما كان يمثّل خطورة استراتيجيّة على الدولة العثمانية يؤدي إذا ما أُهمِل إلى إلحاق المنطقة بالدولة الصفوية، عاجلا أم آجلا.

* **سادسا:** كانت القبائل التركية في الأناضول تلتزم التزاما مطلقا بالطرق الصوفية، التي استخدمها الصفويون كقاعدة للانطلاق صوب تحقيق أهدافهم السياسية. في حين كان النظام السياسي الرسمي في الدولة العثمانية يتبنى الإسلام السُني[2].

* **سابعا:** استغل الشـاه إسماعيل الانقطاع الجغرافي عن آسيا الوسطى، الوسط الذي انبثـق منه العثمانيون، وساهم في تطورهم و نُمُوهم. وهذا بفـعل انخـراطهم في دولة ذات نزعة مركزية، و نظـام إداري صارم يتـنافى مع الطبيعة القبلية التي ألـِفَـهَا الأتراك[3]. مما أدى إلى تقليص سلطة القبائل التركمانية وانحسار استقلالها الجزئي. كما كان لتخلي العثمانيين عن التقاليد القبلية التُركية، وتبنيهم نظام حكم الدولة، وفـق ما ورثـوه عن الدولة البيزنطية من تـقاليد إدارية و سياسيـة، دورا مهما في زيادة حالـة التذمر لدى القبائل التركية في الأناضول. فكانت كل هذه الظروف ملائمة لإنجاح الدعاية الدينية الصفوية ذات البعد السياسي البارز[4].

بــدخول الشـاه إسماعيل تبريز، بدأ القلـق ينـتاب العثمانييـن، وشعروا بالخطر

---

(1) أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، مرجع سابق، ص 203.

(2) اينالجيك، مرجع سابق، ص 52؛ جرامون، مرجع سابق، ص 210.

(3) اينالجيك، ص 52.

(4) الجميل، تكوين العرب الحديث، مرجع سابق، ص 59.

الذي يجتاح دولتهم من الشرق. فأوقفوا حربهم ضد البنــدقية وقاموا بإغلاق الحـدود المتاخمة للحدود الصفوية، و تعزيز الحاميات الشرقية[1]. فردّ الشاه على هذا الموقف العثماني، باقتراح التحالف مع البندقية، مقابل تسليحه بالمدافع[2] .

يظهر هذا القلق العثماني، في إرسال السلطان بايزيد جيشا إلـى الحدود لمراقبـة الوضع الجديد، ثم قيامه بترحيل الكثير من أنصـار الشـاه من القزلبـاش[3] إلـى شبه جزيرة المورة[4]. ولِيَزيد من عزلته عن أنصـاره فـي الأناضـول، أغلـق الحـدود فـي صـيف 908 هـ / 1502 م. فاضـطر أتبـاع الشـاه إلـى اسـتغلال القوافـل التجاريـة للتنقُّل بين الدولتين [5].

بـعث الشـاه إسماعيل برسـالة إلى السـلطان بايــزيد الثاني يطلـب فيهـا السماح لأنصاره و أتباعه بحرية الهجرة من أراضي الدولة العثمانية، للالتحاق بدولته. لكن السلطــان رفض طلبـه[6]. و واضح أنّ سبب هذا الرفض، يعـود إلى التّخَـوُف الـذي انتـاب العثمانيين من الجار الجديد، فأرادوا حرمانه من التحاق أنصاره به ليُفقدوه عنصرا من عناصر قوته. وهو تصرُف يؤكد الانزعاج و التوجُس العثماني من الدولة الصفوية الناشئة.

في سنة 910 هـ / 1504 م راسل السلطان بايزيد الشاه إسماعيل مُحتجا علـى قمعه للسُنَّة، مُتَهِمًا اياه بأنه : **" فتك في البلاد وسفك دماءالعباد وأظهر مـذهب أهل**

---

(1) كيرك، مصدر سابق، ص89.

(2) اينالجيك، مرجع سابق، ص 53.

(3) برنارد لويس، مرجع سابق، ص 53؛ اينالجيك، ص 52.

(4) المورة : هي شبه جزيرة كبيرة في جنوب اليونان، تمتد في البحر المتوسط، فتحها العثمانيون في سنة 906 هـ / 1500 م . أنظر: قاتان، مرجع سابق، ص 161.

(5) نفسه، ص 164.

(6) J.De Hammer , op.cit , pp 93-94.

الرّفض والإلحاد "[1]. كما هنأَهُ بانتصاره على الآق قوينلو[2]. ويظهر أن هذه التهنئة لم تكن سوى صـورة أخرى عن سياسة المُهادنة التي انتهجها السلطان بايزيد إزاء الدولة الصفوية و مشاريعها. فلم يُقـدِّر الوضع الجديد الذي فرضه الشاه إسماعيل. و هو موقف ينطوي على رغبة السلطان في احتواء أطماع الشاه وتجنب خوض الحرب ضدّه، في ظل ظروف داخلية و خارجية تهدد الدولة.

في مُراسلة أخرى إلى السلطان بايزيد - من خـلال سفارة توجهت إلى القسطنطينية - طلب الشاه السّماح لقواته بعبور التراب العثماني، لتأديب إمارة ذو الـقادر[3]، والتي كـان يـحكمها حينها الأمـير عـلاء. وحَيـَال تلـك الـتجاوزات من طرف الشاه إسماعيل على إمارة ذو القادر، لم يُـبْدِ االسلطان بايزيد الثاني أي رد فعل تجاه الشاه، واكتفى بإرسال قوة عسكرية إلى أنقرة لمُراقبة الوضع. و بعد أن تمكّن الشاه إسماعيل من تحقيق هدفه من حملته على هذه الإمارة، انسحب عائدا إلى تبريز في 913 هـ / 1507 م [4].

أرسل الشاه إسماعيل سفراءه الى البندقية، لإعلامها عزمه القضاء على العثمانيين، وإذا ما أرادت الـدول الأوربية الحـصول على مكاسب، فـعليها مساندته.

---

[1] الاسحاقي محمد بن المعطي، **أخبار الاول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول**.، د.ن، د.م.ن د.خ.ش، ص 141.

[2] قـاتان، مرجع سابق، ص 145. يبدو أن الظروف الداخلية الصعبة التي كانت تُحيط بالسلطان بايزيد الثاني خصوصا صراعه مع أخيه جم، و تربص الدول الأوربية بالدوله العثمانية يبرر هذه السياسة التي انتهجها السلطان في علاقته بالشاه، وهو ما يبدو في خطابه له، فهو يجمع بين التوبيخ و التحذير، و التهنئة بتولي عرش الدولة الصفوية.

[3] إمارة ذو القادر: إمارة تركُمانية، نشأت سنة 740هـ / 1339م.أسّسها زين الدين قراجة بك (ت 704هـ/1353م). ظلّت هذه الإمارة محل صراع مملوكي عثماني، بحكم موقعها في مناطق التُخُوم بين الطرفين. بقيت الإمارة قائمة حتى عهد السلطان سليم الأول، والذي حوَّلها إلى ولاية عثمانية منذ 927هـ / 1521م. أنظر : أحمد فؤاد متولي، **الفتح العثماني للشام و مصر**، ط 1 الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1995، ص ص 72- 75؛ مصطفى الخطيب، مرجع سابق، ص 197.

[4] j.De Hammer , op.cit , p 94.

كما أرسل إلى المماليك خطابا يعرض فيه التحالف ضد العثمانيين، إلا أنّ المماليك أدركوا أنه في حال قيام جبهة صفوية - مملوكية، وتم القضاء على العثمانيين فسوف يَتَسَلّطَ الشاه إسماعيل عليهم، وانطلاقا من ذلك رفضوا عَرضهُ [1].

لقد برز قلق المماليك من الحركة الصفوية من خلال الخطابات التي كانوا يتبادلونها مع العثمانيين، وهي خطابات تُنبّه السلطان بايزيد إلى خطر هذه الحركة والفرق القزلباشية على مناطق الأناضول الشرقية، وعلى وجود الدولة المملوكية و العثمانية. وأيضا تحُثُ السلطان على مواجهتهم بكل قوة، والتزموا في مراسلة سنة 917 هـ / 1511 م بمساعدته من أجل محو **" فئة الصوفية الملاحدة القزلباش"** [2].

من جانب آخر، أدرك الأمير سليم ابن السلطان بايزيد - الذي كان حينها واليا على طرابزون - نوايا الشاه إسماعيل وخطته للإجهاز على الدولة العثمانية. وكردٍ على هجوم إسماعيل على إمارة ذو القادر، إمارة جدّه لأُمّه علاء[3]، آوى آخر أمراء الآق قوينلو الفارين من سطوة إسماعيل، بعد دخوله تبريز. وكثّف الحملات العسكرية على الحدود مع الدولة الصفوية، وخاض عدة مواجهات ضد قواتها من أهمها، معركة وقعت في أرزنجان (Erzincan)[4] بتاريخ 913 هـ / 1507 م والتي أُسِرَ فيها إبراهيم شقيق الشاه[5]. وعلى اثرها، أرسل الشاه إسماعيل بعثةً إلى استانبول، لتجديد رغبته في علاقات طيّبة و ودية مع الدولة العثمانية، من جهة

---

[1] أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، مرجع سابق، ص 204.

[2] متولي، مرجع سابق، ص ص 53- 55.

[3] هو أوغلو علاء الدولة بك، والد زوجة السلطان بايزيد الثاني، عائشة خاتون، وهي أُم الأمير سليم. أنظر : أوزتونا، ص 204.

[4] أرزنجان :ألحقها السلطان محمد الثاني(الفاتح) بالدولة العثمانية في سنة 877 هـ / 1473 م. وهي اليوم مدينة شرق تركيا. أنظر: القرماني، مصدر سابق، ص 301؛ القزويني، مصدر سابق ص 493؛ نصّار و آخرون، مرجع سابق، ص 227؛ عفيفي، مرجع سابق، ص 42.

[5] أوزتونا، ص 206.

ولتقديم شكوى إلى السلطان بايزيد الثاني بشأن الحملات التي كان يقوم بها ابنه الأمير سليم على الحدود الصفوية.

بـناء على شـكوى الشاه، أمـر السلطان بايـزيد الثاني بالانسحاب من الأراضي التي غزاها ابنه، وإطلاق سراح الأسرى الصفويين، ومنهم شقيق الشاه، وهو ما أدى إلى غضب و استياء الإنكشارية و الأمير سليم [1].

استغل الشاه إسماعيل السياسة السلمية للسلطان بايزيد الثاني، فرَغِـب في احتلال العراق، فسيّـرَ جيشـه صوب بــغداد سنة 914 هـ / 1508 م، ودخلها عُنـوة[2]. ومثلما فعل الشاه إسماعيل بأهل تبريز، قام بقتل أهل السُنّة وأعلن سَبَّ الخلفاء، وأمر بأن يُؤَذَّنَ بحي على خير العمل، وأنّ عليا ولي الله. كما نبش قبور علماء و أئمة أهل السنة [3].

استند الشاه إسماعيل في رغبته في إلحاق العراق بدولته، على الدّعاية الشيعية التي كانت تُؤكد على وجوب السيطرة على الأماكن المقدسة لدى الشيعة في العراق، مثل مراقد الأئمة. وكان رد فعل السلطان بايزيد الثاني على ما قام به الشاه إسماعيل في بغداد، أنْ اكتفى بمراسلته لِحَثِه على التوقف عن أفعاله تُجاه السُنّة و العلماء والأضرحة. كما راسل المــماليك و الأوزبك [4] طـالبا منـهما

---

[1] أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، مرجع سابق، ص 206.

[2] البدليسي، ص 105؛ الأعظمي، مرجع سابق، ص 101. يذكر المؤرخ الإيراني اشتياني، أن بغداد تمّ تسليمها إلى الصفويين بلا قتال، وهو أمر فيه تجني على حقيقة الواقعة التاريخية، حيث تُجمع المصادر و المراجع التي تناولت الموضوع بأن بعض أمراء الآق قوينلو الذين فرّوا من تبريز بعد دخول الشاه إليها، انتقلوا إلى العراق وحكموه، قاوموا حملة الشاه، لكنهم عجزوا عن صدِّهِ، و دخلها عُنوةً، ثم استردوا بغداد من الشاه، فقاد حملة أخرى عليها واحتلها. ويبدو أن هذا المؤرخ ساق هذا الحديث لكي يُقال بان سكان بغداد كانوا متعاطفين مع الشاه و رحبوا به ولم يُقاوموه. أنظر :اشتياني، مرجع سابق، ص 642.

[3] الوردي، مرجع سابق، ص 43.

[4] الأوزبك : نسبة إلى أزبك خان، وكلمة أوزبك تعني سيّد نفسه و المُستَقِل، وهي أقوام من أصول تركية، أسست الدولة الشيبانية (906- 959 هـ/1500- 1551 م). بقيادة محمد شيبان، أحد أحفاد

المساعدة لمواجهة تصرفات الشاه وسياساته في حق أهل السُنة [1].

أمام عجز القوتين الإسلاميتين السُنيتين المملوكية والعثمانية عن التصدي لأطماع الشاه إسماعيل، تطلّع هذا الاخير إلى ما وراء العراق. فراسل ملوك أوربا عارضا عليهم التحالف معه ضد العثمانيين [2]. كما راسل المماليك في القاهرة لنفس الغَرَض، لكنهم لم يتجاوبوا مع عرضِهِ، لإدراكِهم أن سقوط الدولة العثمانية يعني الامتداد الصفوي الشيعي إلى بلادهم [3].

3- ثورة شاه قولي و الدّعم الصفوي.

كـان أخطر تهـديد واجهته الـدولة العثمانية في أواخـر عهد السلطان بايزيد الثاني، هو ذلك التمَرُد الذي قاده شاه قولي بن حسن خليفة [4]، وهو شاب تركي خَدَم في فرق السباهيــة[5] العسكرية. ثم رحل إلى أردبيل بدعوةٍ مـن

= جنكيز خان، والذي كان حاكما على غرب سيبيريا. استغل تفكك الدولة التيمورية بسبب الصراع بيــن أولاد تيمورلنك. فتوجّه نحو بلاد ما وراء النهر مع جُموع من قبيلته. وأسس الدولة التي تنتسب إليه في سنة 906 هـ / 1500 م، وعاصمتها سمرقند. تآمر الشاه إسماعيل مع حاكم الهند المغولي ضد محمد شيبان، غير أن الأوزبك صدّوا هذه المؤامرة، ثم وجدوا في العثمانيين حليفا قويا يحفظ دولتهم من التعصب المذهبي الصفوي. أنظر: شاكر، مرجع سابق، ص 371 - 372؛ اشتياني، مرجع سابق ص 642.

[1] الجميل، مرجع سابق، ص 80.

[2] نوار، مرجع سابق، ص 67.

[3] أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، مرجع سابق، ص 204.

[4] شاه قولي بن حسن خليفة : أطلق على نفسه لقب شاه قولى، أي عبد الشاه، وسَمّاهُ العثمانيون شيطان قلي؛ أي عبد الشيطان. و تعود جذور هذا التمرد إلى فترة الشيخ الصفوي صدرالدين، الذي أرسل أحد أخلص أتباعه قره بيق الخراساني، إلى الأناضول لنشر مذهبه، وبعد وفاة قره بيق، خلفه ابنه شاه قلي الذي كوَّن فرقا عسكرية سِرًا. وكان يتلقى التعليمات من الشاه إسماعيل بواسطة رجاله الذين كانوا ينتقلون من تبريز إلى الأناضول بحجة التجارة. أنظر: الهام عبد القادر حمودي الطائي، **الدولة العثمانية في عهد السلطان بايزيد الثاني 1481-1512 ميلادية**، رسالة ماجستيرغير منشورة جامعة الموصل، 2004، ص 127؛ متولي، مرجع سابق، ص 87؛ آق كوندز و أوزتورك، مرجع سابق، ص 209.

[5] السباهية :هي وحدات قبلية شبه عسكرية، نُظمت على على أساس إقطاعي، إذ كان الجنود يُعطون إقطاعات من الأرض، مُقابل تلبية نداء القتال. أنظر: إيرينا بيتروسيان، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العـثمانيـة**، تقديم و مراجعـة قـسم الدراسات والنـشر، جمعية المـاجد، دبـي 2006، ص 11؛ نـزار قـازان، **سلاطين بني عثمان، بين قتال الاخوة و فتنة الانكشارية**، ط 1، دار

الشاه إسماعيل و وعده بمنصب في الدولة. وبقي عنده مدة من الزمن، إلى أن عاد إلى الأناضول مُتخفيا، وبدأ في تجنيد الشباب التركُماني[1]. ونتج عن نشاطه الكثيف، بأن **" اجتمع عليه جموع المفسدين "**[2]، ثم فجّر تمرُدهُ في الأناضول سنة 917 هـ 1511 م [3].

كان لثورة شاه قولي الذي ادّعى بأنه المهدي[4]، أصداء واسعة بين أتباع الشاه إسماعيل في الأناضول، بعد أن حققت انتصارات عسكرية مهمة على الحاميات العثمانية. فَـغَـدت تُمثل خطراً شديداً على العثمانيّين، لاسيما أنها امتدت إلى أرجاء واسعة، ونجحت في **" زرع الرُعب والبغضاء في الوسط الإسلامي السُني... فقام أنصار إسماعيل باشا بتدمير بعض المساجد و إحراق القرى "**[5].

استغاثت العشائر الكُردية في الأناضول بالسلطان لمواجهة جماعات القزلباش فقد **" قام هؤلاء الملحدون ... بهدم بيوتنا و بالقتال معنا ، كل ذلك بسبب محبتنا لسلطان المسلمين ... ومن دون مساعدتكم لا نستطيع وحدنا الوقوف في وجه هؤلاء و مقاومتهم "**[6]. فأرسل السلطان بايزيد جيشا، قاده الصدر الأعظم علي باشا، وهزم قوات شاه قولي وقتله [7]. وهــرب الجزء الأكبر من قواته صوب

= الفكر اللبناني، بيروت، 1992، ص 10؛ سهيل صابان، **المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية**، مراجعة عبد الرزاق محمد حسن بركات، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2000 ص 123؛ الحــويري، مرجع سـابق، ص 251-252.؛ جــب و بــوين، مـرجع سابق، ص ص 95-100.

[1] آق كوندز و أوزتورك، مرجع سابق، ص 209.

[2] ابن وكيل يوسف الملّواني، **تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك و النوّاب**، تحقيق محمد الششتاوي، ط 1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 1999، ص 83.

[3] طقوش، تاريخ الدولة الصفوية في إيران، مرجع سابق، ص 70.

[4] احسان اوغلي، مرجع سابق، ص 199.

[5] ايفانوف، مرجع سابق، ص 48.

[6] آق كوندز و أوزتورك، ص 216 – 217.

[7] ابن وكيـل، ص 83. تـذكر مصادر ومراجـع أخـرى بأن شاه قـولي نـجا من المـوت أثنـاء الـمعركة

الأراضي الصفوية، بينما استمر من تبقّى منهم في الأناضول في تأجيج حالة الفوضى ونشر أعمال القتل و التخريب[1].

بعث السلطان بايزيد إلى الشاه إسماعيل برسالة يُوبّخُهُ و يلومُهُ على وقوفه مع التمرُد وتمويله لهُ، و إحداثه الفوضى في الأراضي العثمانية[2]. إلاّ أن الشاه استمر في تشجيع أنصاره - مُستغلا الظـروف الصعبة التي كانت تُحيط بالسلطان بايزيد الثاني - على زعزعة استقرار الأناضول، فقام بتدبير و تمويل تمُرد آخر، قاده أحد أتباعه، هو نُورعلي خَليفة في سنة 917 هـ / 1512 م [3].

4- حركات التمرُد المذهبي.

إنّ أغلب حركات التمرد التي نشأت في الأناضول منذ بداية القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، كانت ناتجة عن مُعتقدات دينية تميل إلى التشيُع الذي تبناه الصفويون مذهبا رسميا لدولتهم. وكان جل قادة هذه الحركات يزعُمُون بأنهم المُخلّص الإلهي أو المهدي المُنتظر، الذي يُحـارب بسيف الله للاستيلاء على المُلك العثماني[4]. و كانت غالب هذه الحركات بتشجيع و تمويل صفوي، بهدف تهديم الدولة العثمانية من الداخل، لتجنب مواجهة قوتها العسكرية المُتفوقة مُستغلين الظروف الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع الأناضولي، والظروف الصعبة التي كانت تمُرُ بها الدولة العثمانية على الجبهة الأوربية. كما أنّهم اعتمدوا على الدعاية الدينية، وفق منهج و مبدأ العدل و المساواة الذي يُمثله أئمة آل البيت[5].

= و توجّه إلى أراضي الدولة الصفوية، و اختفي هناك. أنظر على سبيل المثال :
M.De Salaberry , ***Histoire De L'empire Ottoman Depuis Sa Fondation Jusqu'à La Paix D'yassy En 1792*** ,T1 , d.e , Bossang et Masson , Paris-Londres 1817 , p 266

(1) آق كوندز و أوزتورك، مرجع سابق، ص 216.
(2) طقوش، تاريخ الدولة الصفوية في إيران، مرجع سابق، ص 80.
(3) نفسه، ص 80.
(4) احسان اوغلي، مرجع سابق، ص 198-199.
(5) كوثراني، مرجع سابق، ص 101.

بعد نجاح السلطان بايزيد الثاني في القضاء على ثورة شاه قولي، وتجاوز آثارها، بدأت ملامح التصنيف المذهبي[1]، بين سلطة عثمانية سُنية، أدركت الخطر المُحدِق بكيان الدولة السياسي و المذهبي. فاعتبرت الصفويين خارجين ومارقين عن الدّين[2]، وسلطة صفوية شيعية جعلت من نشر المذهب بشتى الوسائل همّها الأول. ولهذا تعدّدت حركات التمرد في وسط الأناضول و شرقه. فقد أعقبت الثورة السابقة، ثورات أخرى، شكلّت تهديدا حقيقا للدولة العثمانية مثل ثورة بوزقلي في سنة 926 هـ / 1520 م، وثورات أخرى محدودة و أقل تأثيرًا[3].

بذلك يكون الشاه إسماعيل قد تمكّن من استغلال السياسة السلمية التي انتهجها السلطان السلطان بايزيد الثاني في توسيع دولته، و تحقيق الكثير من أهدافه السياسية. لكنه سوف يجد نفسه أمام نهج عثماني مُختلف في عهد خليفة السلطان بايزيد الثاني[4].

نلمس ممّا سبق، سعي السلطان بايزيد الثاني، من خلال النشاط الدبلوماسي لتحريض قوى المنطقة ضد الصفويّين، دون أن يُعلن عزمًا أو نيةً على الخلاف معهم، ناهيك عن إعلان الحرب ضدهم. و ظل يعمل على تجنيب المنطقة نشوب حرب قد تُغيّر واقعها السياسي لغير صالحه. بل إنه حَرِص على الظهور راعيا للعلماء والصالحين، سواء السنّة الذين يعيشون في الدولة الصفوية، أو الشيعة في الأناضول[5].

لم تكُن السياسة السلمية التي دأب عليها السلطان بايزيد الثاني في علاقاته

---

(1) كوثراني، مرجع سابق، ص 101.

(2) فاروقي، مرجع سابق، ص 106.

(3) احسان اوغلي، مرجع سابق، ص ص 106- 198.

(4) Tèophile L'avallee, op.cit, p 206.

(5) أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، مرجع سابق، ص 212.

بالدولة الصفوية، و رفضه التعامل معها بشكل حازم، وعدم اتخاذه الإجراءات اللازمة التي ترقى الى ما هو مطلوب منه بوصفه سلطانَ أكبر دولة اسلامية سُنية إلا حافزا، أدّى إلى تمادي الشاه إسماعيل، واستغلاله لهذه السياسة في الانتشار المذهبي والعسكري و السياسي في الأناضول، و الذي أضحى يُهدد وجود الدولة العثمانية.

على الرغم من التحرشات و الاستفزازات الصفوية، حافظ بايزيد الثاني على موقفه الاسترضائي للشاه إسماعيل لمعالجة الوضع في الأناضول. وربما يعود ذلك إلى الأخطار التي كانت تُحدق بالدولة، من الجبهة الأوربية في الغرب و المماليك في الجنوب. زيادة على الصراع الداخلي مع أخيه جم، والصراع الذي تلاهُ بين أولاده على العرش. وربما أيضا إلى تعاطفة مع مبادئ الحركة الصفوية التصوفية. وكذا خوفه من انتقال أعداد من جنود الانكشارية المتأثرين بالدعوة الصفوية إلى صف الشاه اسماعيل[1]. الأمر الذي كان يدفع الظروف بقوة في اتجاه حركة تغيير في هرم السلطة العثمانية.

5- التّغيُر السياسي في السلطة العثمانية.

كان الأمير سليم يحظى بشعبية كبيرة من طرف رجال الجيش عامة والإنكشارية خاصة [2]، بسبب النشاط العسكري المُهم الذي قادهُ ضد الصفويين[3] . ومن مدينة طرابزون، كان الأمير يرصُد تحركات الصفويين في شرق الأناضول عن قُرب، ويراقب مساعيهم لنشر المذهب الاثنى عشري الشيعي في المناطق التابعة للعثمانيين، واستخدامهم القوة في ذلك، وغاراتهم المتكررة على بعض

---

[1] أحمد عبد الرحيم مصطفي، **في أصول التاريخ العثماني**، ط 1، دار الشروق، القاهرة، 1982 ص 78.

[2] المحامي، مرجع سابق، ص 188.

[3] أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، مرجع سابق، ص 208.

الأقاليـم العثمانية المجاورة ونهبها.

كل تلك الأحداث أثّرت في الأمير سليم، الذي ارسل إلى رجال الدولة في القسطنطينية يُنَبِهُهُم الى الحال السيئ الذي آل اليه وضع البلاد، وإلى الخطر المتربص في شرق الدولة.

عندما لم يرَ الأمير سليم أي تجاوب مع مخاوفه، طلب تحويله إلى ولاية اخرى في الشطر الأوربي بدلا من طرابزون، ليكون قريبا من العاصمة، لا سيما بعد أن رأى بأن والـده يُفكّر في التنازل عن العرش لابنه أحمد[1]. لكن السلطان بايزيد الثاني رفض طلبهُ[2].

بعد هذا الرفض، أبحر الأمير سليم بأسطوله من طرابزون الى القرم [3] . ثم قَدِمَ إلى أدرنة سنة 917 هـ / 1511 م على رأس خمسة وعشرين ألفا من الجنود والتقى بجيش أبيه، لكنه هُزم، فانسحب إلى القِرم[4].

أما الأمير كركود بن السلطان بايزيد فقد جاء من إمارته إلى استانبول، وعقد اجتـماعاً مع أبـيه والجيش والعلماء، طالبا منهم توليتَهُ العرش، لكنه أُبلغ من الجميع

---

[1] بروكلمان، مرجع سابق، ص 445-446.

[2] محمد التونجي، **بلاد الشام إبّان العهد العثماني**، ط 1، دار المعرفة للطباعة و النشر و التوزيع بيروت، 2004، ص 31.

[3] القرم: بلاد مُتسعة، أهلها من التتار، تحوي أربعين مدينة، مقرّها صلغات، يُدير شؤونها حاكم تتري تابع للدولة العثمانية. أنظر : القرماني، مصدر سابق، ص 441. وأمّا حاليا، فهي شبه جزيرة في دولة أوكرانيا، سكانها من التتار، تتمتع بحكم ذاتي، يُحيط بها البحر الأسود من الجنوب والغرب، ومن الشرق بحر أزوف، وكلمة القرم تعني القلعة بلغة التتار. أنظر : القرماني، مصدر سابق، ص 441 و نصار و آخرون، مج 5، مرجع سابق، ص 2552. و أيضا:
E.B,(http://www.britannica.com/EBchecked/topic/143010/Crimea),16 août2012 23h.

[4] جان لوي باكي جرامون، **"أوج الامبراطورية العثمانية : الأحداث 1512 1606"**، في تاريخ الدولة العثمانية، إشراف روبير مانتران، ترجمة بشير السباعي، ج 1، ف 5، ط 1، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، 1993، ص 166؛ بروكلمان، ص 446؛ سرهنك، مرجع سابق، ص 63؛ التونجي، مرجع سابق، ص 31.

بأن الحل الوحيد هو جلوس الأمير سليم على العرش[1]. كما قامت فرق الإنكشارية بمظاهرة في استانبول، تُطالب بتولية العرش للأمير سليم[2]، بعد أنّ قدّم هذا الأمير نفسه للجيش على أنه هو الوحيد القادر على الوقوف في وجة الصفويين[3]. حينها أدرك السلطان بايزيد الثاني أن إصراره على ابنه الكبير سيؤدي الى إراقة الدّماء فَدَعا ابنه الأميرسليم للحضور الى استانبول، وأعلن تخليه عن العرش[4]. فانتشرت بين الناس القصائد و الأشعار تمدح السلطان الجديد و تُثني عليه ،من مثل: **" سِرْ سُلطاني سِرْ ، اليوم يومك "**[5].

من خلال متابعة العلاقة بين الشاه إسماعيل و السلطان بايزيد، نلاحظ غلبة نهج النصائح اللطيفة حينا، والشديدة أحيانا، من طرف السلطان للشاه والإرشادات التي تتعلق بأخلاق الملوك، وأسلوب الحكم، وطريقة معاملة الرعية ودول الجوار. حيث يُخاطبهُ في إحدى رسائله قائلا: **" أيها الشاب قليل التجربة اسمع نصيحتي، فمن أجل قُـبول مذهبك، صُـنْ دماء المسلمين، و لا تذهب بخيالك بعيدا، والتزم بطريقة أجدادك أنار الله بُرهانهُم "**[6]. كما يلاحظ قبول إسماعيل لنصائح السلطان بايزيد بارتياح ودبلوماسيّة عالية، رغبةً منه في مواصلة سياسة التوسع الجغرافي و المذهبي، مع تجنب الاصطدام مع الدولة العثمانية. هذا على الرغم من اللهجة الشديدة والنصائح القاسيّة التي تضمنتها بعض رسائل السلطان في أعقاب ثورة شاه قولى عام 917 هـ/ 1511م. ويرجع حرص السلطان بايزيد على ترجيح سياسة المهادنة و المسالمة في مواجهة تمادي الشاه، إلى صعوبة الأوضاع الداخلية و الخارجية التي تميزت بها فترة حكمه.

---

(1) أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، مرجع سابق، ص 210.
(2) البدليسي، ص 114؛ جرامون، مرجع سابق، ص 63.
(3) المرجع السابق، ص 210.
(4) سرهنك، مرجع سابق، ص 63.
(5) أوزتونا، ص 206.
(6) صبّاغ، مرجع سابق، ص 118.

المبحث الثاني : العلاقات العثمانية الصفوية في عهد السلطان سليم الأول.

إنّ بروز الدولة الصفوية كقُوة تملك ثِقَلًا سياسيا مَبْنِيًا على قاعدة دينية مذهبية صلبة، وتبنيها لإستراتيجية في علاقاتها بالدولة العثمانية ترتكز في مُجملها على إثارة الفتن و الفوضى، وإشاعة عدم الاستقرار، وتفجير القلاقل و المشاكل داخل الدولة العثمانية، بالتحريض والتشجيع والتأييد لحركات التمرُد المذهبية، وإيواء قادتها كلما فشلوا في مسعاهُم تارةً، وبثّ الدُّعاة لنشر المذهب تارةَ أخرى، أدّى إلى تغيرات عميقة في الإستراتيجيات العثمانية في مختلف المستويات.

1- الشاه إسمـــاعيل و أتباعه.

كان الشاه إسماعيل يُشيعُ بين مُريديه وأتباعه[1] بأنه لا يقوم بأي عمل أو تَصَرُفٍ من وحْي إرادته، بل من وحي الأئمة الاثنى عشر، و**"أنّه كان معصوما ليس بينه وبين المهدي فاصل"**[2]. كما ادّعى بأنّ الخطاب الإلهي الوارد في الآية الكريمة ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيّاً (54) وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيّاً (55)﴾[3] هو المقصود به. وأشاع بين الناس أن الحاكم يجب أن يكون مُتـقِيًا و معصوما[4].

إلى جانب ذلك، نشر الشاه إسماعيل والجهاز الديني التابع له في وسط أنصاره مزاعم حول الأئمة الاثنى عشر، حيث رفعوهُم إلى مستوى الملائكة

---

(1) إن الإدّعاء و الزّعم في هذه الحالة مطلوب لنشر الطاعة العمياء بين الأنصار و الأتباع، وعبر التاريخ وُجِد الكثير من الزعماء الذين أشاعوا بين الناس بأنهم يمتلكون طاقات غير طبيعية تختلف عن تلك التي عند بقية البشر، والغرض من ذلك هو جلب الأنصار وإخضاعهم خضوعا تاما، ليُصبحوا أدوات طيّعة، تُنفذ الأوامر و التعليمات بشكل قد ينحو منحى الفدائية في العمل، لاسيما إذا كانت هذه المزاعم ذات أبعاد وأهداف دينية، وهو الواقع الذي طبع العلاقة بين الشاه إسماعيل و أتباعه.

(2) الشيبي، الطريقة الصفوية ورواسبها، مرجع سابق، ص 31.

(3) القرآن الكريم، سورة مريم، الآيات 54-55.

(4) المرجع السابق، ص 31.

ووصفوهُم بأنهم ليسوا من جنس البشر، بل عناصر من النّور الإلهي[1]. ومن ثَـمَّ كانت سياسة إشاعة هذه المزاعم وسائل للتجنيد والتحشيد، أحسن الشاه إسماعيل تدبيرها و توجيهها في مشروع سياسي كبير، تَمَثَّل في إنشاء مملكة إسلامية واسعة على غرار تيمورلنك، ولكن باسم الشيعة، بل إنّه اجتهد لتأسيس خلافة إسلامية عَلَوِية بدَلَ الخلافة السُنية[2]. إذ انتشرت بين الصفويين فكرة أن من حقهم تكوين دولة الخلافة، شأنهم في ذلك شأن المَمَالِك السُنية القائمة آنذاك، خصوصا القوتين السُنيتين، المماليك والعثمانيون[3]. وباجتماع المزاعم السابقة والطموحات السياسية للشاه إسماعيل، أصبح الاصطدام بالعثمانيين أمرا لا مناص منه.

2- سيــاسة الســــــلطان سلــيم الأول.

كان الصراع العثماني الصفوي هو المسؤول عن التغيير الذي حدث في السلطة العثمانية وتولي سليم الأول الحكم[4]. إذ كان الأمير سليم يُحمّل والده السلطان بايزيد الثاني الفشل في الوقوف بحزم ضد الشاه إسماعيل[5].

من جانب آخر فرضت السياسة الصفوية على **" الدولة العثمانية أن تتخذ تدابير زجرية دينية شديدة، جعلت الحكم أكثر من أي وقت مضى يتسم بصلابة العقيدة والتمسك بأهداب السُنة "**[6]. فكان أن قاد الأمير سليم والي طرابزون حركة انقلاب ضد والده الطاعن في السِّن، بتشجيع من الإنكشارية و كبار رجال

---

(1) الشيبي، الطريقة الصفوية ورواسبها، مرجع سابق، ص 31.

(2) شريعتي، مرجع سابق، ص 252-253.

(3) نفسه، ص ص 423-425.

(4) أحمد عبد الرحيم مصطفي، **في أصول التاريخ العثماني**، ط 3، دار الشروق، القاهرة، 2003 ص 79.

(5) Gabor Agoston et Bruse Masters, ***Encyclopedia Of The Ottoman Empire***, Facts on file, New York, 2009, P 511.

(6) برّوي، مرجع سابق، ص 585.

الدولة[1] الذين لمسوا في الأمير الشاب القدرة على حملِ أعباء الدولة و مواجهة تهديدات المدّ الصفوي المذهبي و السياسي و دفع مصائبه[2]. ورغم هزيمته في بداية حركته، إلا أنه تمكّن من عزل أبيه والاستحواذ على العرش سنة 918 هـ 1512 م. وبـذلك يـكون تنـازل الـسلطان بايـزيد عن العـرش قد أنهى حـالة الهدوء و السِّلم التي اتسمت بها العلاقات بين الدولتين العثمانية والصفوية[3] خلال عهد السلطان بايزيد الثاني.

لقد تركت الأحداث التي كانت تُحيط بالدولة العثمانية في أواخر عهد السلطان بايزيد الثاني أثرا عميقا في شخصية الأمير سليم، فقد كان يعي بوضوح الأطماع التي كانت تُحرك القوى المجاورة للدولة، سواء الصفويين أو المماليك. فكانت رسائل التنبيه[4] التي أرسلها إلى رجال الدولة و والده تشير كلها إلى حجم المخاطر التي تواجه الدولة على الحدود. ومما زاد في غضبه تجاهل هؤلاء لكل ما ورد في رسائله، كما أنّ رغبة الأمير سليم في الوقوف بقوة في وجه التهديد الصفوي والاستيلاء على مصر والشام كانت قد اختمرت في ذهنه منذ هذه الفترة[5].

قضى السلطان سليم الأول بداية حكمه في مواجهة فتنة إخوته المنافسين له على العـرش[6]، خصوصا أخيـه أحـمد، الذي قام بثـورة في الأناضول فـاقت في

---

(1) M.De Salaberry, op.cit, p 271 .

(2) أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، مرجع سابق، ص 209.

(3) ستيفن هيمسلي لونكريك، **أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث**، ترجمة جعفر الخيّاط، ط 4، د.ن د.م.ن، د.خ.ش، ص 32.

(4) لمطالعة هذه الرسائل. أنظر: متولي، مرجع سابق، ص ص 97- 105.

(5) نفسه، ص 82.

(6) فاضل مهدي بيات، **دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني**، ط 1، دار المدار الإسلامي بيروت، 2003، ص 16.

حجمها و خطورتها تلك التي قام بها الأمير جم ضد السلطان بايزيد الثاني[1]. حيث ساهمت مساندة الشاه إسماعيل وتشجيعه له في تعاظم شأنه في الأناضول.

مع جلوسه على العرش، لُقب السلطان سليم الأول[2] بالياوز (Yavuz) أي القاطع. وتوالت عليه التهاني من الدول تُبارك له، ما عدا الشاه إسماعيل الذي كان مناصرا لأخيه أحمد خلال صراعهما على السلطة[3]، وآوى ابنـه الأمير مراد بعد هزيمته، فاحتفى به، و وعده بتنصيبه سلطانا على الدولة العثمانية بعد القضاء على عمّه سليم الأول*.

حينما علم السلطان سليم بإيواء الشاه للأمير مراد، بعث إليه برسالة يقول فيها: **" ليكن معلوما للشاه إسماعيل أنك أرسلت عدة مرّات إلى أبينا المُخرف فخدعته و أَخَفْتَهُ ... ولهذا السبب خلعناهُ ... وقد صممتُ على الانتقام للماضي ... وعلى أية حال يجب عليك أن تُقيّده ، وتجعل الأغلال في عنقه و تُرسلهُ إلينا"**[4] فردّ الشاه برسالة فيها تهديد للسلطان سليم، و رفض حازم لتسليم الأمير مراد.

لقد أدرك الشاه الخطر الذي يُمثله سليم الأول منذ أن كان يتحرّش بالصفويين على الحدود أثناء ولايته على طرابزون، وأنه لن يكون رجل سياسةٍ و مُهادنةٍ مثلما

---

(1) الحويري، مرجع سابق، ص 203.

(2) سليم الأول : سلطان عثماني حكم في الفترة (917- 926 هـ / 1512- 1520 م) ، امتد حكمه تسع سنوات. أنظر : ابن العماد، مج 10، مصدر سابق، ص 580 -581، البعلبكي، مرجع سابق ص 241.

(3) عزتلو، مرجع سابق، ص 57.

* إن احتفاء الشاه إسماعيل بالأمير مراد، ومن قبله مُناصرته لوالده أحمد، يُؤكد إرادة الشاه القوية في زعزعة إستقرار الدولة العثمانية من خلال استغلال الخلافات داخل الأسرة العثمانية الحاكمة خصوصا في فترات انتقال السلطة، من السلطان إلى وريثه.

(4) فلسفي، مرجع سابق، ص 40.

كان والده، فقام بمُراسلة المماليك، طالبا منهم المساعدة في حال حدوث حرب ضد العثمانيين، فبادر السلطان سليم الأول هو الآخر إلى مُراسلتهم يَحُثُّهم على التحالف ضد الصفويين الشيعة، لكن المماليك آثروا الحياد[1]، و لكنه كان حِيادًا مُراوغًا[2]. هذا على الرغم من أن المماليك كانوا على عداوة مع الصفويين مذهبيا، و أيضا لتحالف الشاه إسماعيل مع البرتغاليين أعدَاءِهِم في البحر الأحمر، إلا أنهم انتظروا أن تتحطم احدى القوتين بيد الأخرى[3].

لقد كانت سياسة المماليك حينها ترمي إلى ترك القوتين العثمانية و الصفوية تصطدمان ببعضهما لتخفيف الضغط على دولتهم[4]، وللوقاية من آثار الصدام العثماني الصفوي، أرسلوا قوة عسكرية إلى الحدود مع العثمانيين للمراقبة[5] و**" حتى يظهر ما يكون بين ابن عثمان والصوفي من الفتن، وأن العسكر لا يدخل بين الفريقين "**[6]. لكــن ابن أجا يذكر بأن المماليك راسلوا الشاه سرًا لعقد تحالف ضد السلطان سليم الذي عَلِم بشان ذلك التحالف، حيث يقول: **" في الوقت الذي عرض فيه سليم على قانصوه الغوري**[7] **إقامة تحالف مشترك ضد إسماعيل الصفوي، رفض السلطان الغوري هذا العرض واكتفى بموقف المتفرج، لا بل**

---

(1) طقوش، تاريخ الدولة الصفوية في إيران، مرجع سابق، ص 76.

(2) نيقولاي ايفانوف، **الفتح العثماني للأقطار العربية 1516-1574**، ترجمة يوسف عطا الله، ط 1 دار الفارابي، بيروت، 1988، ص 73.

(3) نفسه، ص 75.

(4) صبّاغ، تاريخ العلاقات العثمانية، ص 129.

(5) مهدي بيات، مرجع سابق، ص 17؛ ابن أجا، مصدر سابق، ص 230.

(6) بن إياس،ج 4، مصدر سابق، ص 376.

(7) قانصوه الغوري : سلطان مصر و الشام، من المماليك البُرجية حكم في الفترة (906 - 921 هـ 1501- 1516 م)، يُعرف بالملك الأشرف، هُزم أمام السلطان العثماني سليم الأول في معركة مرج دابق. أنظر: البعلبكي، مرجع سابق، ص 346؛ أحمد تيمور، مرجع سابق، ص 292؛ محمد بن حسن مرجع سابق، ص 742؛ الشهابي، مرجع سابق، ص 120؛ محمد وجدي، مج 7، مرجع سابق، ص 95.

أرسل إلى الشـاه إسماعيل الصـفوي ... سِرا لعقد تحالف ضد السلطان سليم، وقـد وصلت أخبار هذا التحالف إلى سليم "[1]. بل إنّ تسيير حملـة المـراقبة المملـوكية نحو الحدود العثمانية كان مبنــيا على اتفاق مُسبق مع الشاه إسماعيل[2]. كما يذكر بن إياس بأن الغرض من الحملة التي سيّرها السلطان الغوري إلى حلب هو الدفاع عن الدولة، حيث انه كان يُدرك **"أن المُنتصر في المعركة بين العثمانيين و الصفويين سوف يزحف على أراضي الدولة المملوكية**[3]**"**.

إن هدف السلطان قانصوه الغوري من حملته صوب حلب هو مساعدة الشاه إسماعيل* متظاهرا برغبته في إصلاح العلاقات بين العثمانيين والصفويين[4]. ولكي يُظهِر مهمته على أنها سلمية، اصطحب معة الخليفة العباسي المتوكل، غير أن السلطان سليم الأول كان له جواسيسه الذين كانوا ينقلون له أخبار و تحركات و قرارات المماليك[5].

---

[1] العصامي عبد الملك بن حسين المكي، **سمط النّجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي**، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، د.ط ، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998، ص 877 و بن طولون الصالحي شمس الدين، **مُفاكهة الخِلان في حوادث الزمان**، تحقيق خليل المنصور، ط 1 دار الكتب العلمية، بيروت، 1998، ص 333؛ ابن أجا، مصدر سابق، ص 231.

[2] بن كنّان محمد بن عيسى، **حدائق الياسمين في ذكر قوانين الخلفاء و السلاطين**، تحقيق عبّاس صبّاغ، ط 1، دار النفائس للطباعة و النشرو التوزيع، بيروت، 1991، ص 194؛ ايفانوف، مرجع سابق، ص 61.

[3] بن إياس، ج 5، مصدر سابق، ص 22.

[4] التونجي، مرجع سابق، ص 35؛ الشيبي، الصلة بين التصوف والتشيع، ج2، مرجع سابق، ص 367.

* لم تقتصر العلاقة بين الشاه إسماعيل و السلطان المملوكي قانصوه الغوري على التحالف السرّي بل تعدتْهُ إلى تبادل المشورة و النُصح، حيث أشار السلطان الغوري على الشاه إحراق الزّرع و كل ما قد يستفيد منه السلطان سليم حتى يُضعف الجيش العثماني. أنظر: مار اسطفان الدويهي، **تاريخ الطائفة المارونية**، تحقيق رشيد الخوري الشرتوني، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، 1890 ص 150.

[5] الجميل، بقايا و جذور، مرجع سابق، ص 17.

عندما اتخذ السلطان سليم قرارا بمهاجمة المماليك، أرسل إلى قانصوه الغوري يوبخه و يحذره من تحالفه مع الشاه إسماعيل و يُبلغه بأنه قد **" اتضحت لنا بعض تصرفاتك التي لاتليق، والتي قصدت بها تقوية ذلك المُلحد المُفسد، ذي العادات السيّئة الذي لا يُدين بدين، فقصدت إليك ذاتنا لأنك أسوأ منه "**[1]. وتأتي هذه المواقف بعد أن تيقن السلطان سليم الأول بأنّ القضاء نهائيا على الدولة الصفوية لا يُمكن أن يتم إلا بالمرور عبر القاهرة و القضاء على المماليك[2].

ارتبط اسم السلطان العثماني سليم الأول وفترة حكمه في التاريخ العثماني بمسألة التّحوُل في وجهة فُتوحات الدولة العثمانية، حيث اتجه العثمانيون في المراحل الأولى لدولتهم إلى الميدان الأوروبي، ومنذ بداية عهده اتجه العثمانيون بفتوحاتهم نحو الشرق[3]، وتحَوَل الموقف العثماني في الجبهة الأوربية من الموقف الهجومي إلى الموقف الدفاعي[4]. كما أن بداية الضغط الإسباني على بلاد المغرب في الغرب والتحركات البرتغالية الخطيرة في البحر الأحمر والخليج العربي في الشرق[5]، خصوصا فيما تعلّق بالمُقدّسات الإسلامية و الطرق التجارية التي أضحت هدفا سهلا بعد الضعف الذي أخذ يتزايد في كيان دولة المماليك[6]. وهو ما شكّل مصدر قلق إضافي لدى السلطان العثماني[7]. فكان من أهم آثار هذا

---

(1) متولي، مرجع سابق، ص 89.

(2) نوار، مرجع سابق، ص 271.

(3) الحويري، مرجع سابق، ص 208.

(4) إسماعيل أحمد ياغي، **العالم العربي في التاريخ الحديث**، ط 1، مكتبة العبيكان، الرياض، 1997 ص 29.

(5) وصل البرتغاليون إلى غربي الهند في نهاية القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي على إثر اكتشافهم لطريق رأس الرجاء الصالح في سياق حركة الكشوف الجغرافية في عصر النهضة الأوربية الحديثة. أين أسسوا مراكز قارّة للسيطرة على التجارة التي كانت تَتِمُ بين الهند و البحر الأبيض المتوسط عبر الخليج العربي و البحر الأحمر. أنظر : لونكريك، مرجع سابق، ص 16-17.

(6) محمد حرب، **العثمانيون في التاريخ و الحضارة**، ط 2، دار القلم، دمشق، 1999، ص 29.

(7) نفسه، ص 31.

التحوُل هو امتداد رقعة الدولة العثمانية، لتصبح إمبراطورية تمتد في آسيا وأوربا و إفريقيا.

بدأ العهد الجديد بإدراك السلطان سليم للخطر الذي تمثله التحركات السياسية والعسكرية والمذهبية الصفوية على كيان دولته خصوصا لجهة استقرار المقاطعات الأناضولية. فلم تكن الدولة العثمانية قد واجهت خطرا بحجم الخطر الذي أضحى يهددها في حدودها الشرقية مع إيران إلا الخطر الذي كانت قد واجهته أيام الزحف المغولي بقيادة تيمور لنك[1].

كان للصفويين القدرة على استعمال القزلباش والدُّعاة في التأثير على سكان تلك المناطق من أجل تحقيق غاياتهم السياسية. وهو واقع جعل السلطان سليم الأول يخطط للتّخلص من هذا الخطر لتحقيق استقرار الأناضول[2]، لا سيّما بعد أن ضمِن هدوء الجبهة الغربية بفضل سلسلة من المعاهدات السلمية وقعها مع الدول الأوربية لتأمين حدود الدولة الغربية[3]. إلى جانب ذلك أصدر أوامر بحصر كل الشيعة في الدولة سرًا وقام بقتلهم. ورغم أن المصادر تحدِّدُ عددهم بأربعين ألفًا* إلا أنه لا يوجد ما يُؤكِّد ذلك[4]. كما حصل السلطان سليم على فتوى من شيخ الإسلام صاري جوريز[5] تُخرِجُ إسماعيل و أتباعهُ من الإسلام و**" تُجيز ذبحهم**

---

[1] أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، مرجع سابق، ص 216.

[2] قاتان، مرجع سابق، ص 211.

[3] Edward S. Creasy, op.cit, p 131.

* يجب الأخذ في الاعتبار المبالغات التي ترِدُ في بعض المراجع حول العدد التفصيلي للقتلى في هذه الواقعة، لا سيما في فترة العصور الوسطى، على غرار ذكر أعداد الجيوش و المحاربين والأسرى والفتلى، إذ لا يوجد ما يُمكن أن يُؤكدها. كما يبدو أن هذا الإجراء الوقائي كان من شأنه أن يضمن هدوء الأوضاع الداخلية وتجميد أي نشاط قد يؤدي إلى تمرّد يُحرّكه القزلباش في الأناضول، مُستغلين انشغال السلطة العثمانية بحربها ضد الشاه إسماعيل.

[4] جرامون، مرجع سابق، ص 209.

[5] الحويري ، مرجع سابق، ص 205

حتى آخر رجل و استرقاق نسائهم و أطفالهم "[1] ، بل تجاوزت فتواه ذلك لتذكُر بأنّ **" قتل شيعي واحد أفضل عند الله من قتل سبعين مسيحيا "**[2].

بادر السلطان سليم الأول إلى فرض طوق اقتصادي و ثقافي على الصفويين بإغلاق الحدود بين الدولتين[3]. كما راسل عبيد الله زعيم الأوزبك السُنة يحُثُهُ على التحالف معه، ويُخبره عن نواياه تُجاه الشاه إسماعيل، ويطلب منه الهجوم على الصفويين من الشرق حين يسمع بوصول العثمانيون إلى غرب إيران، فردّ عليه عبيد الله مُرحِبا وموافقا على طلبه[4].

سار السلطان سليم على رأس الجيش، مُتجها لخوض الحرب ضد الصفويين ولمّا علِم أهل كردستان بالأمر، أرسلوا إليه وفدا ليُعلن تأييدهم و مساعدتهم لهُ[5]*. وقد كان التركمان في الأناضول يُقبِلُون على المذهب الشيعي ويعتنقونهُ بسهولة في حين كان الأكراد مُتمسكون بالمذهب السُني الشافعي، وهو ما يُفسّر انحيازهم الدائم للعثمانيين [6].

---

[1] جرامون، مرجع سابق، ص 209.

[2] Tèophiile L'avallee, op.cit, p 206؛ De La Jonquiére, op.cit, p 13

[3] محمد دراج، **الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس (1512-1543)**، ط 1، شركة الأصالة للنشر و التوزيع، الجزائر، 2012، ص 16.

[4] عبّاس إسماعيل صبّاغ، **تاريخ العلاقات العثمانية – الإيرانية (الحرب و السلام بين العثمانيين و الصفويين)**، ط 1، دار النفائس، بيروت، 1999، ص 128.

[5] يبدو ان مَرَدَّ هذا الموقف الذي اتخذه الأكراد بالوقوف إلى جانب السلطان سليم الأول ضد الشاه إسماعيل، يعود إلى الضجر والسُخط الناتج عن السياسة التي انتهجها الصفويون، عندما كانوا يملكون إقليم كردستان. كما يُلاحظ انّ ضعف الأقاليم الكردية جعلها تُغيّر ولاءها و تتحالف مع الطرف المنتصر، الأمر الذي جعل منها ميدان صراع بين القوتين الكبيرتين العثمانية و الصفوية.

[6] أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، مرجع سابق، ص 343.

خلال تحرُّك الجيش، بدأ التَمَلْمُل يُساور بعض جنود الإنكشارية، **" فقد كان الجيش العثماني كثير التأفف من هذه الحرب القاسية "**[1]، ولكن ما إن ظهر السلطان سليم وخاطبهم حتى عـاد الحماس والنـشاط إلى صفوف الجيش.

في الطريق تمكّن جنود السلطان من القبض على جـاسوس صفـوي، أطـلق السلطان سراحهُ و حمّله رسالة إلى الشـاه بتاريخ 27 صفر 920 هـ / 23 أفريل 1515 م - أرفق سليم هذه الرسالة بخرقة ومسبحة وعصا رمز فرق الدراويش ليُذَكِرَهُ بأنه من سلالة المشايخ، أصحاب البدع، وليس من سلالة الملوك[2] استهزاءًا به - بدأها بالعبارات التالية : **" كتب الله أن الدّين الحق هو دين المسلمين والذي يُظهِرُ دينًا آخرًا و ينحرف عن الطريق القويم سيكون مصيره جهنَّم ... و لأنك حرَّفت قواعد الإسلام، وأقمت المجازر و خرّبت الأضرحة وتجاوزت حرمتها وهي لأُناسٍ من نسل النبي، و قمت بسب الخلفاء ...فعليك الاستعداد للحرب ..."**[3]*.

ردّ الشاه في رسالة أرفقها بعُلبةٍ مُذهبّةٍ مليئة بالأفيـون[4]، ذكر فيها أن الموظف الذي كتب له الرسالة كان تحـت تأثـير هذا الأفيون، وأنَّ مثل تلك العبارات التي وردت في الـرسالة لا تليقُ بسُلطان، كما ذكّـرهُ بالعلاقات الودّية بـين الدولتيـن قـبل اعتلائه العرش، ثمّ أبدى استعداده القوي للحرب[5].فَغَـضِبَ السلطان سليم وأمـر بقتل حامل الرسالة[6]. وردّ على الشـاه إسـماعيل برسالة أخـرى مُرفـقة

---

(1) افندي، مرجع سابق، ص 124.

(2) محمد جميل بيهم، **فلسفة التاريخ العثماني**، د.ط، ك 2، د.ن، د.م.ن، 1954، ص 23.

(3) j.De Hammer, op.cit, pp 177-182.

* من خلال العبارات التي استخدمها السلطان سليم في رسالته يتبيّن مدى الكراهية التي يحملها للشاه بسـبب أعمـاله وتصـرفاته و عقيدته التي يـرى فيها خـروجا عن الإسـلام. وأيـضا نلمـسُ فيها التـزاما دينيا قويا واعتدادا كبيرا بالنفس من طرف السلطان سليم، كما خَلَت الرسالة من أي إشارة إلى التهديدات السياسية التي كانت تستهدف الدولة العثمانية من طرف الصفويين، بل ركّز جُلّ خطابه على الجانب الديني.

(4) الصلابي، مرجع سابق، ص 244.

(5) طقوش، تاريخ الدولة الصفوية في إيران، مرجع سابق، ص 79.

(6) نفسه، ص 79.

هذه المرّة بألبسة نسائية وعطور وأدوات للزينة، وذلك استهزاءًا به لتهَرُبِهِ من الحرب[1]، كما وصفهُ في رسالته بأنه لا يملك الشجاعة، لأنه يواصل الاختباء و نصَحَهُ بِتَبْدِيلِ تاجِهِ بقُبعة امرأة، ويتخلى عن الحكم[2].

إن تـيَقُن الـشاه من قـوة الجـيش العثماني وتفوُقِهِ لامتلاكه سلاح المدفعية، قلـّل من حماسته في خوض الحرب، وكان الشاه يسعى إلى تأجيل الحرب حتى يحُلّ فـصل الشّتاء، فيهلك الجيش العثماني من البرْد و الجوع[3].

أثناء رحلته العسكرية، اتصل السلطان بعلاء الدولة حاكم إمارة ذو القادر ليطلب منه المساعدة في حربه المقبلة ضد الصفويين. لكن علاء الدولة رفض مساعدته بل أمر رجاله بقطع المؤونة عن الجيش العثماني، وحرق كل ما يمكن أن يستفيد منه العثمانيون في الطريق[4]. مما اضطر السلطان سليم لجلبها عن طريق السفن من استانبول إلى طرابزون، ثم حملها بالجمال[5].

لم تكتفِ إمارة ذو القادر بهذه المؤامرات، بل إن قواتها هاجمت جانب الجيش العثماني، فأرسل السلطان سليم يُخبرُ المماليك بما فعل تابِعُهُم في الإمارة فردّوا عليه **" أنّ علاء الدولة عاصي ... فإن قدِرْتَ عليه فاقتُلهُ "**[6]. وفي نفس الوقـت أرسـل المـماليك يشكـرون أمـير ذي القـادر على ما فعـل[7]، وهـو ما جعـل

---

(1) j.De Hammer, op.cit, 190.

(2) Ibidem.

(3) الصلابي، مرجع سابق، ص 245؛ عبد العزيز بن صالح، مرجع سابق، ص 23.

(4) صباغ، مرجع سابق، ص 129.

(5) محمد عبد اللّطيف هريدي، **الحروب العثمانية الفارسية و أثرها في إنحسار المد الإسلامي عن أوربا**، ط 1، دار الصحوة للنشر و التوزيع، القاهرة، 1987، ص 53.

(6) ابن زنبل الرمال المحلي، **تاريخ السلطان سليم خان بن بايزيد خان مع قانصوه الغوري سلطان مصر**، د.ط، د.ن، د.م.ن، د.خ.ش، ص 10.

(7) نفسه، ص 10.

السـلطان يقضي علي الإمـارة و يُلـحقها بالـدولة العثمانية إثـر رجوعه من حـرب الصفويين، بعد أن قتل أميرها، و أسر أولاده الأربعة و قتلهم و أرسل رؤوسهم إلى المماليك كعلامة على أن مصيرهم سيكون كمصير هؤلاء[1].

إنّ ما يؤكد تآمر المماليك هو اتجاه السلطان الغوري على رأس الجيش نحو حلب حتى يوقف حركة القوافل التجارية، و يمنع المؤونة عن السلطان سليم الأول فيضعف جيشه ويكون النصر حليف الشاه إسماعيل. و عند رجوع السلطان الى استانبول علِم بهذه المؤامرة[2].

أمّا المشكلة الأخـرى التي واجـهت السـلطان سليـم فـهي سياسة الأرض المحـروقة التي طبقّـها الصفويون بأمر من الشـاه أمام القـوات العثمانيّة[3] لعرقلة سيرها وحـرمانها من الأعلاف والمُؤن. وهو الوضع الذي أدّى إلى انتشار التذمر بين صفوف الجيش، حيث تمرّد بعض الجنود و بدأوا في حرق الخيام و رشق خيمة السلطان سليم بالسّهام، وردّدوا مطلبهم بالعودة إلى ديارهم[4]. فخرج السلطان وخطب فيهم، مُذكرا إياهم بأنهم ذاهبون **" لقتال المرتدين عن الدين حتى يفيئوا إلى أمر الله، فمن تخاذل آثر العودة، فهو في حكم المرتدين"**[5].

انطلق السلطان سليم الأول في تسيير حملته ضد الدولة الصفوية من مبدأ أن هذه الدولة تشكل عائقا بينه وبين توحيد العالم الإسلامي. فقد كان يخطط لإحـياء

---

(1) De La Jonquiére, op.cit, p 138.

(2) المالكي ابراهيم بن عامر بن علي العبيدي، **قلائد العقيان في مفاخر دولة آل عثمان**، مطابع محمد أمين، مصر،1317 هـ (1899م)، ص 31-32؛ عبد الله الشرقاوي، **تحفة الناظرين فيمن ولى مصر من الملوك والسلاطين**، تحقيق رحاب عبد الحميد القاري، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1996، ص 115. و مقديش، مصدر سابق، ص 42.

(3) افندي، مرجع سابق، ص 124.

(4) هريدي، مرجع سابق، ص 53.

(5) نفسه، ص 53.

الخلافة الإسلامية[1] - حتى أنه رغِبَ في جعل العربية لغة الدولة الأولى، لكن المفتي وقف مُعارضا لهذه الرغبة[2]- وتوحيد المُكونات الأساسية الإسلامية في الشرق و الغرب بجميع طوائفها تحت رايةٍ واحدةٍ، ولم تكن هذه الطموحات وليدة الواقع الجديد. فقد **" كان الأمير سليم – قبل أن يتولى العرش – يُؤمن بقوة بأن الخلافة حق للعائلة العثمانية "**[3]، وهو ما جعل من حملته تلك تحمِلُ طابعًا جهـاديًا[4]، وصِفَةَ الحرب المُقدّسةِ[5].

اختارالشاه إسماعيل منطقة تشالديران(Çaldıran)[6]بهدف جَـرالقوات العثمانية المتفوقة عددًا وعدةً إلى معارك مُباشرة، يتداخل فيها الطرفان، فَيَفقِدُ سلاح المدفعية والأسلحة النارية العثمانية قيمتها. و وصَل الجيش العثماني إلى مكان المعركة مُتعبا، ونصح بعض الوزراء السلطان سليم بمنح الجنود قسطا من الرّاحة، لكن الدفتردار[7] أصرّ على خوض المعـركة، حينها صاح السلطان سليم الأول في الجُندِ

---

(1) دراج، مرجع سابق، ص 13.

(2) متولي، مرجع سابق، ص 86.

(3) Thomas W. Arnold, ***The Caliphate, Oxford***, London, 1924, p 137.

(4) فاضل بيات، مرجع سابق، ص 243.

(5) Tèophiile L'avallee, op.cit, p 206.

(6) تشالديران: هي الآن في إيران، شرقي تبريز، وتخلِط بعض المصادر بينها وبين منطقة أخرى تحمل نفس الاسم موجودة قرب بُحيرة وان. أنظر : أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، مرجع سابق، ص 216.

(7) الدفتردار: مشتقة من الكلمة اليونانية دفتيرا Diphthera والتي تعني جلد الحيوان، لأنه كان يُستخدم في التدوين والكتابة، وهي تُطلق على وظيفة إدارية عثمانية خاصة بكبير المُحاسبين، أو وكيل المال الذي يُشرف على مُعاملات الإيرادات و المصروفات، وجميع القضايا المُتعلقة بأموال الدولة. استُحدث هذا المنصب في عهد السلطان محمد الفاتح. أنظر: مجمع اللغة العربية، **المُعجم الوسيط** ط 4، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2004، ص 288؛ مصطفى بركات، **الألقاب و الوظائف العثمانية 1517-1924**، د.ط، دارغريب للطباعة والنشر و التوزيع، القاهرة، 2000، ص ص 117- 119؛ البستاني، مج 7، مرجع سابق، ص 70؛ مصطفى الخطيب، مرجع سابق، ص 182-183.

قائلا : **" هذا هو الرجل الوحيد الذي يُحسِنُ النُصحَ "**[1].

3- مــعركة تشالديران والسقوط الصفوي.

في 2 رجب 920 هـ / 23 أوت 1514 م[2] وقع الصّدام بين القوتين، وحقق الصفويون النصر في بداية النِّزال. غير أنّ شروع الإنكشارية في الرَّمي بالنَّار واستخدام المدفعية[3] قلب الوضع لصــالح العثمانيين[4]،**" ولم يَنجُ منــهم إلا مــن طــوّل الله عُمره، فانــهزم الأعاجم ونــالوا منهم ما أرادوا من القتل و النهب و الأسر و ما نَجا كبيرُهُم* إلا بجهد جهيد "**[5]. حيث أُصيب الشاه بعد سقوطه من فرسه، وكاد أن يقـع بِيَدِ العثمانيين أسيرًا لولا أنْ أسرع بعض جنوده لإنقاذه[6]. و**" قُتل من عسكر ابن عثمان نحوًا من ثلاثين الفا ... وقُتل مثل ذلك من عسكر الصوفي"**[7]. وفَرَّ الشاه إسماعيل إلى داخل إيران تاركا كل ما يملك للعثمانيين حتى زوجتُهُ[8] وقعت في أسرالقوات العثمانية[9].

تحقق الانتصار العثماني بفضل ضخامة الجيش من حيث العدد، و امتلاكه للسلاح الناري الذي لم يكن يعرفهُ الصفويون[10]. ويبدو أنّ الحماسة في

---

(1) Tèophiile L'avallee, op.cit, p 207؛ De La Jonquiére, op.cit, p 140.

(2) جرامون، مرجع سابق، ص 211.

(3) استعملت المدفعية لأول مرة من طرف العثمانيين في عهد السلطان مراد. أنظر:جب و بوين، مرجع سابق، ص 116.

(4) ابن زنبل، مصدر سابق، ص 10.

* يقصد بكبيرهم الشاه الصفوي إسماعيل.

(5) القرماني، مصدر سابق، ص 43.

(6) سرهنك، مرجع سابق، ص 67؛ ابراهيم حليم، مرجع سابق، ص 81.

(7) بن إياس، ج 4، مصدر سابق، ص 398.

(8) تُدعى تاج لي خانم، قام السلطان سليم بتزويجها لأحد كُتابه انتقاما من غريمه الشاه اسماعيل. أنظر : طقوش، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة، مرجع سابق، ص 158.

(9) مهدي بيات، مرجع سابق، ص 245.

(10) صبّاغ، مرجع سابق، ص 131.

.

خـوض هذه الحرب المقدسة، و هزيمة الخارجين عن الدّين وفق ما كان يُشير إليه السلطان سليم في رسائله التي بعث بها إلى غريمه الشاه إسماعيل، هي أسباب اضافية قادت إلى هذا النصر[1].

بعد أن سار السلطان سليم ثلاثة عشر يوما، وصل إلى تبريز عاصمة الصفويين قادما من تشالديران[2]، ودخلها في يوم 14 رجب 920 هـ / 4 سبتمبر 1514 م. حضر السلطان صلاة الجمعة في مسجد يعقوب في تبريز، وأقيمت الصلاة وفق مذهب المُنتصر[3]، وتُليت الخطبة في المساجد باسمه وفق المذهب السُني[4]. واستولى على خزائن الشاه وأرسلها مع العمال المَهَرة وأصحاب الحرف والصناعات والخطاطين ونسّاجي السجّاد إلى استانبول[5].

مكث السلطان في تبريز ثمانية أيام للرّاحة لاستئناف مُطاردة فلول الصفويين لكنه لقِيَ مُعارضة من لَدُن الجُند بعد أن نَقُصت المُؤن بفعل سياسية الأرض المحروقة التي انتهجها الشاه، وأيضا قُرب فصل الشتاء وعدم امتلاك الجنود للألبسة المُناسبة لهذا الفصل[6].

4- الوضــع بعد معركــة تشالديـــــــران.

---

(1) يذكر علي الكوراني العاملي في كتابه (كيف ردّ الشيعة غزو المغول)، ص ص 473-493، أنّ النصر العثماني في تشالديران إنّما كان نتيجة التحالفات التي تعمّد السلطان سليم الأول إقامتها مع الدول الأوربية حتى يتفرغ لحرب الشيعة في إيران، و أنّ المدفعية التي استخدمها العثمانيون كانت فرنسية !. ولم يتعرّض الكاتب إلى التهديد الذي فرضه الشاه إسماعيل على الدولة العثمانية من خلال دعمه و تشجيعه لحركات التمرد المذهبية في الأناضول التي كادت أن تهُز كيان الدولة. ومن ثمّ أصبح التفرُغ لهذه الحركات أمرا مُلحًا. كما يجب أن نذكر هُنا أن العلاقات العثمانية الفرنسية لم تكن ترقى إلى المستوى الذي يسمح بتزويد فرنسا للعثمانيين بسلاح المدافع، فالعلاقات بين الطرفين نَمَت و تصاعدت في الفترة التي تـلَت حكم السلطان سليم الأول.

(2) Jouannin Joseph-Marie et Van Gaver Jules, ***Lunivers Ou Histoire Et Description De Tous Les Peuples(Turquie)***,Firmin Didot Fréres Éditeurs, Paris, p 110.

(3) Ibidem.

(4) أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، مرجع سابق، ص 218.

(5) سرهنك، مرجع سابق، ص 68.

(6) نفسه، ص 68؛ صباغ، مرجع سابق، ص 130.

إن الانتصار الحاسم الذي حققه السلطان سليم الأول على الصفويين في تشالديران جَمّد نشاط الدولة الصفوية تجاه العثمانيين لمدة تسعة عشر سنة[1]. كما شكّل منعطفا في وضع الحدود السياسية للدولتين. فبعد هذه المعركة، أصبح الطريق سالكا أمام العثمانيين للسيطرة على الكثير من الأقاليم، و إلحاقها بسُلطتهم بالإضافة إلى تغيير الكثير من حكام الأقاليم لولائهم من الشاه اسماعيل إلى العثمانيين.

أَوْكَلَ السلطان سليم إلى المؤرخ الكردي إدريس البدليسي(İdris-i Bitlîsî)[2] مهمة إخضاع الأجزاء الشرقية والجنوبية الشرقية من الأناضول، وهي مناطق كُردية تقع بجوار إيران و ذاتُ طبيعة جبلية صعبة[3]، كانت لا تـزال تـأوي الكثير من مجموعات القزلباش المُـوالية للـشاه إسـماعيل[4].

نجح البدليسي في مهمته، حيث شجّع الأمراء الأكراد على استرجاع ما تبقى تحت السيطرة الصفوية من أقاليم، فنهض هؤلاء لاسترداد بلادهم التي اغتصبها الشاه من قبل.

تعود قدرة البدليسي على إقناع زعماء الأقاليم الكردية بالالتحاق بالدولة العثمانية لمعرفته الدقيقة للوضع السياسي والاجتماعي لهذه الأقاليم، فهو ابن المنطقة، وبالـتحديد من بتلـيس. و زيادة على خبرته السياسية، كان عالـما ذا شهـرة

---

(1) أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، مرجع سابق، ص 339.

(2) إدريس البدليسي : مؤرخ كردي، عمِل في بلاط دولة الآق قوينلو، ثمّ استدعاه السلطان العثماني بايـزيد الثاني، وألحقه ببلاطه. واستمرّ في خدمة السلطان سليم الأول، ليُصبح في عهده قائدا عسكريا. قاد العديد من الحملات ضد الدولة الصفوية في الأناضول. كما صَحِبَ السلطان سليم في حملته ضد دولة المماليك. أنظر: نصّار و آخرون ، مج 2، مرجع سابق، ص 643.

(3) سرهنك، مرجع سابق، ص 68.

(4) ايفانوف، مرجع سابق، ص 19-20.

كبيرة بين الأكراد وظـفها في التأثير على الناس، فـكان السلطان سليم يعتمد عليه في تنفيذ مشاريعه[1].

لمّا وصل السلطان سليم إلى أماسيا في الأناضول عائدا من تبريز، استقبل وفدا أرسله الشاه اسماعيل مع الكثير من الهدايا، ليعرض عليه الصلح، ويطلب منه إطلاق سراح زوجتة الأسيرة منذ معركة تشالديران[2]. لكن السلطان رفض الطلب وسجن الوفد[3].

مكث السلطان سليم في أماسيا لقضاء الشتاء، و الاستعداد لجولة أخرى ضد الصفويين مع بداية الربيع. وبعد انقضاء الشتاء رجع الى بلاد فارس وافتتح بعض قلاعها. وعندما عاد الى القسطنطينية قام بقتل الضباط الذين عصوا أوامره بملاحقة الشاه و مُطاردته بعد هروبه إثر معركة تشالديران[4].

على الرغم من الهزيمة المدوية التي لحقت بالشاه إسماعيل الصفوي، فإنها لم تحسم الصراع لصالح العثمانيين[5]، وظل كل طرف يتربص بالأخر، وينتهز الفرصة للانقضاض عليه. فبعد انسحاب السلطان سليم الأول من تبريز، عاد إليها الشاه إسماعيل وبدأ حركة إصلاح للجيش لكي يستعيد نفوذه في المنطقة[6]. هذا على الرغم من أنّ معركة تشالديران كسّرت ذلك الإيمان القوي لدى أتباع الشاه

---

(1) فاضل بيات، الدولة العثمانية في المجال العربي، مرجع سابق، ص 248 ؛ سرهنك، مرجع سابق ص 68-69.

(2) صبّاغ ، مرجع سابق، ص 177.

(3) الحويري، مرجع سابق، ص 208.

(4) أبو زيدون، مرجع سابق، ص 79؛ التونجي، مرجع سابق، 32.

(5) طقوش، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة، مرجع سابق، ص 159.

(6) نفسه، ص 161.

به، ومعه صورة التقديس والقدرات الخارقة التي كانت رائجة عن الشاه واهتزت تلك العلاقة الوثيقة بين الطرفين[1].

كانت ديار بكر هي الهدف الأول للشاه، فوجّه حملة عسكرية صوبها وحاصرها، فاستنجد السكان بالسلطان سليم عن طريق البدليسي، فسيَّر إليهم جيشا لتخليصهم من الحصار، والتحق به المُتطوعون الأكراد الذين حَشدهم البدليسي فأُجبرالصفويين على الانسحاب نحو مدينة ماردين (Mardin)[2] في 921 هـ 1515 م، فلحِق بـهم الـجيش العثماني[3].

أرسل الشاه تعزيزات إلى ماردين[4]، و وقعت بين الطرفين معركة طاحنة تسمى قره غين دده في بلدة قوج حصار (Qūch Ḥeṣār) الواقعة على بعد خمسة عشر كلم في الجنوب الغربي من ماردين، بتاريخ 922 هـ/1516 م، انتهت بنصر كبير للعثمانيين[5] مكّنَهُم من إخضاع مدينة الموصل[6] لسُلطتهم، لتكون أول مدينة

---

[1]Roger M. Savory, op.cit, p 642.

[2] ماردين : بكسر الراء و الدال، و هي قلعة على جبل الجزيرة المُشرف على نصيبين، فُتِحت في عهد عمر بن الخطاب. أنظر : الحموي، م 5، مصدر سابق، ص 39؛ محمد وجدي، مج 8، مرجع سابق ص 408. أما اليوم فهي مدينة في جنوب شرق تركيا. أنظر: عفيفي، مرجع سابق، ص 435. و أيضا:

E.B, (http://www.britannica.com/search?query=Mardin) , 6 janvier, 2013, 17.00h.

[3] مهدي بيات، مرجع سابق، ص ص 21-23.

[4] فاضل بيات، مرجع سابق، ص 127.

[5]عدنان زيان فرحان، **الكرد الايزيديون في اقليم كردستان**، د.ط، مركز كردستان للدراسات الاستراتيجية، السليمانية، 2004، ص 16؛ مهدي بيات، ص 23 ؛ أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية ص 220.

[6] الموصل : بفتح الميم و كسر الصاد، سُميت كذلك لأنها تصلُ بين الجزيرة والعراق، وبين دجلة و الفرات. هي باب العراق ومعبر إلى خراسان و أذربيجان. أنظر : الحموي، مصدر سابق، ص 223.

عربية تدخل ضمن ممتلكات الدولة العثمانية، بموقعها الذي كان يمثل النافذة التي تصل بين الشرق و الغرب[1].

نتيجة لهذه الانكسارات أمام السلطان سليم، أسرع الشاه إلى البحث عن حليف في المنطقة، فراسل قانصوه الغوري سلطان مصر يحثه على التحالف معه وحاول اقناعه بأن السلطان العثماني إذا نجح في حملة ثانية على دولته وقضى عليها، فسوف تكون دولة المماليك هي هدفه الموالي[2].

إلى جانب ذلك، بدأ الشاه إسماعيل في البحث عن حليف من أوربا ليتعاون معه ضد العثمانيين. وحينها كان للبرتغاليين نفوذ قوي في المنطقة بفضل أسطولهم في بحر العرب والخليج العربي، والذي كان يقوده حينها ألفونسو دي البوكيرك (Alphonse de Albuquerque)[3]*.

سعى الشاه إسماعيل لإقامة تحالف مع البرتغاليين[4]، فأرسل وفدا إلى البوكيرك يطلب منه إيفاد بعثة إلى تبريز. وأعدّ الشاه استقبالا احتفاليا للبعثة ثم عقد

---

(1) سيّار الجميل، **بقايا و جذور التكوين العربي الحديث**، ط 1، الأهلية للنشر والتوزيع، عمَّان، 1997 ص 113.

(2) فاضل بيات، مرجع سابق، ص 127.

(3) ألفونسو دي البوكريك: (857 - 920 هـ / 1453- 1515 م)، قائد بحري برتغالي، المؤسس الحقيقي للنفوذ البرتغالي في الشرق. أنظر : غربال و آخرون ، مرجع سابق، ص 370-371؛ محمد وجدي، مج 1، مرجع سابق، ص 461.

*خطط البوكيرك لنبش قبر النبي (ص)، ومُقايضة المسلمين برُفاته مقابل مدينة القُدس، فدخل البحر الأحمر، غير أن عاصفة قوية أفشلت خطته. أنظر : فالح حنظل، **العرب و البرتغال في التاريخ**، ط 1 منشورات المجمع الثقافي، ابو ظبي، 1997، ص 217.

(4) نتيجة لهذا التحالف، توقف البرتغاليون عن مهاجمة مواقع الزيديين في اليمن و اعتبروهم حلفاء لهم بحكم أن الزيديين آنذاك كانوا يُوالون الشاه إسماعيل. أنظر: إيفانوف، المرجع السابق، ص 149.

اجتماعات مع الوفد، انتهت بالاتفاق على قيام تحالف بين الطرفين ضد القوى الإسلامية السُنية المملوكية و العثمانية.

حاول الشاه مرّةً أخرى أن يُبرم صُلحا مع السلطان سليم الأول، لكن محاولته لم تلق قبولا لدى السلطان العثماني الذي زَجّ بالسفيرين في السجن، تعبيرا عن رفضه. ولم يكتفِ بذلك بل خطّط لحملة أخرى ضد الصفويين لاستئصال دولـتهم لكن هذا العمل كان يحـتاج إلى تأمـين ظهر القـوات العثمانية حتى لا يَغدِر به المماليك[1].

تلقّى المماليك خبر الانتصار الكبير للسلطان سليم على الشاه إسماعيل بكثير من القلق و الخوف. فقد كانوا يتوقعون نجاح أمنيتهم في خروج كلا القوتين مُنهكا و ضعيفا، فعملوا على عدم انتشار هذا الخبر لدى العامة[2]." **كما أخذوا حذرهم من ابن عثمان و خشوا من سطوته وشدّة بأسه لِما يحدث منه بعد ذلك إلى جهة بلاد السلطان** "[3]، وفعلا حدث ما كان يخشاهُ هؤلاء.

تَزَايدت مخاوف الشاه إسماعيل من السلطان سليم بعد نجاحه في إخضاع مصر والشام، والقضاء على الدولة المملوكية* منذ عام 921 هـ / 1516 م. فبادر إلى مراسلته أثناء عودته من القاهرة سنة 922 هـ / 1517 م ليؤكد له رغبته في الصلح[4]. " **فلما قرأ المطالعة اضطرب لذلك، وقال: هذا كله مخادعة من الصوفي حتى يُثني عزمي عن ملاقاته، ثم يطرقـني على حين غفلة كما فعلت أنا**

---

(1) حرب، مرجع سابق، ص 29.

(2) ابن أجا، مصدر سابق، ص 230.

(3) بن إياس، مصدر سابق، ص 398.

* يتبين من خلال التوسع العثماني صوب البلاد العربية الخاضعة للمماليك، أنه لم يكن في حقيقته سوى مرحلة من مراحل الصراع الصفوي العثماني. هدفه التخلص من حليف بلغ من الضعف ما جعله يتآمر مع الصفويين، رغم التباين المذهبي و السياسي بينهما.

(4) صبّاغ، مرجع سابق، ص 178.

مع السلطان الغوري"[1] و**" أنا أعلم من حِيل إسماعيل الصوفي و مخادعته ما لا تعلمون"**[2]. فأمر بسجن السفير و أخذه إلى استانبول[3]. ثم أرسل الصدر الأعظم على رأس حملة إلى الحدود مع الصفويين مكّنته من الاستيلاء على شمال العراق، وكان هذا النشاط بداية لحملة أخرى خطّط لها السلطان للقضاء على القزلباش بعد عودته إلى عاصمته. و يبدو أن هذه الحملة كانت تهدف إلى استفزاز الشاه إسماعيل لجرّه إلى معركة فاصلة، وهي تُؤكد مدى حرص السلطان على مواجهة الشاه للإجهاز على دولته نهائيا، لكن هذا الأخير ظل دائما وفيا لنهجه في تجنب مواجهة السلطان سليم الأول.

لقد تركت الهزيمة التي لقيها إسماعيل الصفوي آثارا قاسية في نفسه، ولم يكن قد لحقت به هزيمة قبل ذلك بحجم هزيمة تشالديران. فانصرف إلى العزلة، وغَلَبَ عليه اليأس والكآبة[4] وارتدى لباسا أسودَ اللون، و وضع على رأسه عمامة وكَتَبَ على أعلامه السوداء كلمة " القصاص "، وانصرف إلى مُعاقرة الخمر حتى أدمنها[5] .

أنعشت وفاة السلطان سليم الأول المفاجئة الرغبة لدى الشاه في الانتقام من العثمانيين من جديد. لكنّ الموت اغتال أمنياته، فمات متأثرا بالسُل وعمره سبعة وثلاثون عاما في 18 رجب 930 هـ / 31 ماي 1524 م، على مقربة من

---

(1) بن إياس، ج 4، مصدر سابق، ص 248.

(2) نفسه، ص 248.

(3) Jean-Louis Bacqué-Grammont, ***"Notes et documents sur les Ottomans les Safavides et la Géorgie, 1516-1521"***, dans Cahiers du monde russe et soviétique, Vol 20, N°2, s.edt, Avril-Juin 1979, p 258.

(4) أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، مرجع سابق، ص 219.

(5) نفسه، ص 265.

أذربيجان، ودُفن في أردبيل، المدينة التي بدأت منها الدعوة الصفوية، إلى جوار أجداده[1].

خلال فترة حكم السلطان سليم الأول القصيرة، تضاعفت مساحة الدولة العثمانية وتحوّلت إلي امبراطورية عالمية مُترامية [2]، فقد تضاعف عدد الولايات العثمانية مرتين في فترة قصيرة، مُدتُها ثماني سنوات فقط، بعد أن كان عددها أربع ولايات عند تولي السلطان سليم الأول عرش الدولة[3]، وهو ما يُؤشر إلى العبقرية العسكرية والدّهاء السياسي الذي كان يتمتع بهما.

تلازمت سياسة السلطان سليم تجاه جواره، مع خوفه الشديد على كيان دولته من التهديدات التي كانت تفرضها الدولة الصفوية الشيعية من جهة - وقد تبنى السلطان سليم الأول موقفا رافضا لأي خطوة باتجاه السلام مع الشاه إسماعيل[4] ولهذا كان في كل مرة يقوم بسجن سفراء البعثات الصفوية الحاملة لعروض السلام - ودولة المماليك السُنية من الجهة الأخرى، خصوصا في الفترة التي لاحت فيها بوادر تحالف بين هاتين الدولتين[5].

لقد تمكّن السلطان سليم الأول من إزالة دولة المماليك نهائيا، بعد أن تيقن بأن مواجهة الصفويين و التصدي لطموحاتهم السياسية و المذهبية، لا يمكن أن يَتِمّ

---

[1] شوقي أبو خليل، **معركة تشالديران، سليم الأول العثماني و إسماعيل الصفوي**، ط 1، دار الفكر دمشق، 2005، ص 71؛ يوسف الريس، مرجع سابق، ص 46.

[2] Edward S. Creasy, op.cit, p 127 .

[3] آق كوندز و أوزتورك، مرجع سابق، ص 214.

[4] كان كلُ من السلطان سليم و الشاه إسماعيل من أتباع الطريقة البكتاشية في فترة الشباب، وكانا يجلسان جنبا إلى جنب خلال الدروس التعليمية التي يُلقيها شيخ الطريقة، وحينها اتفقا على مشروع مشترك يُنفذانه عندما يصير الحكم إليهما، ويتلخص المشروع المُتفق عليه بين الشابين في توحيد المسلمين تحت راية الطريقة البكتاشية، وعندما آل الحكم إلىهما، كتب الشاه إسماعيل إلى السلطان سليم يُذكرُهُ بما اتفقا عليه ويُلح عليه للبدء في تنفيذه، غير أن السلطان سليم اعتذر و تحجّج بأن رجال السلطة في دولته سُنِيوُن، وأنه مُجبر على تأجيل الوفاء بوعده، وهو الأمر الذي جعل الشاه إسماعيل يصف السلطان سليم بالكذّاب، وكان ذلك بداية لحقبة من عداء شديد طَبَعَ العلاقة بين الرجلين طيلة الفترة التي حكما فيها. أنظر : الوردى، مرجع سابق، ص 46.

[5] Grammont, op.cit, p 244.

إلا عبر التخـلص منها. كما أنّ كسْر شوكة الشاه إسماعيل في موقعة تشالديران حَدّ من نفوذ دولته رغم استمرارها لعقود أخرى لاحقة[1]. و يبدو أن شعور السلطان سليم بأن الدولة العثمانية أصبحت هي الأقوى، جعله يتحمّل مهمة توحيد العالم الإسلامي لمواجهة أوربا التي كانت تتربص بالمسلمين، بعد وُلوجها عصر النهضة منذ القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي. و كانت وفاة السلطان سليم الأول في 2 شعبان 926 هـ / 18 جويلية 1520 م[2].

[1] طقوش، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة، مرجع سابق، ص 173.
[2] أوزتونا ، تاريخ الدولة العثمانية، ص 236.

المبحث الثالث:العلاقات العثمانية الصفوية في عهد السلطان سليمان القانوني.

امتدت حالة الصراع وقوة العَدَاء الذي ميّز العلاقات العثمانية الصفوية في فترة حكم السلطان سليم الأول العثماني والشاه إسماعيل الصفوي إلى الفترة التي تَلَت حُكْمَهُما، لأن الظروف والعوامل التي كانت تُأجج الصراع بينهما بقيت قائمة وتتحكم في مسار هذه العلاقات.

1- السلطـــان سليمان القانوني و الشاه طهماسب.

تولّى الحكم في السلطنة العثمانية بعد وفاة سليم الأول ابنه السلطان سليمان القانوني (Kanüni Sultan Süleyman)[1] في سنة 926 هـ / 1520 م، وعمره ست وعشرون سنة[2].حكم مدة ست وأربعين سنة، وهي أطول مدة حكم فيها سلطان عثماني[3]. و تعتبر فترة حكمه من أهم الفترات، ليس فقط في تاريخ الدولة العثمانية بل في تاريخ العالم[4].

في بداية حكمه، واجه السلطان سليمان محاولة الَتمَرُد التي قادها كلٌ من والي مصر و والي سوريا، واللذين كانا من رجال المماليك، وسَعَيَا إلى إعادة إحياء الدولة المملوكية، مُستغلين وفاه سليم الأول ومرحلة انتقال الحكم، فاتصل والي

---

[1] سليمان القانوني: سلطان عثماني، حكم في الفترة (926 – 973 هـ / 1520 – 1566 م). شهد عهده نهضة كبيرة في كل المجالات خاصة مجال التشريع و القوانين. أطلق عليه لقب القانوني بسبب قيامه بتدوين القوانين التي وُضعت منذ عهد السلاطين محمد الفاتح و بايزيد الثاني و سليم الأول. ورغم أنّ هذه القوانين كانت مكتوبة إلا أنّ السلطان سليمان هو الذي قام بتحريرها و إصدارها في ثلاث مجلدات. أما الأوربيين فقد أسموه العظيم Le Magnifique لكثرة فتوحاته وتشجيعه للفنون. أنظر : كوندز و أوزتورك، مرجع سابق، ص 242؛ محمد بن حسن، مرجع سابق، ص 725؛ البعلبكي مرجع سابق، ص 242؛ التونجي، مرجع سابق، ص 37. وللإطلاع على قانون نامة السلطان سليمان أنظـر: خليل اوغلي، مرجع سابق، ص ص 549-718.

[2] القرماني، مج 3، مصدر سابق، ص 47.

[3] محمد حرب، مرجع سابق، ص 59.

[4] Edward S. Creasy, op.cit, p 156.

الشام القائد المملوكي السابق جان بردي الغزالي - الذي عيّنه السلطان سليم الأول واليا على الشام بعد أن كان له دور كبير في هزيمة المماليك في معركة مرج دابق - بوالي مصر ليكون نصيره وحليفه، فراوغه ووعده، و في الوقت نفسه أطلعَ الخليفة الجديد في استانبول سِرا على مراسلاته لـه، ونيتة في التمرد.

شرع الغزالي في عزل الموظفين العثمانيين، وعيّن مكانهم أشخاصا مُوالين له، وأعلن استقلاله عن الدولة العثمانية في المسجد الأموي بدمشق[1]. كما كان قد لجأ إلى الصفويين منذ عهد الشاه إسماعيل يعرضُ عليهم إلحاق الشام بممتلكاتهم و مساعدته ضد العثمانيين[2]. فأبدى الشاه أتمّ الاستعداد لمعاونته حتى يتحقق مُراده في طرد العثمانيين من الشام و مصر[3]، لكن السلطان سليمان أرسل حملة تمكنت من القضاء على هذا التمرد[4].

زيادة على على ذلك، اندلعت حركات التمرد الشيعي في الأناضول بتشجيع من الصفويين، حيث قاد بابا النون تمرُدا شيعيا عام 932 هـ / 1526 م في منطقة يوزغاد ومعه ثلاثة آلاف جندي. استطاع أن يسيطر على كامل منطقة يوزغاد ويفرض على سكانها الضرائب، وألحق هزائم متتالية بالقادة العثمانيين بعد أن تلقى التأييد العسكري من الشاه طهماسب[5]. وتمرد شيعي آخر قاده قلندر جلبي في

---

(1) التونجي، مرجع سابق، ص 57.

(2) محمد حرب، مرجع سابق، ص 60.

(3) أحمد فؤاد متولي، **تصرفات جان بردي الغزالي و خاير بك بعد موت السلطان سليم الأول(كما تصورها وثيقتان بالفارسية و التركية)**، في كتاب دراسات في تاريخ مصر الاقتصادي و الاجتماعي في العصر العثماني، إشراف دانيال كريسيليوس و آخرون ، ط 1، دار الآفاق العربية، القاهرة 1997، ص 100.

(4) أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، مرجع سابق، ص 261.

(5) باسيام حمزة عباس، **" إيران في عهد الشاه طهماسب الأول الصفوي 1524-1576م "**، مجلة الخليج العربي، جامعة البصرة، مج 40، ع 1-2، 2012، ص 6؛ الصلابي، مرجع سابق، ص 271؛ عبد العزيز بن صالح، مرجع سابق، ص 32.

قونية و مرعش(maraş)[1]، والذي رفع شعار **" أن من يقتل مسلما سُنيا ويعتدي على امرأة سنية يكون بهذا قد حاز على أكبر ثواب "**[2].

إضافة إلى ذلك ظهرت موجات تمرُد أخرى أقل شأنا، مثل التمرد الذي قام به شيخ يُدعى جلال الذي ظهر في سنة 924 هـ / 1518 م وادّعى بأنه المهدي المُنتظر، و اتخذ من جهة بوزوق مركزا لجمع أنصاره ثم تمرد على السلطة العثمانية[3]. و أيضا ثورة ابن الحاج بكتاش في أماسيا [4]، وثورة سيدي خليفة [5].

لقد اتصفت المرحلة التي أعقبت هزيمة تشالديران بالقلق والترقب الصفوي نتيجة لوعود السلطان سليم وتهديده بأنه سيعيد الكرة ويقتلع الدولة الصفويّة من جذورها. و خوفا من استمرار السلطان الجديد في انتهاج هذه السياسة، أسرع الشاه إسماعيل إلى إيفاد بعثة إلى السلطان سليمان القانوني، تحمل رسالة لتعزيته في وفاة والده السلطان سليم الأول، بدأها بعبارات الثناء و المدح للسلطان سليمان و وصْفِهِ بألقاب أكبر الفاتحين في العالم، وتهنئته بجلوسه على العرش. ثم يختمها بأمله في علاقات ودّية بين الطرفين، ويمدح السلطان سليم و التعزية في وفاته وردّ عليه سليمان القانوني برسالة[6].

---

[1] مرعش: مدينة في جنوب وسط تركيا، بآسيا الوسطى، سكانها أرمن. أنظر: نصّار و آخرون ، مج 6 مرجع سابق، ص 3099؛ عفيفي، مرجع سابق، ص 455.

[2] حرب، مرجع سابق، ص 61؛ الصلابي، مرجع سابق، ص 271؛ عبد العزيز بن صالح، مرجع سابق، ص 33.

[3] إبراهيم حليم، مرجع سابق، ص 85.

[4] نفسه، ص 89.

[5] القرماني، مصدر سابق، مج 3، ص 54.

[6] للإطلاع على النص الكامل لمراسلات السلطان سليمان و الشاه إسماعيل. أنظر: صبّاغ، مرجع سابق، ، ص ص 174- 176.

لم تُشر رسالة السلطان في مضمونها إلى إكبارٍ و إعلاءٍ لمكانة المُرسل إليه بل فيها تذكير بانتساب الصفويين إلى شيخ طريقة صفوية، وليس إلى سلالة الملوك وهو نفس النهج الذي دأب عليه السلطان سليم الأول في رسائله إلى الشاه إسماعيل.

إضافة إلى ذلك، لم يُجب السلطان على طلب الشاه في إقامة علاقات حسنة بين الدولتين. فمضمون الخطاب يُعطي صورة عن الواقع السياسي للدولتين آنذاك إذ كانت الدولة الصفوية لا تزال تعاني من آثار هزيمة تشالديران مقابل الدولة العثمانية التي كانت تعيش أزهى عصورها.

في المقابل كـان وريث الشاه إسـماعيل هو ابنه طـهماسب(I. Tahmasp)[1] صاحب العشر سنوات من العمر، فتولى زعماء القزلباش إدارة شؤون الحكم، وهو أمر نجم عنه صراعات قوية بين هؤلاء حول السلطة[2]، وأيضا تحرّكت الكثير من الأقاليم ضد السلطة المركزية في تبريز، أهمها ثورة إقليم أذربيجان، فضلا عن ذلك، تعرّض طهماسب نفسه في سنة 940 هـ / 1533 م إلى محاولة للقتل عن طريق تسميم طعامه[3].

لم يُشكل الصفويون مصدر تهديد للدولة العثمانية في هذه المرحلة، ولكن الأمر تغيّرمنذ عام 939 هـ / 1533 م، عندما بلغ طهماسب السِّن التي تسمح له بتولي منصب الشاه[4]، فاعتبر السلطان سليمان بلوغ الشاه سن التاسعة عشر أخطر

---

[1] طهماسب: شاه صفوي، حكم في الفترة (930- 983هـ / 1524 – 1576 م). أنظر: نصّار و آخرون ، مج 4، مرجع سابق، ص 2153.

[2] طقوش، تاريخ الدولة الصفوية، مرجع سابق، ص 88.

[3] نفسه، ص 89.

[4] عمرعبد العزيزعمر، **تاريخ المشرق العربي 1516-1922**، ط 1، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية، 2009، ص 92.

على الدولة العثمانية من شارل الخامس(Charles Quint)[1] الـذي خـاض ضدّه حروبا طاحنة[2].

في سنة 931 هـ / 1525 م بدأت استعدادات الحرب في استانبول ضد الصفويين. وعندما وصلت أخبار هذه الاستعدادات إلى الشاه طهماسب أصابه الذعر، فقام مُستشاروه بالاتصال بالمجريين لمساعدتهم ضد العدو المشترك فأجبر السلطان العثماني على تغيير وجهة حملته العسكرية من الدولة الصفوية إلى الإمبراطورية المجرية. فتأجلت الحرب المُخطط لها على الصفويين، لكن دون تركها[3]. و أثناء المواجهة التي كانت دائرة بين الدولة العثمانية و المجر سنة 935 هـ / 1528 م ثار أحمد بك والي إحدى مقاطعات أدرنة بتحريك و تحريض من الشاه طهماسب، لكن هذا التمرد فشل[4].

بعد أن وقّع السلطان سليمان أول معاهدة سلام مع حكام إمبراطورية النمسا في صيف سنة 939 هـ / 1533 م[2]، وأيضا مع قوى أوربية أخرى، وجَّهَ أنظاره من الغرب نحو الشرق مثلما فعل والده السلطان سليم الأول من قبل[5].

فرضت معركة تشالديران لمدة طويلة هُدنة غير مُعلنة ومُقررة بين الدولة العثمانية و الدولة الصفوية، لكن انعدام الاستقرار في العلاقات بينهما استمر في

---

[1] شارل الخامس: ملك إسبانيا و الإمبراطورية الرومانية المقدسة في الفترة (924 - 963 هـ 1519- 1556 م). تمكّن من زعامة أوربا بعد هزيمتة لفرانسوا الأول ملك فرنسا في معركة پافيا عام 931 هـ / 1525 م. أنظر : البعلبكي، مرجع سابق، ص 255.

[2] ايفانوف، مرجع سابق، ص 109؛ أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، مرجع سابق، ص 339.

[3] ستيفن هيمسلي لونكريك، مرجع سابق، ص 35-36.

[4] إبراهيم حليم، مرجع سابق، ص 89-90.

[5] طقوش،تاريخ الدولة الصفوية في إيران، مرجع سابق،ص 93؛ j.De Hammer, op.cit, t 5, p 202.

عهد السلطان سليمان القانوني والشاه طهماسب[1]، و كانت الأقاليم الحدودية و تَبَدُل ولاءات حكامها بين العثمانيين و الصفويين، و التداخل العرقي و المذهبي الذي كان بينهما أسباب جوهرية وقفت وراء الصراع الدائم بين الطرفين[2].

إلى جانب هذه الظروف و الأسباب، استمر الشاه في الالتزام بسياسة والده في تحريك جماعات القزلباش لإثارة القلاقل في الأناضول[3]، والتحالف مع الأوربيين ضد الدولة العثمانية. فقد كانت فلسفة الشاه طهماسب قائمة على التوسع على حساب الدول المجاورة و اخضاعها للاتجاه السياسي و المذهبي الصفوي[4].

على الرغم من الاجتهادات الفقهية الشيعية التي كانت تُلِحُ على الشاه طهماسب بعدم جواز التعامل و التحالف مع دول أوربا باعتبارها كافرة، لكن الضغط السياسي و العسكري العثماني من الغرب و الأوزبكي من الشرق فرض على الشاه تجاهل تلك الاجتهادات والاتصال بدول أوربا[5]، لاسيما منذ سنة931 هـ 1525 م، بعد الفتوى التي أصدرها مفتي الدولة والتي أجازت له التحالف ضد العثمانيين[6]، وهو ما حدث مع الإمبراطورية المجرية خلال انشغال السلطان سليمان بحروبه في أوربا[7]. و لهذا كانت ظروف استئناف المواجهة بين الطرفين شبيهة بتلك التي أججّت الصراع في عهد السلطان سليم الأول والشاه إسماعيل[8].

---

(1) Tèophile L'avallee, op.cit, p 227.

(2) طقوش، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة، مرجع سابق، ص 210؛ صباغ، مرجع سابق، ص 117. وأيضا:

Tèophile L'avallee, op.cit, p 227

(3) طقوش، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة، ص 210 ؛ طقوش، تاريخ الدولة الصفوية، ص 94.

(4) باسيام، مرجع سابق، ص 3.

(5) نفسه، ص 3.

(6) نفسه، ص 19.

(7) طقوش، تاريخ الدولة الصفوية في إيران، مرجع سابق، ص 93.

(8) عمر عبد العزيز، مرجع سابق، ص 92.

2- الصراع العثماني الصفوي في العراق.

ظل العراق تابعا للدولة الصفوية منذ أن دخله الشاه إسماعيل في عام 914 هـ 1508 م[1]، وأصبح منذ ذلك التاريخ منطقة المواجهة الحدودية بين العثمانيين و الصفويين في الشرق، مثلما كان وضع بلغراد بين الدولة العثمانية و الدولة المجرية في الغرب[2].

تزامن الوجود الصفوي في العراق مع الضغط الذي كان يتعرض له السلطان سليمان من حاشيته و مُقربيه لتخليص بغداد[3] من حكم الصفويين و إنقاذ أهلها و تعمير المراقد المقدسة فيها[4].

قام أحد زعماء الأكراد ويُدعى ذو الفقار خان بالزحف على بغداد، وقتل حاكمها الصفوي، وأسس فيها دولة كردية، وأعلن ولاءه للعثمانيين، فقرأ الخطبة وضرب السكة باسم السلطان سليمان[5] .

لَقِيَ هذا التمرُد ترحيبا من لدُن العثمانيين فأصدر السلطان أمراً بتعيينه حاكما لبغداد في 935 هـ / 1529 م[6]. وكان رد فعل الشاه طهماسب حصار بغداد وعندما فشل في دخولها و استعادتها، استعان بشقيقَي ذو الفقار بعد أن أغراهما

---

(1) الجميل، مرجع سابق، ص 93.

(2) j.De Hammer, op.cit, t 5, p 202.

(3) بغداد : مركز تجمُع طرق المواصلات و التجارة منذ القديم، و عاصمة الخلافة العباسية. و منذ سنة 1339 هـ / 1921 م أصبحت رسميا عاصمة العراق. أنظر : نصّار و آخرون ه، مرجع سابق ص 733.

(4) الوردي، مرجع سابق، ص52.

(5) يوسف رزق الله غنيمة، **نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق**، ط 1، مطبعة الفرات، بغداد 1924، ص 155 ؛ الأعظمي، مرجع سابق، ص 105.

(6) مهدي بيات، مرجع سابق، ص 31.

بالمـناصب والأموال، ونجحت المؤامرة وقُتـل ذو الفقـار خان، وعادت بغداد إلى ممتلكات الصفويين[1]. و لم يكن هناك أي رد فعل من السلطان سليمان على هذه الأحداث[2]، فقد كان مُنشغلا بفتوحاته في أوربا[3].

عندما تمكن الشاه طهماسب من استعادة بغداد وهزيمة حاكمها الموالي للعثمانيين، أرسل الى السلطان سليمان يهدده قائلا : **" إنّ أبي حين دخل مع أبيك الحرب في معركة تشالديران كان سَكْرانا في ذلك اليوم، ولم يكن لوحده على تلك الحالة ... بل إنّ قائده ... وسائر الأمراء و غالبية الجيش كانوا كذلك "**[4].

كان العراق هو الخط الأول لحماية الأناضول والدفاع عنه، والمنفذ الرئيسي للوصول إلى الخليج العربي بما يُمثله من قيمة في المجال التجاري[5]. وفي الوقت الذي كان فيه حاكم بتليس (Bitlis)[6] يغير تحالفه من العثمانيين إلى الصفويين كان الحاكم الصفوي على أذربيجان يتحالف مع العثمانيين، وهو نفس الموقف الذي اتخذه حاكم بغداد التابع للصفويين، الذي أرسل مفاتيح المدينة إلى القسطنطينية[7].

أوفـد السلطان سليمان الصدر الأعـظم إبراهيم باشا[8] لاستعادة السيـطرة على

---

[1] غنيمة، مرجع سابق، ص155؛ باسيام، مرجع سابق، ص 7.

[2] عمر عبد العزيز، مرجع سابق، ص 92-93.

[3] طقوش، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة، مرجع سابق، ص 213؛ مهدي بيات، مرجع سابق ص 32.

[4] باسيام، مرجع سابق، ص 8.

[5] أبو علية، مرجع سابق، ص 160.

[6] بتليس: مدينة في جنوب غربي بحيرة وان. أنظر : كي لسترنج، مرجع سابق، ص 218. أما اليوم فهي مدينة تقع في الجنوب الشرقي من تركيا. أنظر:
E.B,(http://www.britannica.com/search?query=Bitlis), 8 août 2012,15 h.

[7] Tèophile L'avallee, op.cit, p 227.

[8] ابراهيم باشا : عُيّن في الصدارة العظمى سنة 929 هـ / 1523 م بعد الحملة على رودس 928 هـ 1522 م مكان بيري باشا. يعود له الفضل في الانتصارات العثمانية في أوربا وفارس، أعدمه السلطان

بتليس وفتح بغداد، وفي الطريق سيطر على المواقع المحيطة ببحيرة وان[1]. ثم سار صوب حلب، وقبْلَ وصوله إلى قونية التحق به ابن حاكم أذربيجان الذي تخلى عن الصفويين[2]، وقضى فصل الشتاء في حلب، ومنها بَثّ الجواسيس لجمع المعلومات عن تحركات الشــاه و أحوال بغداد. ومن خلال الرسائل التي كان يُرسلها أحد رجاله، تَبيّنَ للقائد العثماني مدى سوء العلاقة بين الحاكم الصفوي لبغداد والقبائل العربية فيها، و أوصــاه أحد القادة بعدم التوجه مباشرة إلى بغداد وفق الخطة الموضوعة لقوة تحصينها. ولهذا غيّرإبراهيم باشا وجهة الحملة صوب تبريز[3].

حين عزم الصدر الاعظم على مواصلة السير لمواجهة الصفويين ودخول تبريز، رفض الجند مواصلة السير وقالوا **" لا يُقابل السلطان إلا سلطان، فنحن لا نُقابل سلطان العجم ما لم يكن السلطان معنا "**[4]، فأرسل الصدر الأعظم إلى السلطان يطلب منه اللّحاق به. وأثناء تقدُم العثمانيين لحرب الصفويين، أرسل الشاه طهماسب وفدا إلى السلطان سليمان القانوني يعرض عليه الصلح، لكن السلطان لم يرُد على عَرْض الشاه[5].

سليمان القانوني بتهمة الطمع في العرش. أنظر : نصّار و آخرون ، مرجع سابق، م 1، ص 6. وأيضا:
Tèophiile L'avallee, op.cit, p 214

[1] Tèophile L'avallee, op.cit, p 227.

[2] المحامي، مرجع سابق، ص 222.

[3] مهدي بيات، مرجع سابق، ص35 - 36.

[4] القرماني، مصدر سابق، ص 55.

[5] صباغ، مرجع سابق، ص 179.

دخل العثمانيون تبريز في 1 مُحرّم 941 هـ / 13 جويلية 1534 م[1] بعد أن **" تخلّى الشاه طهماسب عن الأرض على أمل الاحتفاظ بالجيش و الدولة "**[2]. وتـعود هذه السهولة في الاستـيلاء المُتكرر للعثمانيين على تبريز منذ عهد السلطان سليم الأول إلى موقعها الجغرافي بالقرب من الحدود العثمانية الصفوية[3] - و لهذا سوف يقوم الشاه طهماسب بتغيير عاصمة دولته بعد أن أصبحت تبريز في مُتناول العثمانيين في كل مرّة يُسيّر فيها العثمانيون حملات ضد الصفويين[4] - و في تبريز استقبل السلطان وفدا أرسله طهماسب يحمل عرضا آخر للصلح شرط انسحاب العثمانيين من الأراضي الصفوية[5]. إلى جانب استقباله لأمراء وحكام الأقاليم لإعلان مُبايعتهم له وتخليهم عن الشاه طهماسب[6].

بعد السيطرة على تبريز، بدأ السلطان حملة مُطاردة للشاه، فتوجّه نحو مدينة سلطانية التي هرب إليها الشاه من خراسان (Horasan)[7]، واحتمى بها، لكن لصعوبة طبيعتها، تركها السلطان سليمان وتحوّل منها إلى بغداد[8]، و دخلها بدون مقاومة في ربيع الثاني 941 هـ / نوفمبر 1534 م[9] بعد هروب حاكمها الصفوي

---

(1) Tèophile L'avallee, p 227.

(2) ايفانوف، مرجع سابق، ص 109.

(3) أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، مرجع سابق، ص 340.

(4) Roger M. Savory, op.cit, p 642.

(5) المرجع السابق، ص 341.

(6) طقوش، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة، مرجع سابق، ص 211.

(7) خراسان : تعني هذه الكلمة في اللغة الفارسية البلاد الشرقية، وكانت تُطلق في العهود الإسلامية على المناطق الممتدة من بلاد ما وراء النهر حتى الهند، ثم انحصر هذا التحديد إلى نهر جيحون. أنظر : كي لسترنج، مرجع سابق، ص 423-424؛ القرماني، مصدر سابق، ص 358. أما اليوم فهي مقاطعة تقع في شمال شرق إيران وعاصمتها مشهد. أنظر :
E.B,(http://www.britannica.com/search?query=Khorasan),8 août 2012,15 h.

(8) المحامي، مرجع سابق، ص 222-223؛ إبراهيم حليم، مرجع سابق، ص 91؛ طقوش، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة، مرجع سابق، ص 211.

(9) Mehrdad Kia, op.cit, p 53.

محمد خان إلى إيران، ومنذ هذا التاريخ أصبح السلطان يحمل لقب فاتح بغداد[1]. باستيلاء العثمانيين على العراق حيث المقدسات الشيعية، فقد الصفويون القاعدة الدينية التي كانوا ينطلقون منها لبناء دولة مذهبية قوية تتزعم العالم الإسلامي[2].

لقد كان للسياسة المذهبية التي انتهجها الصفويون في بغداد دورا في دخول السلطان المدينة بدون مقاومة[3]، وبالمقابل لم يصْحَب دخول العثمانيين إلى بغداد أي اضطهاد ديني للشيعة الذين حافظوا على حريتهم في شؤونهم الدينية[4]. ومكث السلطان نحو ستة أشهر في بغداد، زار خلالها مرقد الامام أبي حنيفة[5]، وأعاد عمارته بعد أن خرّبه الصفويون في عهد الشاه إسماعيل[6]. كما قام بإعمار المراقد المقدسة لدى الشيعة في كربلاء و النجف، وأوقف لها الأملاك على غرار المقدسات السُنية، الأمر الذي جعله سلطاناً للجميع.

إن مواقف السلطان سليمان وأعماله في العراق توحي برغبته في توحيد المسلمين واستيعاب الشيعة، و هو موقف يُمَيّزُهُ عن والده السلطان سليم الذي بلغ الصراع في عهده ذروته مع الصفويين[7]. وأرسى السلطان سليمان المؤسسات

---

(1) أوزتونا، ، ص 340.

(2) محمد عبد اللطيف، مرجع سابق، ص 65.

(3) ايفانوف، مرجع سابق، ص 86.

(4) نفسه، ص 110.

(5) أبو حنيفة (80- 150 هـ / 699-767 م) : هو النعمان بن ثابت و كنيته أبو حنيفة، فقيه وإمام مسلم أصله فارسي، ولد في الكوفة. منهجه الأخذ بالكتاب والسنة واجتهاد الصحابة. توفي في السجن في عهد الخليفة العباسي أبي جعفرٍ المنصور. أنظر : البعلبكي، مرجع سابق، ص 42؛ غربال و آخرون مرجع سابق، ص 56.

(6) النهروالي قطب الدّين، **الإعلام بأعلام بيت الله الحرام**، تحقيق فرديناند وستنفلد، د.ط، د.ن، ليْبزج 1857، ص 317، و أيضا:

j.De Hammer, op.cit, t 5, p 202.

(7) كوثراني، مرجع سابق، ص 50.

الإدارية والسياسة والاقتصادية للعراق، بعد أن جعل بغداد مركزا لإيالة عثمانية جديدة[1].

رحّب الناس بدخول بغداد في حوزة العثمانيين واعتبروه نعمة، بعد حرمانهم من الأمن والتسامح طيلة عهد الحكم الصفوي، فقد **"عُوملت الأقليات غير المسلمة بتسامح و قليل من التعصب، وجيء بالقوات اللازمة لحفظ الأمن و النظام "**[2] وأرسل السلطان خطابات إلى حكام البندقية والنمسا يُخبرهُم فيها بانتصاراته على الصفويين، ثم ترك بغداد بعد أن عيّن عليها سليمان باشا الحاكم السابق لديار بكر ليكون بذلك أول والي عثماني على العراق[3]. و كان إلحاق العراق بالممتلكات العثمانية أمـرا طبيـعيا، بعد أن خضع جـواره في مصر والشـام منذ 921 هـ 1516 م[4].

استعاد طهماسب عاصمته تبريز خلال تواجد السلطان سليمان في بغداد، وقام بمراسلة دول أوربا ليحثها على التحالف ضد العثمانيين، فوصل وفد من آل الهبسبورغ و البنادقة إلى تبريز للاتفاق على حملة عسكرية تتم من الشرق و الغرب[5].

---

(1) أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ص341؛ المحامي، مرجع سابق، ص 223؛ ايفانوف، ص 110. و الجميل، مرجع سابق، ص 93؛ مهدي بيات، مرجع سابق، ص 38.

(2) ستيفن هيمسلي لونكريك، مرجع سابق، ص 42.

(3) j.De Hammer, op.cit, p 223.

(4) صالح أوزيران، **الأتراك العثمانيون و البرتغاليون في الخليج العربي 1534-1581**، ترجمة عبد الجبار ناجي، د.ط، منشورات مركز دراسات الخليج العربي، البصرة، 1979، ص 27.

(5) Mehrdad Kia, op.cit, p 214.

كما راسل الشاه طهماسب البرتغاليين عارضا عليهم إقامة تحالف ضد العثمانيين طمعا في تزويدة بالمدافع والبنادق[1]، لكن السلطان سليمان سيَّر حملة جديدة ضد تبريز وافتكها منه[2]، ومكث فيها خمسة شهور، ثم غادرها إلى استانبول[3]. وفي سنة 936 هـ / 1529 م استقبل الشاه طهماسب سفراء من شارل الخامس خلال حصار السلطان سليمان القانوني لفيينا ووعده بدعمه في حربه.

في سنة 954 هـ / 1548 م قرّر السلطان سليمان توجيه حملة أخرى ضد الصفويين بعد لجوء القاص ميرزا[4] شقيق الشاه طهماسب للعثمانيين سنة 953 هـ / 1547 م طالبا منهم الحماية و المساعدة ضد أخيه مقابل اقتسام إيران مع العثمانيين[5]. فأراد السلطان استغلال فرصة انقسام الأسرة الصفوية، فسار نحو شيروان (Shirvan)[6]، وفتحها وعيّن عليها حاكما عثمانيا، ثم أكمل طريقه صوب تبريز برفقة القاص ميرزا ودخلها[7]، ثم غادرها تاركا إيران في حرب أهلية بين الشاه طهماسب وشقيقه القاص ميرزا[1].

---

(1) سلسلة الندوات التاريخية، حسن صالح شهاب، **الصلات التاريخية بين الخليج العربي و الدولة العثمانية**، ج 2، ط 1، مركز الدراسات و الوثائق، رأس الخيمة (الإمارات العربية المتحدة)، 2001 ص 208.

(2) طقوش، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة، مرجع سابق، ص 214.

(3) المحامي، مرجع سابق، ص 223.

(4) القاص ميرزا : كان القاص ميرزا ابن الشاه إسماعيل، و الأخ غير الشقيق للشاه طهماسب حاكما على إقليم شيروان، ثم اختلف مع الشاه طهماسب، فأعلن استقلاله. و لأن شيروان كانت مصدر هام لانتاج الحرير أرسل إليه طهماسب حملة عسكرية هزمته، فهرب نحو الدولة العثمانية. أنظر : صباغ مرجع سابق، ص 181؛ باسيام، مرجع سابق، ص 11.

(5) البدليسي، ص 146؛ مكاريوس، مرجع سابق، ص 150.

(6) شيروان : مدينة من مدن كيلان على بحر قزوين، تقع بين الجبال و الشعاب، وهي تُشبه مكة المكرمة في عُمرانها. أنظر : البغدادي صفي الدين عبد المؤمن، **مراصد الاطِلاع على أسماء الأمكنة و البقاع**، تحقيق محمدعلى البجاوي، ج 2، ط 1، دار المعرفة للطباعة و النشر، بيروت، 1954 ص 825؛ الحميري، مصدر سابق، ص 351؛ القرماني، مصدر سابق، ص 58.

(7) ابراهيم حليم ، مرجع سابق، ص 93؛ صباغ، مرجع سابق، ص 180. و أيضا:

بعد هزيمته لشقيقه، استعاد طهماسب السيطرة على إيران، وقام بنقل مقر العاصمة[2] من تبريز إلى قزوين (Kazvin)[3] الواقعة في المناطق الداخلية[4]. كما

واصل سياسته التقليدية في نشر الفوضى في الأناضول والتحرش بالأقاليم العثمانية على الحدود، فخرج السلطان سليمان من القسطنطينية متوجها صوب أذربيجان وعندما وصل إليها راسل الشاه طهماسب يدعوه للقتال، ويُعيّرُهُ بالهروب من المواجهة. فردّ الشاه طهماسب برسالة يذْكُرُ فيها **" أنه ندم فيما أظهر من عداوة وأظهر التذلل و الاستغفار، والتجأ إلى عتبة السلطان يطلب منه الصلح، فأجابه السلطان إلى سؤاله "**[5].

إن انتهاج الشاه طهماسب لذات السياسة التي سار عليها والده الشاه إسماعيل في علاقاته بمجموعات القزلباش في الأناضول والقائمة على التحريض والتأييد لزعزعة الاستقرار الداخلي للدولة العثمانية، هي التي أدت إلى استمرار الصراع و العداء بين أكبر دولتين إسلاميتين آنــذاك. ليتحوّل الصراع العثماني الصفوي مع مرور الوقت إلى صراع استنزاف مُستمر، يَخِفُ لفترة ويَقْوى لفترات. و برز

Mehrdad Kia, op.cit, p 54

(1) صباغ ، مرجع سابق، ص 181.

(2) مكاريوس، ص 150.

(3) قزوين : مدينة جبلية في شمال غرب طهران، سُميت كذلك نسبة إلى محمد قزوين أحد الفاتحين المسلمين في عهد الخلافة الأموية. أنظر: كي لسترنج، مرجع سابق، ص253-254؛نصار و آخرون مج 5، مرجع سابق، ص 2555؛ القرماني، مصدر سابق، ص 439-440؛ عبد السلام محمد، مرجع سابق، ص 262. أما اليوم فهي اسم لمحافظة تقع في شمال إيران. أنظر : عفيفي، مرجع سابق، ص 369. وأيضا:

E.B, (*http://www.britannica.com/search?query=Qazvin*) , 8 août 2012,15 h.

(4) محمد حسن العيدروس، **دراسات في الخليج و الجزيرة العربية**، ج 5 د.ط، دار الكتاب الحديث الجزائر، 2009، ص 28.

(5) القرماني، مصدر سابق، ص 62.

هذا الصراع جليا خلال هذه الفترة في العراق، و الحملات العثمانية المتلاحقة على العاصمة الصفوية تبريز .

بدأ الضجر من الحروب المتواصلة بين العثمانيين والصفويين في نقل علاقات الطرفين من حالة العداء إلى حالة السلام. ولهذا الغرض، وصل قائد الحرس الشخصي للشاه طهماسب في 961 هـ/ 1554 م إلى أرزروم طالبا إحلال الهدنة بين الطرفين[1]. عبّر الشاه طهماسب في خطابه عن موقف ميّال للسلم، و وصف الحرب بين الطرفين اقتتالا أخويا، كما انتقد سياسة والده إسماعيل الذي أذعن للمحرضين لقتال العثمانيين و حمّله مسؤولية و قوع معركة تشالديران[2].

أعقب الشاه بعثته السابقة بسفارة أخرى، تحمل رسالة ودّية فيها طلبٌ من السلطان بالسّماح للحجاج الإيرانيين بزيارة المدن المقدسة، فوافق السلطان على هذا الطلب، وأمر حكام الحدود بحماية قوافل الحجيج الإيرانيين إلى مكة و المدينة. كما كتب السلطان سليمان إلى الشاه يخبره بأن إحلال السلام مُمكن بين الدولتين في حالة التزم الصفويون بِهِ[3].

تجسّدت هذه الرغبة في السلام في الاتفاقية المُوقعة في أماسيا بتاريخ 8 رجب 962 هـ / 29 ماي 1555 م[4] . و كان من بين أهم ما نصّت عليه معاهدة أماسيا توقف الصفويين عن سب خلفاء المسلمين الثلاثة، و قذف السيّدة عائشة رضي الله عنها، زوجة الرسول ﷺ في عباداتهم و مراسيمهم الدينية. وقد اضطر السلطان سليمان إلى الجنوح للسّلم مع الصفويين بسبب المشاكل

---

[1] P.M.Sykes, **A History Of Persia**, v1-2, S.edt, Macmillan And Co, London 1915, p 248.

[2] باسيام، مرجع سابق، ص 12.

[3] P.M.Sykes, op.cit, p 248.

[4] طقوش، تاريخ الدولة الصفوية، مرجع سابق، ص 101.

والصراعات الداخلية التي بدأت تطفو بين أولاده[1]. غير أنّ السبب الهام الذي دفع العثمانيين لفعل ذلك، هو محاولتهم لإيجاد استقرار عند حدودهم الشرقية لكي يتفرغوا للجبهة الغربية حيث القوات المسيحية، ولمواصلة فتوحاتهم في أوروبا.

تعتبر معاهدة أماسيا بداية عصر جديد في العلاقات العثمانية الصفوية، وما يدُلُ على ذلك هو الخطاب الذي أرسله الشاه طهماسب إلى سليمان القانوني ليُهنئهُ باكتمال بناء جامع السليمانية في استانبول، ووعده بالتكفل بتزويده بالسجاد الإيراني و ايفاد الفنانين لتزيينه[2].

بلغت الدولة العثمانية في عهد السلطان سليمان القانوني أوج درجات القوة والنفوذ إقليميا ودوليا، حيث اتسعت أرجاؤها على نحو لم تشهده من قبل وامتدت هيبتها في العالم كله، وارتقت فيها النظم والقوانين. بينما في المقابل لم يستطع الشاه طهماسب إعادة ترتيب أوضاع الدولة الصفوية بعد خلافته لوالده الشاه إسماعيل. فقد تولى الحكم في فترة تميزت بالصراع الشديد بين زعماء القزلباش الذين استغلوا صغر سن الشاه، وعندما استقرت له الأوضاع، واصل سياسة والده في إثارة الفتن في الأناضول. لكنه واجه سلطانا عثمانيا ورث عن والده سليم الأول روح العداء للصفويين، فعجز عن مواجهته رغم سعيه الحثيث لبناء علاقات مع دول أوربا ضد العدو المشترك.

تركزت السياسة العثمانية في عهد سليمان على الإحتواء الجغرافي للصفويين وذلك بسبب التحديات الأخرى التي كانت تواجهها السلطنة العثمانية على امتداد حدودها الأوروبية. غير أنّ سقوط دولة المماليك وإلحاق ممتلكاتها بالدولة، أعاد اهتمام العثمانيين بالصراع مع أوروبا المسيحية، وجعل الصراع مع

---

[1] فاروقي، الدولة العثمانية و العالم المحيط بها، مرجع سابق، ص 310.

[2] باسيام، مرجع سابق، ص 14.

الصفويين ثانويا، ولهذا بلغت الدولة العثمانية في عهد السلطان سليمان أوج قوتها. وهو ما تجلى في فتوحات العثمانيين في أوروبا، حيث نجحوا في فتح العديد من الأقاليم الأوروبية غير المسلمة، فكان من الضروري تأمين حدودها. وإذا كان العثمانيون - تحت ضغط حربهم في أوروبا ومع الصفويين - قد أحجموا خلال أوائل القرن السادس عشر الميلادي عن اتخـاذ خطـوات مبـاشرة لتدعيم نفـوذهم في البحر الأحمر والخليج العربي والمحيط الهندي لمواجهة الخطر البرتغالي بقوة و فعالية، حيث اكتفوا في ذلك باعتراف الزعامات المحلية بالخضوع للسيادة العثمانية، فإن ذلك يرجع بصفة أساسية إلى تعدد جبهات المواجهة التي كان لها آثار و تداعيات على مستوى نجاحهم في البعض من هذه الجبهات، وهو ما لمسناهُ في البحر الأحمر والخليج العربي والمحيط الهندي.

الفـصل الثــالث

دوافـــع الصــراع العثــماني الصفــوي و آثـــــارُهُ

المبحث الأول : دوافع الصراع العثماني الصفوي.

1- الدافـــع الســـياسي.

2- الدافـــع الاقتصادي.

3- الدافـــع المــذهــبي.

المبحث الثاني : آثار الصراع العثماني الصفوي.

1- الفتوحات العثمانية في أوربا.

2- الأنــدلــس.

3- الخليـج العربي.

يُعتبر الصّراع والصدام المباشر الذي حدث بين القوتين الإسلاميتين الكبيرتين العثمانية و الصفوية - منذ أن دخل الشاه إسماعيل تبريز، وإعلانه عن ميلاد دولته على قاعدة دينية مذهبية - من أهم المحطات في التاريخ الإسلامي، وحقبه هامة في حالة المدّ و الجزر السُني - الشيعي . ويبدو أن الطابع الذي أُضْفِيَ على هذه العلاقات لم يكن ناتجا عن عامل مُعيّن بذاته يمكن من خلاله تبرير حالة الصراع التي وصلت إلى حدّ الاقتتال في مواقع متعددة، أشهرها موقعة تشالديران. كما أفرز هذا الصراع آثارا بارزة في الواقع السياسي للمنطقة الإسلامية و العالم خاصة وأنّ الدولتين العثمانية و الصفوية كانتا آخر دولتين إسلاميتين كبيرتين امتدتا سياسيا و جغرافيا عبر أجزاء كبيرة و هامة من العالم الإسلامي.

المبحث الأول : دوافع الصراع العثماني الصفوي.

إن السلوك الانتقامي الذي صاحب الحروب العثمانية الصفوية، وعمليات القتل المُتبادل للسكان على أساس مذهبي وطائفي، وانتشار حركة الافتاء على مُقاتلة الطرف الآخر، قد يبدو معه أنّ المذهب هو مُبرّر الصراع و مُحرّكهُ بين الطرفين، العثماني السُني و الصفوي الشيعي - وعلى أيّ حال - يمكن ضبط و تحديد عوامل الصراع رغم تداخلها و تشابكها في ثلاثة مستويات.

1- الــدافع السيــاسي.

سَرَّعَ تَوَلّي السلطان سليم الأول الحكم بحدوث أزمة في العلاقات العثمانيّة الصفويّة بعد أن مرت هذه العلاقات بمرحلة من الهدوء أيام بايزيد الثاني[1]. إذ كان السلطان سليم يُؤمن بقوة بأنّ استقرار الأناضول لا يمكن أن يتحقق إلا بكسر شوكة الشاه إسماعيل، ومن وراءه المذهب الذي قامت على أساسه الدولـة الصفـوية

[1] الجميل، تكوين العرب الحديث، مرجع سابق، ص 78.

فيُصاب أتباعه بالارتباك[1]. وهذا على الضّد من سياسة والده التي بُنيت على مُهادنة الشاه و العمل على احتواء طموحاته المذهبية و السياسية كما مرّ بنا.

كان منطقيا أن يتحوّل التركيز العثماني إلى الجبهة الشرقية حيث تعيش الأكثرية المُسلِمة، والتي يمكن الاعتماد عليها في تحقيق الوحدة الإسلامية التي كان يرنو إليها السلطان سليم الأول[2]. وهو مشروع كانت الدولة الصفوية تُشكل حاجزا أمامه، وهي أيضا أضحت تشكل فاصلا سياسيا و حضاريا و مذهبيا بين العثمانيين والمجال الجغرافي الأصلي الذي انطلق منه الأتراك، منذ أن بدأ انسيابهم نحو بلاد فارس و الأناضول[3].

في الجهة الأخرى، قرّر الشاه إسماعيل العمل بكل الوسائل لتوسيع نفوذه السياسي في شرق الأناضول[4]، لزيادة الرقعة الجغرافية لدولته، **" فقد فَرض التشيُع على السكان من أجل بناء الدولة "**[5]. الأمر الذي اعتبره العثمانيون تهديدا سياسيا كبيرا، يَستوجِب التصدّي لهُ بحزم، فقد كان بإمكان الشاه - في أي وقت - أن يُحرّك أنصارهُ من الشيعة في الأناضول للتمرد على السلطة المركزية العثمانية[6]. كما بدأ يتسلل داخل العراق مذهبيا، إلى أن تمكّن من إلحاقه بدولته. زيادة على ذلك، شجّع الحركات المذهبية في سوريا التي كانت خاضعة للمماليك ولم يكن بمقدور هؤلاء اتخاذ موقف حازم ضد تلك الأعمال - فقد بلغت دولتهم من

---

(1) جرامون، مرجع سابق، ص 211.

(2) أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، مرجع سابق، ص 237.

(3) طقوش، تاريخ الدولة الصفوية في إيران، مرجع سابق، ص 64.

(4) الجميل، تكوين العرب الحديث، مرجع سابق، ص 80.

(5) Olivier roy, ***The Failure Of Political Islam***, Harvard College, Usa, 1994 p 170.

(6) المرجع السابق، ص 80.

الضعف حدًا جعل البحرالأحمر و البحر المتوسط و المحيط الهندي عرضة للسقوط في يد البرتغاليين - سوى اتصالهم بسلطان الدولة العثمانية الجديد سليم الأول بعد أشهر من توليه الحكم لتكوين حلف ضد الصفويين سنة 918 هـ / 1513 م[1].

تُعدُ الجغرافيا من العوامل التي تُحدد وتتحكم في طبيعة العلاقات الخارجية بين الجماعات البشرية، فانطلق العثمانيون في البحث عن مجالات جغرافية جديدة للنّشاط والتوسُع بعد أن أصبحت فتوحاتهم في أوربا مُكْلِفة نتيجة اصطدامهم بقوى أوربية كبرى، مثل المجر والنمسا.

إنّ الرغبة في توسيع نطاق الدولة الجغرافي باتجاه المواقع الاستراتيجية كان هدفا سياسيا للدولتين العثمانية والصفوية[2]. فعلى سبيل المثال، احتدم الصراع بين الجانبين على مدينة الموصل التي شكّلت عبر التاريخ معبرا رئيسيا و مَنفذا هاما للوصول إلى الأناضول و التحكُم فيه[3]. ولهذا اشتد الصراع السياسي بين القوتين العثمانية و الصفوية للسيطرة على المنطقة لتحقيق الطموحات السياسية وبناء امبراطورية - تنفرد بقيادة المنطقة - على حساب الدولة الأخرى[4].

كانت الفتوحات الواسعة التي حققتها الدولة العثمانية في عهد السلطان سليم الأول - في فترة زمنية قصيرة - ترمي إلى تكوين جدار استراتيجي لصدّ المشروع الصفوي، و هذا التوجُه هو الذي فرض على السلطان سليم الاعتناء بالجيش، من حيث التسليح الناري الذي كان قد بدأه والده السلطان بايزيد الثاني بإنشاء أول فرقة مُشاه مُسلحة بالبنادق[5]، مُستغلا في ذلك عدم امتلاك

---

(1) الجميل، بقايا وجذور، مرجع سابق، ص 100.
(2) كوثراني، مرجع سابق، ص 56.
(3) نفسه، ص 56.
(4) الجميل، ، ص 106.
(5) أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، مرجع سابق، ص 211.

الدول القائمة في المنطقة - خصوصا الدولة الصفوية - السلاح الناري و المدفعية و البنادق[1]. و بالمقابل كان طبيعيا أن يجتهد الصفويون لاختراق هذا الجدار لتحقيق مآربهم السياسية [2].

إنّ وصول البرتغاليين إلى المنطقة، ساهم هو الأخر في تغيير استراتيجية التوسُع العثمانية من الغرب باتجاه الشرق. إذ أنّ العلاقة والتحالف الذي قام بين البرتغاليين والشاه إسماعيل ضد الدولة العثمانيّة، كان أحد أسباب الحرب بين الطرفين.

زيادة على ذلك،فالتوجُه العثمانيّ نحو الشرق كان يستهدف منازلة البرتغاليين وإبعادهم عن سواحل الجزيرة العربيّة[3]. ولذلك يعتبر التواجد البرتغالي في المنطقة، أحد أقوى الدوافع التي جعلت العثمانيين يخططون للسيطرة على الحجاز و العراق و اليمن[4].

لقد فتح التفاف البرتغاليين حول طريق رأس الرّجاء الصالح[5] أمامهم فرصة لتوطيد نفوذهم في الهند والخليج العربي والبحر الأحمر[6]، وانطلقوا في ممارسة القرصنة ضد السفن الإسلامية بدافع صليبي، إذ أنّ **" سيف الرب و حاكم اسرائيل**

---

[1] نفسه، ص 217.

[2] كوثراني، مرجع سابق، ص 56.
[3] ابن طولون، مصدر سابق، ص322.
[4] عمر عبد العزيز، مرجع سابق، ص 95.
[5] الجميل، تكوين العرب الحديث، مرجع سابق، ص 102.
[6] عبد الرحيم مصطفى، مرجع سابق، ص 82.

قد خدما البرتغاليين عندما كان شعارا للفتوحات البرتغالية "[1]. فكان ذلك السلوك يمثل صورة عن الإرهاب الصليبي الجماعي الذي مارسه البرتغاليون [2].

من جانب آخر، وجدت الدولة الصفوية في حضور البرتغاليين الطارئ على الخليج العربي فرصة للتقرُب منهم، والتحالف معهم ضد الدولة العثمانية

فالخلافات السياسية بين الدولتين الإسلاميتين كانت أبرز أسباب ضعف وجودهما في الخليج العربي لمواجهة التحديات التي كان يقودها البرتغاليون و يفرضونها على المنطقة [3].

إنّ ما يُؤكد أن السلطان سليم الأول كان يُدرك حجم الخطر البرتغالي، ويُخطط لوقف انتشاره في الشرق الإسلامي، هو أنه استفاد من المعلومات التي قدّمها بعض المسلمين الذين استقروا في استانبول، و المدن الإسلامية الأخرى بعد فرارهم من الأندلس. وكان هؤلاء على دراية بمخططات و نوايا بابا روما و إسبانيا و البرتغال في المحيط الهندي[4].

مع بداية سنة 910 هـ / 1505 م، بدأ ألفونسو دي البوكيرك في غزو السواحل العربية وتدمير المراكز التجارية[5]، وتهديد المقدسات الإسلامية في الحجاز[6]. و بعد أن فقد سكان السواحل العربية الأمل في المماليك لمواجهة الحملات

---

[1] روي فيريرا اندرادي، **يوم سقطت هرمز**، ترجمة عيسى أمين، مؤسسة الأيام للصحافة والطبع والنشر و التوزيع، المنامة، 1996، ص 8.

[2] محمد حسن العيدروس، **تاريخ الخليج العربي الحديث و المعاصر**، ط 1، عين للدراسات والبحوث الانسانية و الاجتماعية، القاهرة، 1996، ص 11؛ ايفانوف، مرجع سابق، ص 46.

[3] حسن شهاب، مرجع سابق، ص 152 - 153.

[4] عبد الرحيم مصطفى، مرجع سابق، ص 82.

[5] للمزيد حول الممارسات البرتغالية في حق المسلمين في البحر الأحمر و المحيط الهندي و الخليج العربي. أنظر: ايفانوف، مرجع سابق، ص 46.

[6] نوار، مرجع سابق، ص 83.

البرتغالية [1] تطلّعوا إلى العثمانيين، الذين كانوا يمثلون أكبر قوة إسلامية حينها. فبادروا إلى الاهتمام بهذه المناطق، فتحرّكوا نحوها لنجدة الأماكن المقدسة و مواجهة التحالف الذي بدأ يَقْوى بين البرتغاليين و الصفويين، و يُهدد كيان دولتهم.

لقد كان السُلطان سليم الأول يُخطط لإنقاذ الحرمين الشريفين من أي خطر يتهددهما وخاصة خطر البرتغاليين[2]. كما أنّ الأمر الذي أصدرهُ السلطان سليمان إلى والي مصر ببناء اسطول جديد في السويس – وقد بُدأ في بناءه سنة 943 هـ 1537 م - كان الغرض منه مواجهة البرتغاليين و مساعدة المسلمين في الهند[3]. وبهذا التوجُه، بدأ العثمانيون في بناء وتكوين قاعدة لنفوذهم الاقتصادي و السياسي في المحيط الهادي[4].

كان موقف الصفويين من الوجود البرتغالي في الخليج العربي، هو موقف المُوالي و الحليف، فلم يكونوا مُستعدين لقتالهم بسبب الإنهاك الذي طَالَهُم جرّاء حروبهم ضد الدولة العثمانية[5]. ولهذا أرسل الشاه سفيرا في 920 هـ 1515 م إلى القائد البرتغالي البوكيرك يطلب منه تزويده ببعض السفن لاستخدامها في احتلال البحرين والقطيف[6]. إلى جانب مساعدته في إخماد ثورة قامت ضدّه

---

[1] ايفانوف، ص 51.

[2] متولي، مرجع سابق، ص 83.

[3] ياغي، مرجع سابق، ص 47.

[4] عبد الرحيم مصطفى، مرجع سابق، ص 82.

[5] سلسلة الندوات التاريخية، مرجع سابق، ص 94-95.

[6] القطيف: بفتح القاف وكسر الطاء، من بلاد البحرين، ظهرت فيها حركة القرامطة. أنظر: الحميري مصدر سابق، ص 465؛ الحموي، مج 4، مصدر سابق، ص 378، القرماني، مصدر سابق، ص 441. أمّا اليوم فهي مدينة وواحة في منطقة الشرقية الواقعة في الشمال الغربي من المملكة العربية السعودية. أنظر:
E.B,(http://www.britannica.com/EBchecked/topic/485636/Al-Qatif),1 mai 2013, 23 h.

في مكران (Makran)[1]، كما عرض عليه إقامة تحالف بينهما ضد العثمانيين[2]. لكن البرتغاليين كانوا على علم بالضعف الذي آل إليه وضعُ الصفويين، وأنه لا طائل يُرجى من مُحالفتهم، فلم يُساعدوهم رغم وعودهم لهم[3].

إنّ ما زاد في تأزم العلاقات، واحتدام الصراع بين العثمانيين و الصفويين هو إيواء كل بيتِ حاكِم منهما للخصوم و المُعارضين لبيت الحكم الآخر[4]. فقد التزم الشاه إسماعيل بمساعدة الأمير العثماني أحمد الذي عارض حكم السلطان سليم الأول، وثار ضدّه بعد أن اتصل بالشاه وطلب منه نُصرتهُ [5]، وعندما فشل تمرُدّه وانتهى عصيانه بإعدامِه، لجأ ابنه مُراد إلى الشاه إسماعيل، الذي استقبله بحفاوة، و وعده بنُصرته و إجلاسه على العرش العثماني بدلا من عمّه سليم[6]. كما أمدّ الشاه الكثير من المعارضين للسلطان العثماني بالجند و السلاح، ناهيك عن التأييد السياسي[7].

2- الـدافع الاقتصـادي.

---

[1] مكران: جزء من بلاد بلوخستان على ساحل خليج عُمان. أنظر: الحميري، ص 543 و محمد وجدي، مج 9، مرجع سابق، ص 318. أمّا اليوم، فهي إقليم واسع في جنوب إيران، يُطِلُ على بحر العرب. أنظر:
E.B, (http://www.britannica.com/EBchecked/topic/359318/Makran),11 octobre 2013 23 h.

[2] ج.ج.لوريمر، **دليل الخليج (القسم التاريخي)**، ترجمة قسم الترجمة بمكتب أمير دولة قطر، ج 1 ط 1، مطابع علي بن علي، الدوحة، د.خ.ش، ص 14.

[3] سلسلة الندوات التاريخية، ص 95.

[4] أبو زيدون، مرجع سابق، ص 77.

[5] آق كوندز و أوزتورك، مرجع سابق، ص 213.

[6] فلسفي، مرجع سابق، ص 39.

[7] ايفانوف، مرجع سابق، ص 51 ؛ نوار، مرجع سابق، ص 81.

دأبت السلطة العثمانية على إقامة المراسِم والمواعيد الدينية لتنشيط الأسواق وتوسيع التبادل التجاري لدوره في البنية الاقتصادية للدولة[1]. وكانت هذه الأسواق تتداول المنتجات الهندية و الفارسية [2]، مثل الفلفل و التوابل و الصّباغ [3]. لكن الأقمشة الحريرية كانت هي الأكثر انتشارا، بسبب استقرار الكثير من الأوربيين في الإمارات الصليبية في الشام وإطلاعهم على هذه البضاعة. و أيضا شُيوع استخدامها من قِبل الفئات الحاكمة في أوربا [4].

لقد أدت أهمية مادة الحرير إلى نمو ورواج صناعتها في أوربا وتحوُل تجارتها إلى أساس التبادل التجاري العالمي، و مصدر الثروة الرئيسي في الاقتصاد[5]. و بفضله أيضا، تحوّلت مدينة بورسة إلى أهم محطات طريق الحرير العالمي، و سوقا هامة له. بل إن أهميتها لم تكن فقط لكونها طريقا و سوقا للحرير بل أيضا لِسِلع أخرى قادمة من آسيا الوسطى، مثل المِسك و الخزف الصيني.

تحوّلت بلاد فارس إلى المصدر الأساسي للحرير الخام[6]، وعوّضت الصّين في ريادة المُصدرين للحرير بسبب الاضطرابات التي كانت تعيشها الامبراطورية المغولية في الصّين[7]. وقد أدركت الدول المعنية بهذه التجارة، خاصة الدولتين الصفوية و العثمانية الأهمية الاستراتيجية لهذه التجارة[8]. فأضحت المناطق

---

(1) هاملتون جب، مرجع سابق، ص 332-333.

(2) نفسه، ص 337.

(3) فاروقي و آخرون ، **التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العثمانية**، ترجمة قاسم عيده قاسم مج 2، ط 1، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2007، ص 273.

(4) نفسه، ص 227.

(5) اينالجيك، مرجع سابق، ص 194.

(6) الجميل، بقايا وجذور، مرجع سابق، ص 107.

(7) فاروقي و آخرون ، التاريخ الاقتصادي و الاجتماعي، مرجع سابق، ص 228.

(8) نفسه، ص 340.

المُنتجة للحرير في بلاد فارس هدفا حيويا للعثمانيين خاصة في عهد السلطان سليمان القانوني [1].

لقد ترافق التـوجه السياسي العثمـانيّ نحو الشـرق مع الدافع الاقتصادي، إثْرَ ظُهُور مشـاكل تجاريـة عميقة، كانت الدولة تتعرض لها، نتيجة لاكتشاف رأس الرجاء الصالح[2]، وتحوُل التجارة من البحر المتوسط إلى المحيطين الأطلسي والهندي [3]، وهو واقـع اقتصادي قابلـه ازديـاد كبيـر في عـدد سكـان الدولة. الأمر الذي أدى إلى عجز في سدّ حاجيات المجتمع من القمح، فارتفعت الأسعار، وهو ما فرض على السلطة البحث عن مصادر جديدة لزيادة مساحة الإنتاج الزراعي[4].

لقد سعى السلطان سليم الأول وفق استراتيجية الدولة العثمانية الجديدة للوصول إلى الهند، للتحكم في الطرق التجارية، و منافسة البرتغاليين[5]. و نتج عن التوسع العثماني في الشرق، تزايد الضغط على الدولة الصفوية، و سيطرة العثمانيين - وبشكل كامل - على الطريق التجاري المحوري للحرير: تبريز- حلب- بورسة[6]. وفي الطرف الآخر، حرِص الشاه إسماعيل على الحصول على منفذ يربط بلادهُ بأوربا، حيث كان للحرير الفارسي دورا اقتصاديا حيويا[7].

---

[1] نفسه، ص 342.

[2] رغم أن جزءًا كبيرًا من حجم التجارة الأوربية تحوّل طريقه إلى المحيط الأطلسي عبر رأس الرجاء الصالح، إلا انّ الطرق التقليدية لم تفقد أهميتها خاصة بالنسبة لتجارة التوابل بسبب طول المسافة التي تربط مصدرها في الهند بأوربا عن طريق رأس الرجاء الصالح، والتي كانت تُعرِضُها للتلف أو فقدان جودتها. أنظر صبّاغ، مرجع سابق، ص 79.

[3] كوثراني، مرجع سابق، ص 66.

[4] طقوش، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة، مرجع سابق، ص 149.

[5] نفسه، ص 148.

[6] دراج، مرجع سابق، ص 18 ؛ صباّغ، مرجع سابق، ص 78؛ كوثراني، مرجع سابق، ص 56.

[7] أحمد مصطفي، مرجع سابق، ص 45.

بدلا من استغلال التجارة وتنشيطها مع الدولة الصفوية، لجأ السلطان سليم إلى فرض حصار اقتصادي عليها، ومصادرة البضائع الفارسيّة من أيدي التجار العرب والفرس والتُرك، كما منع استيراد الحرير الفارسي و تسويقه، وفرض الغرامات على من يقبض عليهم وهم يبيعونه[1]. و كان من بين أهداف الطوق التجاري الذي فرضه السلطان سليم الأول على تجارة الحـرير- التي كانـت المورد الرئيسي للاقتصاد الصفوي- هو منع وصول المواد الخام من الحديد و النحاس التي تستعمل في صناعة الأسلحة[2].

لم يكن الدافع الاقتصادي غائبا أيضا عندما صمّم السلطان سليم الأول على التوجُه صوب مصر و الشـام والقضاء على دولة المماليك. إذ أنهُ رغِـب في تحويل البحر الأحمر إلى مجال مائي عثماني للهيمنة على المراكز التجارية التي كانت هدفا للبرتغاليين[3]، والذين كانوا قد تمكنوا من إقامة مراكز تجارية ثابتة على سواحل وجزر المحيط الهندي[4].

إنّ إصرار السلطان سليم على تنفيذ خطته في الاستيلاء على مصر و الشام يُبرز رغـبتهُ في تأمين معابر التجارة العثمانية في البلاد العربية التي كانت تتحكم في التـجارة بين الشـرق والغـرب مـنـذ أقـدم العُـصور، من خلال طريقين أساسيين هُما: طريق البحر الأحمر - مصر، و طريق الخليج العربي - العراق - الشام.

إضافة إلى ذلك، رغِبَ السلطان سليم في الحصول على الأموال الطائلة الناتجة عن الضرائب، خصوصا بعد أن أضحت هذه المعابر موضع تطويق و تهديد من

---

(1) فاروقي و آخرون ، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، مرجع سابق، ص 340.

(2) طقوش، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة، مرجع سابق، ص 149.

(3) محمد حميد السلمان، **الغزو البرتغالي للجنوب العربي و الخليج في الفترة ما بين1507-1525م** مركز زايد للتراث و التاريخ، أبوظبي، 2000، ص 94.

(4) عمر عبد العزيز، مرجع سابق، ص 95.

طرف البرتغاليين[1] . وبالتالي تكون الدوافع الاقتصادية أسبابا رئيسية في تحرُّك السلطان سليم ضد المماليك. فتوجيه حملة عسكرية ضدهم كان بالنسبة له ضرورة من شأنها أن توفر له طريقا بحريا تجاريا يُسهل عليه تمويل حملاته الموجهة ضد الصفويين[2].

يأتي هذا القرار من طرف السلطان سليم الأول بالاتجاه صَوْبَ البلاد العربية في ظل تغيُر اقتصادي عالمي كبير، بِتَحوُل طرُق التجارة إلى معبر رأس الرجاء الصالح. و كنتيجة لذلك بدأت مُنتجات الهند تغيبُ عن الأسواق في مصر و الشام[3]. هذا على الرغم من أن اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح التجاري لم يُؤد في الواقع إلا إلى تقليل في حجم تجارة العبور عبر هذه المنطقة، إذ استمرت الطرق التجارية التقليدية تؤدي و ظيفتها[4]

في المقابل، بنى الصفويون انفتاحهم الكبيرعلى دول أوربا وإبرامهم للمعاهدات السياسية و الاقتصادية معها على أساس العداء السياسي المُشترك للدولة العثمانية إلى جانب السعي إلى توسيع أسواق الحرير الفارسي في أوربا[5]. و من ثَمّ نَشِطت السياسة الصفوية في إثارة الاضطرابات في الأناضول بهدف السيطرة عليه. إذ أنهُ كان منذ القديم معبرا تجاريا هامًا بين أوربا و آسيا، حيث كانت القوافل التجارية تستخدم الممرات الجبلية و الوديان في الأناضول للوصول إلى سواحل البحر الأبيض المتوسط[6]. وبحكم أنّ الدولة الصفوية كانت دولة داخلية لا يُوجد ما

---

(1) متولي، مرجع سابق، ص 90.

(2) طقوش، تاريخ المماليك، مرجع سابق، ص 485.

(3) غسان الرمال، مرجع سابق، ص 224-225.

(4) جب و بوين، مرجع سابق، ص 29.

(5) بديع جمعة، مرجع سابق، ص 6.

(6) محمد عبد اللطيف، مرجع سابق، ص 45.

يربطها بأوربا، برزت أهمية الأناضول بالنسبة لها[1]. هذا إلى جانب غِنى الأناضول بأهم المعادن الرئيسية مثل الفضة والنحاس[2].

أثناء وجوده في مصر، أمر السلطان سليم الأول في سنة 922 هـ / 1517 م بالبدء في بناء أسطول بحري في السويس لمواجهة التهديد البرتغالي على سواحل الجزيرة العربية في البحر الأحمر[3]. لكن رغم هذه الجهود، بَقِيَ العثمانيون حتى سنة 932 هـ / 1526 م يعتمدون على ما ورِثوه من سفن الأسطول المملوكي. ويعود هذا الأمر إلى انشغال السلطة العثمانية بالفتوحات في أوربا، و أيضا بمواجهة الصفويين [4].

تحولت السويس منذ ذلك التاريخ إلى قاعدة للنشاط البحري العثماني باتجاه المحيط الهادي[5]، غير أن الصراع مع البرتغاليين لم يشتد ويدخل مرحلة التنفيذ في عهد سليم الأول لاهتمامه الكبير بتنظيم و تعزيز القوة البحرية العثمانية في البحر الأبيض المتوسط، بعد عودته إلى استانبول من القاهرة[6]. لكن الموقف العثماني تغيّر في عهد السلطان سليمان القانوني خاصة منذ التحاق العراق بالدولة العثمانية وبداية امتدادها في جنوبه [7].

كانت الأسواق العثمانية هي المحور الأساسي للتجارة الصفوية، وبعد أن قام السلطان سليم الأول بغلق الحدود مع بلاد فارس، انقطعت التجارة الفارسية عن

---

[1] نفسه، ص 45.

[2] نفسه، ص 45.

[3] جمال زكريا قاسم، **الخليج العربي (دراسة لتاريخ الإمارات العربية في عصر التوسع الأوربي الأول)**، دار الفكر العربي، القاهرة، د.خ.ش، ص 83؛ اينالجيك، مرجع سابق، ص 196.

[4] سلسلة الندوات التاريخية، مرجع سابق، ص 81.

[5] صالح اوزيران، مرجع سابق، ص 42.

[6] جمال قاسم، مرجع سابق، ص 83.

[7] نفسه، ص 84.

البحر الأبيض المتوسط، و توقفت واردات الدولة الصفوية من المواد الحديدية التي كان مصدرها الأناضول، بحكم فقرها الشديد في إنتاج هذه المواد، فَـرَفَعَ هذا الحصار حالة التدهور السياسي والعسكري للدولة الصفوية[1].

أُجْـبِـرَ التُجار الصفويون- لكسر الطوق التجاري العثماني - على التحوّل إلى الأراضي المملوكية لتسويق بضائعهم، لكن السلطان سليم الأول تفطّن لهذا الأمر، فقام بتشديد المُراقبة على حركة التجارة التي كانت تَتِمُ عبر الحدود مع دولة المماليك[2]. فلم يـجد الشـاه إسماعيل بُـدا من تكثيـف علاقاتـه مـع القـائد البـرتغالي البوكيرك، سعيا منه إلى فك الحصار الاقتصادي عن دولته. كما سعى إلى فتح منفذ تجاري مع الهند، التي كانت تجارتها خاضعة للبرتغاليين. لكن هذه المساعي فشلت في تحقيق هذا الهدف[3].

للتدليل على أهمية تجارة الحرير في الاقتصاد العالمي، ومدى حيويتها بالنسبة للاقتصاد الصفوي من جانب، وإدراك العثمانيين لمدى فعالية هذه الأداة في الضغط على خُصومهم الصفويين، بُغية تحقيق هدفهم السياسي المتمثل في الحدّ من تأثيرهم في المنطقة واحتواء طموحاتهم، بعد أن فشلت الحملات العسكرية في القضاء على دولتهم، و إنهاء أمرهم نهائيا من جانب آخر. نوردُ الجدولين التاليين: يمثل الجدول الأول العائدات المالية الناتجة عن تجارة الحرير، و الثاني يمثل حجم عائدات الضرائب الناتجة عن تجارة الحرير في بورسة.

---

(1) Grammont, op.cit, p 244.

(2) Ibidem.

(3) Grammont , op.cit, p 244.

الجدول الأول[1] : العائدات المالية الناتجة عن تجارة الحرير.

السنة	مجموع العائدات (الوحدة : ملايين الأقجات)
1487	6.00
1508	5.45
1512	7.35
1513	7.30
1521	2.10
1523	3.00
1531	3.10
1540	2.90
1542	3.80

الجدول الثاني[2]: حجم عائدات الضرائب الناتجة عن تجارة الحرير.

السنة	مجموع العائدات (الوحدة : الدوقية الذهبية، عملة البندقية)
1487	40 000
1508	33000
1512	43000
1521	13000
1557	24000

3- الدافع المذهبي.

[1] فاروقي و آخرون ، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، مرجع سابق، ص 337. تمثل هذه الاحصائيات دليل على قوة العائدات الناتجة عن تجارة الحرير، و مدى تأثرها بالوضع السياسي بين العثمانيين و الصفويين. حيث نلاحظ تراجع هذه العائدات منذ تولي السلطان سليم الأول الحكم في سنة 917 هـ 1512 م نتيجة فرضه للحصار الاقتصادي على الدولة الصفوية كوسيلة لإضعافها سياسيا و الحدّ من التهديدات التي كانت تمثلها هذه الدولة على استقرار و أمن الأناضول.

[2] إينالجيك، مرجع سابق، ص 194. نلاحظ التراجع الكبير في العائدات الضريبية الناتجة عن تجارة الحرير في بورسة بعد سنة 917 هـ / 1512 م. ويعود ذلك إلى بداية عهد الحروب العثمانية الصفوية منذ تولي السلطان سليم الأول السلطة.

قبل ظهور الدولة الصفوية، كان الأناضول و بلاد فارس يشكلان مجالا ثقافيا واحدا، عاش فيه السُنة و الشيعة في سلام. لكن بظهور الشاه إسماعيل وتبنيه لسياسة نشر المذهب الشيعي بين القبائل التركية، أثار السُنة والسلطة السياسية العثمانية على حدٍ سواء[1].

كان الأمير سليم حاكم طرابزون في عهد والده بايزيد الثاني يراقب أنصار الشاه إسماعيل، وهم ينشرون المذهب الشيعي، إلى الحدّ الذي تغلغل فيه هذا المذهب بين الأمراء العثمانيين[2]. ولهذا نجد أنّ الحركة المذهبية التي أطلقها الشاه إسماعيل أثارت السلطة و المجتمع معا داخل الدولة العثمانية.

أضحى تغيير العثمانيين لإستراتيجيتهم السياسية والعسكرية أمر مُلِحًا فغيروا وجهة نشاطهم العسكري باتجاه الشرق[3]، وهو ما تَمّ في عهد السلطان سليم الأول. إذ أنّ تَديُن العثمانيين وغيرتهم على الإسلام كان دوما دافعا ومُحرّكا لفتوحاتهم في أوربا، فاعتبروا الوقوف في وجه التمدَد المذهبي الصفوي جهادا مقدسا في سبيل الله[4].

عُرف عن السلطان سليم الأول أنه كان غير ميّال للترف و المباهج المادية شديد التديُن، ومُتعمِقا في العلوم الدينية،[5]، كثير الاحتفاء بالعلماء، يُؤثر الجلوس إليهم، بل كان يصطحبهم معه إلى ميادين القتال[6]. إذ يُعدُ من أكثر السلاطين

---

(1) أحمد ياغي، مرجع سابق، ص 30.
(2) أحمد مصطفي، مرجع سابق، ص 48.
(3) طقوش، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة، مرجع سابق، ص 150.

(4) متولي، مرجع سابق، ص 85.
(5) أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، مرجع سابق، ص ص 225 - 237.
(6) أحمد مصطفي، مرجع سابق، ص 76.

العثمانيين التزاما بتعاليم الدين الاسلامي[1]، فقد كان سُنيا لا يمكن الشك في استقامة عقيدته و تعلُقِهِ بها[2].

لم تكن هذه المواقف تُجاه الصفويين مُقتصرة على السلطان سليم الأول فقط، بل تولّى علماء الدولة العثمانية تعبئة الناس لمواجهة الصفويين دفاعا عن السُنة و كشف خروج هؤلاء عن الدين ومُروقهم عنه. حيث أصدر شيخ الإسلام ابن كمال باشا فتوى، كفّر فيها الصفويين، مُعتبرا التشيُع مُخالفة لجماعة المسلمين

و أوْجَبَ قتالهم، واعتبرهُ غزوةً. و قد استخدم الشيخ في فتواه أدلة شرعية من القرآن و السُنة النبوية[3]. كما اعتبر المفتي الكبير الشيخ الجمالي في فتواه أنّ حرب الصفويين **" شرعية، بل واجبة ، وقتل شيعي واحد يُقرِّبُ إلى الله أكثر من قتل سبعين مسيحيا "**[4].

قبيل معركة تشالديران - بعد أن أخضع الشاه هراة لسيطرته - تبادل السلطان سليم الأول و الشاه إسماعيل رسائل احتوت على أبيات من الشعر تُظهر بوضوح الدافع المذهبي الذي أجج الصراع بين الطرفين، حيث يقول الشاه:

---

(1) Creasy , op.cit , p 131.

(2) جرامون، مرجع سابق، ص 207. ينفرد الشوكاني في ترجمته للسلطان سليم الأول بقصة غريبة تتناقض تماما مع ما رصدناه عن هذا السلطان في المصادر و المراجع التي استندنا إليها في هذا العمل. حيث يذكر أن المُنجمين بشّروا السلطان بايزيد قبل توليه الحكم بأن كرسي العرش سيؤول إليه، لكن نهاية حكمه ستكون على يد ابن له لم يولد بعد، فكلّف القابلة بأن تقتل كل مولود ذكر. ولما ولد سليم تحرجت القابلة من قتله، رأفةً به. ففضّلت إخبار أبيه أن فتاة قد ولدت له فأسماها سليمة ، وبعد مرور أيام ! جمع السلطان بايزيد بناته ومعهن سليم، و وضع لهُنّ الحلوى، فاختطف سليم مابين أيديهن من الحلوى، و أخذ يضربهن، إلى أن مرّ زُنْبُور في المجلس فاختطفه بيده وقتله، مما لفت انتباه السلطان له، حينها أدرك ان هذا الفعل لا يصدر إلا عن ذكر. فقالوا له الحقيقة، فرضخ للقضاء. يبدو أنه لا يمكن الأخذ بهذه القصّة من الأساس، إذ كيف يمكن تقديم الحلوى لمولود بعد مرور أيام من ولادته، وإذا قُدّمت هذه الحلوى للطفل بعد سنوات من مولده، فكيف غاب عن بايزيد التفريق بين علامات الذكورة و الأنوثة ؟!. أنظر: الشوكاني، مصدر سابق، ج 1، ص 306.

(3) أحمد مصطفي، مرجع سابق، ص 52.

(4) Thephille, op.cit, p 206.

" نحنُ أُناس قد غدا شأننا حُب على بن أبي طالب

يَعيبُنا الناسُ على حُبه فلعنة الله على العائِبِ"[1]

فردّ عليه السلطان سليم الأول برسالة أورد فيها هو الآخر بيتين من الشعر:

" ما عيبُكم هذا ولكنه بُغضُ الذي لُقِب بالصاحب

و كذبُكُم عنه و عن بنته[2] فلعنة الله على الكاذب"[3]

في مُقابل هذه المواقف الدينية العثمانية، استصدر الشاه إسماعيل من المؤسسة الدينية الصفوية وعلمائها الشيعة فتاوى، تحُثُ على قتال العثمانيين، وتُبيّن أنّ قتالهُم من أعظم الجهاد[4].

يتكرّر بروز الوازع الديني أيضا بوضوح لدى السلطان سليم في رسالته إلى قانصوه الغوري قبيل حملته على مصر و الشام. حيث يُذكِرُهُ بِمَا آل إليه مصير الصفويين بعد معركة تشالديران، و يُحَدِد بعض أسباب حربه ضدهم، فقد كانوا وفق قوله **" أسوأ من الكفار مآلا في الضلالة و الخَسار، لأن غيرهم من الكفرة كثيرا ما يُؤمن ويُذعِنُ لشعائر الإسلام، والباقي على كفره يقنع ببقائه على دينه ولا يطمع في إبطال الإسلام و توهينه بخلاف هؤلاء الملاحدة "[5]**.

---

[1] بن عقيل، مج 2، مرجع سابق، ص 744.

[2] يقصد هنا أبا بكر الصديق رضي الله عنه، صاحب رسول الله، و في البيت الثاني يذكر فيه ابنته السيدة عائشة رضي الله عنها، زوج الرسول صلى الله عليه وسلم.

[3] المرجع السابق، ص 744.

[4] دراج، مرجع سابق، ص 17.

[5] متولي، مرجع سابق، ص 137.

امتد هذا الشعور المذهبي و استخدامه في الصراع بين العثمانيين و الصفويين إلى عهد السلطان سليمان القانوني. فقَبل خروجه قاصدا بلاد فارس، استفتى علماء الدولة في الشاه طهماسب، فاعتبروه مُرتدا وقتاله واجب[1].

خاض السلطان سليمان حروبه ضد الصفويين بتحريض من شيخ الإسلام كمال باشا زادة، والذي كان يُشارك مع السلطان في إعداد و كتابة الرسائل التي كانت تُوجّه إلى الشاه طهماسب[2]. و بالنتيجة، فقد عَدَّ العثمانيون حربهم ضد الصفويين واجبا مقدسا يُقرّه القرآن[3]. وفي الطرف الآخر، استخدم الشاه طهماسب سلاح الدّين و المذهب لدعم الوحدة السياسية و المذهبية لبلاده في مواجهة العثمانيين سياسيا و مذهبيا، والرد على فتاوى علماء السُنة وشيوخ الإسلام العثمانيين.

إنّـهُ لا يمكـن تـبـرير وقـوف العثمانيين القوي - خاصة في عهد السلطانين سليـم الأول و سليـمان القــانوني - في وجه الطموحات الـصفويـة بدوافع سـياسية و اقتـصـادية فقـط، بل إن هذا التصدي كان من شأنه حماية العالم السُني من الخطر المذهبي الشيعي.إذ أنّ العثمانيين نظروا إلى الصفويين على أنهم لا يشـكلون تهديدا سياسيا فحسب، **" بل أيضا لأن المذهب الشيعي كان يمثل تحديا خطيرا للمذهب السُني الذي يعتنقه الأتراك"**[4].

لابُــدّ من الإشارة إلى أنّ هذا التوجُه المذهبي العثماني لا يعني أبدا أن الدولة العثمانية، سواء السُلطةً الحاكمة أو المُجتمع، كانت تتعصّب لمذهبها وتفرضه

---

(1) أحمد مصطفي، مرجع سابق، ص 64.

(2) أكرم كيدو، **شيخ الإسلام في الدولة العثمانية**، ترجمة هاشم الأيوبي، ط 1، منشورات جرّوس برس، طرابلس (لبنان)، 1992، ص 111

(3) Hammer, op.cit, t 5, p 202.

(4) الحويري، مرجع سابق، ص 199.

على غير المسلمين[1]، ناهيك على أصحاب المذاهب الإسلامية الأخرى. بل ساد التسامح الديني و التعايش السلمي بين مختلف الطوائف المذهبية و الدينية في المجتمع العثماني. **" فلقد كان التُجار و الحرفيون - مثلا - من مسلمين وغير مسلمين ينتمون إلى طبقة واحدة و مستويات واحدة ، يتمتعون بحقوق واحدة مشتركة مع التباين الجزئي في الواجبات الدينية فقط "**[2].

في الجانب الصفوي، تأسست حركة الشاه إسماعيل على أساس مذهبي صرف. إذ كان الشاه يُؤمن بأنّ أهدافه السياسية إنّما تتحقق بامتلاك حركته لقوة عسكرية وفِـيَة ومُخلصة ومُرتبطة به بروابط دينية تضمن له الطاعة و الولاء والاستماتة في الدفاع عنه و عن طموحاته[3] - حيث أنهُ حوّل بلاد فارس من سُنية إلى شيعية، ومنع اعتناق المذهب السُني. ومن شدة تطرفه المذهبي، ومُغالاته فيه أمر بقتل أمّه التي آثرت البقاء على سُنيتِها[4] - ولذلك كان أنصارهُ يعتقدون أنّهُ أقرب إلى الله، بل إن هناك من أتباعه من اعتبره هو الله[5].

لم يكتفِ الشاه إسماعيل بالتأثير على التركمان مذهبيا في الأناضول، بل تعدّاهُ إلى البلقان عن طريق إرسال دعاة مُحملين بأوراق الدعوة لنشرها[6]. وهي أفعال قادت إلى تيقّن السلطان سليم الأول من أنّ النشاط الذي تُمارسه الجماعات الشيعية المُناصرة للصفويين في الأناضول لنشر المذهب الشيعي بين

---

(1) للمزيد حول السياسة الدينية العثمانية تُجاه السكان في الأقاليم المسيحية الواقعة في شرق أوربا. أنظر:
T.W.Arnold, ***The Preaching Of Islam***, de Constable et Company, London 1913, pp 145-206.

(2) الجميل، بقايا و جذور، مرجع سابق، ص 203.

(3) أحمد مصطفي، مرجع سابق، ص 43-44؛ نوار، مرجع سابق، ص 268.

(4) أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، مرجع سابق، ص 202.

(5) نفسه، ص 202؛ أوزتونا، موسوعة تاريخ الإمبراطوية العثمانية، مرجع سابق، ص 203. و الصلابي، مرجع سابق، ص 242-243.

(6) أحمد مصطفي، مرجع سابق، ص 46.

القبائل التركية[1]، سيُؤدي لا محالة إلى تزايد أعداد الشيعة في المجتمع العثماني على حساب المذهب السُني، مما يهدد كيانه و وجوده. ومن ثمّ كان الهدف الذي سعى إليه السلطان سليم هو**"أن يُحقق في إيران ما حققه صلاح الدين الأيوبي في مصر من حيث القضاء على الحكم الشيعي"**[2].

واضِح أنّ التعصب المذهبي الصفوي وما أنتجهُ من مآسي طائفية ارتكبها الصفويون في حق أهل المذاهب الأخرى في كل المناطق التي أخضعوها لسلطتهم ساهم بقوة في تحرّك السلطان سليم ضدّه الشاه إسماعيل، و وضع حد لهذه المآسي[3].

زيادة على ذلك، خَشِيَ العثمانيون من بداية انتشار المذهب الشيعي في الإمارات التي لم تكن تابعة لهم، و الواقعة على الحدود بينهم وبين المماليك، سيما حينما بلغت قوة المماليك مرحلة من الضعف، جعلتهم يقفون عاجزين عن مواجهة هذا الخطر. فاستغل الصفويون هذا التراخي في بث دعوتهم في هذه الإمارات[4].

لم تكن الدولة الصفوية بسياستها المذهبية هي السبب الوحيد وراء الاستراتيجية العثمانية الجديدة في الشرق. فقد كان الدافع الديني حاضرا بقوة لدى العثمانيين في مواجهتهم للتهديد البرتغالي في المنطقة، خصوصا ما تعلق بالأماكن

---

(1) طقوش، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة، مرجع سابق، ص 149.

(2) أحمد مصطفي، مرجع سابق، 78.

(3) الجميل، بقايا وجذور، مرجع سابق، ص 106.

(4) متولي، مرجع سابق، ص 84.

الإسلامية المقدسة. فلقد كان النشاط البحري البرتغالي في البحار الشرقية أحد أهم الأسباب التي وجّهت أنظار العثمانيين نحو مصر[1]، بعد أن اندفع البرتغاليون صوب السواحل العربية لتحقيق أهدافهم الاقتصادية و الانتقام الصليبي للماضي[2]. فقد كانت النزعة الدينية - الكامنة تحت غطاء الكشوفات الجغرافية - **" استمرارا للحملات الصليبية و إعادة الفتح "**[3].

رغم الجهود التي بذلها العثمانيون لمواجهة التهديدات البرتغالية و حماية السواحل العربية، إلاّ أنهم فشلوا في تحقيق نتائج إيجابية وإيجاد جبهة إسلامية متينة وقوية ضد الوجود البرتغالي وتصفيته في المياه الشرقية، خصوصا في الخليج العربي. و يرجع ذلك بشكل أساسي إلى الخلاف و الصراع الذي كان جاريا بين دولتهم و الصفويين في بلاد فارس. فبدلا من قيام تكتل بين هاتين القوتين الإسلاميتين، والزعامات القبلية المحلية تحت راية واحدة، ساد الشكُ بينها ومعه زاد مستوى الخلاف و الانقسام [4].

---

[1] الجميل، تكوين العرب الحديث، مرجع سابق، ص 103.

[2] صالح اوزيران، مرجع سابق، ص 17.

[3] برنارد لويس، **اكتشاف المسلمين لأوربا**، ترجمة ماهر عبد القادر محمد، ط 1، المكتبة الأكاديمية القاهرة، 1996، ص 42.

[4] ج.ج.لوريمر، مرجع سابق، ص 84.

المبحث الثاني : آثـــار الصراع العثماني الصفوي.

لاحظنا في المباحث السابقة، جهود العثمانيين ونشاطهم الحثيث في مجال الفتوحات شرقا وغربا. وأيضا جهودهم في التصدي للقوى الأوربية خصوصا البرتغال التي كانت تتربص بالمسلمين ومُقدساتهم في شبه الجزيرة العربية، من خلال نشاطها البحري الكثيف في البحر الأحمر و الخليج العربي. غير أن السياسة الصفوية كانت عائقاً أمام العثمانيين، إذ أضحت سببا في تشتيت النشاط العثماني بين الشرق والغرب، مما قلّل من فاعليته في الكثير من القضايا التي تميزت بها هذه الفترة من التاريخ الإسلامي.

1- الفتوحات العثمانية في أوربا.

بينما كان العثمانيون مُنهمكين و منشغلين بجهادهم و فتوحاتهم الواسعة في أوربا، وتحقيق الانتصارات المتتالية، و دحر القِوى الأوربية التي كانت تتربص بالمسلمين منذ ان تجاوزت أوربا فترة العصور الوسطى. إذا بقوة فتية تستند إلى المذهب الشيعي كأساس لطموحاتها السياسية تظهر على الحدود الشرقية لدولة العثمانيين و**" تُباغتهُم من الخلف"**[1].

إنّ من أهم الأسباب التي أدّت إلى تراجع الفتوحات العثمانية، ثمّ تردي أوضاع الدولة، وتحولها من القوة إلى الضعف **" هو الحروب العثمانية الإيرانية إذ كانت هذه الحروب من الضراوة وطول الأمد ما يكفي لإنهاك العثمانيين وضعفهم، ومن ثَمّ عدم قدرتهم على الصمود في الجبهة الأوربية مما يعني انحسار المد الإسلامي عن أوروبا"**[2]. فقد كانت هذه الحروب تستنزف الجهود

---

[1] شريعتي، مرجع سابق، ص 72.

[2] محمد هريدي، مرجع اسابق، ص 70.

العثمانية على الساحة الأوربية، و تعرقل فتوحاتهم و تُضعفها.

لقد فرض الواقع الجديد الذي نتج عن ظهور الدولة الصفوية، و انتهاجها لسياسة التوسع الجغرافي و المذهبي؛ على السلاطين العثمانيين تجميد فتوحاتهم في أوروبا ليوقفوا الزحف الصفوي." **فقد اضطر الأتراك مِرارا لخوض الحرب على جبهتين... ولحُسن حظ أوربا و المسيحية معا، فقد أُبتُلي العالم الإسلامي بالشقاق و الانقسام على نفسه...و اضطر السلطان أن يتوقف عن مُتابعة الحرب في أوربا ليَرْتَدّ بجيوشه ضد ممالك الفرس"**[1]. فكانت هذه الحروب هي السبب في رفع الخطر العثماني عن الغرب[2]. " **وأفاد العالم المسيحي من هذه الفُرقة، حيث انقطع سليمان القانوني عن شـنّ هجماته على الغرب، و وجّه حملاته نحو فارس"**[3] كما ذكر أحد سفراء أوربا في القسطنطينية بأنّ الصفويين هم الذين يقفون حاجزا بين أوربا و الدّمار[4].

حدث هذا الأمر مع السلطان سليم الأول، حينما حوّل التركيز العثماني من الجبهة الأوربية نحو الجبهة الشرقية، ليواجه إسماعيل الصفوي، ومَنْع التمدُّد المذهبي الشيعي في شرق الأناضول[5]. فاضطرّ إلى منع البحرية العثمانية من

---

[1] إداور بروي، **تاريخ الحضارات العام، القرنان السادس عشر و السابع عشر**، إشراف موريس كروزيه، ترجمة يوسف أسعد داغر و فريد م.داغر، ج 4، ط 2، منشورات عويدات، بيروت- باريس 1987، ص 553.

[2] نفسه، ص 554.

[3] ديورانت، ج 5، مرجع سابق، ص 94.

[4] نفسه، ص 94.

[5] محمد هريدي، مرجع سابق، ص 48.

مُهاجمة السفن الأوربية أو غزو سواحلها، ليتفرغ لحرب الصفويين[1]. فالتصدي القَوِي الذي أبداه العثمانيون في وجه المساعي الصفوية يُفسر مدى خشيتهم على مذهب أهل السُنة و مقدساته[2]. في الوقت الذي لم تكن فيه الدولة المملوكية السُنية المتهالكة، على مستوى من القوة، يكفل لها الوقوف أمام السياسة المذهبية الصفوية.

لقد كان أهل السنة ينظرون إلى أن التشيُع الذي تبناه الصفويون، و اجتهدوا لفرضه هو أساس الانقسام الطائفي في المجتمع الإسلامي. فقد بثّ الصفويون الفتنة و الاختلاف بين المسلمين[3]، وتحالفوا **" مع القوى الصليبية ... في أوربا لضرب القوة الإسلامية الوحيدة التي كانت تتصدى لهم ولو باسم الامبراطورية العثمانية "**[4].

يكفي هنا أن نذكر - على سبيل المثال - ذلك التفكك الذي أصاب المجتمع الكُردي، وأدّى إلى انقسامه إلى سُنة و شيعة . السُنّة وقفوا الى جانب الدولة العثمانية، وشاركوا بقوة في الحاق الهزيمة بالصفويين في معركة قوج حصار - وهوما وقفنا عليه في المباحث السابقة - أما الشيعة فقد والوا الدولة الصفوية. **" وهكذا قسّم الشاه إسماعيل العالم الإسلامي السُني والتُركي إلى فريقين "**[5].

تكرّر نفس الموقف العثماني من الفتوحات الجارية في أوربا، في عهد السلطان سليمان القانوني. فقد أرغمته الاتصالات الدبلوماسية التي كانت قائمة

---

(1) هاملتون و بوين، مرجع سابق، ص 142.

(2) أحمد مصطفى، مرجع سابق، ص 78.

(3) شريعتي، مرجع سابق، ص 263.

(4) نفسه، ص 263.

(5) أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، مرجع سابق، ص 203.

بين الصفويين والدول الاوربية على تجنب الحرب مع الصفويين في بداية حكمه لانه كان يخشى من القتال على الجبهتين الشرقية و الغربية في نفس الوقت[1].

كان السلطان سليمان على وشك هزيمة النـمسا وإلـحاقها بالدولة العثمانية بعد حصار طويل. لكن وصلت إليه أنباء من الشرق، في 953 هـ / 1547 م، تُعلِمُهُ بقيام الصفويين بشن غارات على الحدود العثمانية[2]، بتشجيع و تحريض من البابوية لإجبار السلطان على فك الحصار عن النمسا. وهو الأمر الذي جعل السلطان يُكـرَهُ على التراجع عن الساحة الأوربية للتفرغ للخطر الصفوي[3].

كانت أهم حصيلة لجولات الصراع بين العثمانيين و الصفويين، إرباك نشاط العثمانيين، وإضعاف موقفهم على الجبهة الأوربية. فلم يكُن بمقدوُرهِم التحرُك عسكريا على الجبهتين الصفوية والأوربية في نفس الوقت، ومن ثمّ كانت الحملات العثمانية المُتكررة على الجبهة الصفوية؛ تعني تخفيف الضغط العسكري على أوربا.

2- الأنــدلس.

بعد أن خضعت إسبانيا بصورة فعلية عام 873 هـ / 1469 م لسلطة واحدة بزواج إيزابيلا الأولى (Isabella I)[4]، ملكة قشتالة التي كانت أقوى الممالك

---

(1) باسيام، مرجع سابق، ص 102

(2) أبو زيدون، مرجع سابق، ص 103؛ محمد هريدي ، مرجع سابق ، ص 61.

(3) سمية بنت محمد حمودة، **حركة الفتح العثماني في القرن 11 هـ / 17 م، دراسة تاريخية حضارية** رسالة ماجستيرغير منشورة، جامعة أم القرى، مكة، 2006، ص 38.

(4) إيزابيلا(854- 909 هـ / 1451- 1504 م) : ملكة قشتالة، تزوجت من فرديناند الثاني ملك أرغون عام 873 هـ / 1469 م. ونتج عن هذا الزواج السياسي توحُد إسبانيا، تُعرف بالكاثوليكية. أنظر : البعلبكي، مرجع سابق، ص 80.

الإسبانية و أوسعها مساحة في الشمال الغربي من إسبانيا، و فرديناند الثاني (Ferdinand II)[1] ملـك أراغـون - بعد حروب طويلة بين المملكتين -[2] ازدادت

مآسي الاندلسيين[3].وبدأت مرحلة التحضير للقضاء على مملكة غرناطة[4] الإمارة الإسلامية الوحيدة المتبقية في الأندلس[5]. فانطلقت حملات تصفية الوجود الإسلامي فيها. و نتج عن هذه الحملات فرض إجراءات قاسية في حـق المسلمين لتنـصيرهم والتضييق عليهم. حيث أنهم خُيّروا بين التنصير أو النفي أو القتل[6].

انتشرت أخبـار المـآسي والفضاعات التي كان يتعرض لها مُسلمو الأندلس في العالم الإسلامي[7]، بعد أن لجأ المسلمون الموركسيون[8] إلى الاستغاثة بالمَمَالِك

---

[1] فرديناند الثاني (883- 921 هـ / 1479-1516 م) : ملك أراغون. اشترك مع ايزابيلا الأولى بعد زواجهما في توحيد إسبانيا. أقاما محاكم التفتيش لتقوية الوحدة الدينية في إسبانيا، و القضاء على كل أثر إسلامي. و في عهدهما أيضا بدأت رحلة كرستوفر كولمبس نحو العالم الجديد. أنظر: شفيق غربال ووملاؤه، مج 5، مرجع سابق، ص 2383.

[2] الحويري، مرجع سابق، ص 196.

[3] أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، مرجع سابق، ص 193.

[4] غرناطة: ثانية حواضر الأندلس بعد قُرطُبة، عاصمة بني الأحمر آخر ملوك الأندلس. أنظر: محمود مصطفى، **إعجام الأعلام**، ج 2، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983، ص 229 و القرماني، مصدر سابق، ص 426؛ عبد السلام محمد، مرجع سابق، ص 240؛ محمد وجدي مج 7، مرجع سابق، ص 64.

[5] نبيل رضوان، مرجع سابق، ص 125؛ الصلابي، مرجع سابق، ص 227.

[6] عبد العزيز بن ابراهيم العُمري، **الفُتُوح الإسلامية عبر العصور**، ط3، دار إشبيليا للنشر والتوزيع الرياض، 1421 هـ (2000م)، ص 394.

[7] الفيكونت دوشاتو بريان، **آخر بني سـراج و خلاصـة تاريخ الأنـدلس**، ترجمة شكيب أرسلان د.ط، مطبعة المنيار، مصر، 1925، ص 213.

[8] الموركسيون: هم المسلمون الذين بقوا في مملكة قشتالة و غرناطة، وفُرض عليهم التنصير وفق قرار صدر في 908 هـ / 1502 م. وهي تعريب لكلمة Moriscos القشتالية، التي تعني النصارى الجُدُد. ويُستخدم هذا الوصف لتمييز هؤلاء عن الأندلسيين الذين سكنوا الاندلس منذ فتحها. أنظر: عادل سعيد بشتاوي، **الاندلسيون المواركة**، د.ط، مطابع انترناشيونال، القاهرة، 1983، ص6

الإسلامية القائمة آنذاك في المشرق. غير انهم لم يتلقَوا العَون الكافي، فقد كان العالم الإسلامي مُنقسما على نفسه[1].

أما في المغرب فلم تكن هناك قوة إسلامية تستطيع مواجهة الإسبان. بل إن القوى المحلية كانت في حالات كثيرة تتعاون مع الإسبان ضد بعضها البعض مثل الحفصين في تونس، و المرينيين في المغرب[2].

طلب سلطان غرناطة أبو عبد الله محمد[3] مساعدة المماليك و الدولة العثمانية. فأرسل قايتباي السلطان المملوكي رجل دين مسيحي من القدس إلى بابا روما والَملِكَين الإسبانيين يُذكِرُهُما بأن النصارى الذين هم تحت حمايته يتمتعون بالحرية، في حين أن أبناء دينه في المدن الإسبانية يعانون أشد أنواع الظلم و القهر، و هدّد بإتباع سياسة التنكيل والقصاص تجاه الرعايا المسيحيين في بلاده؛ إن هم لم يَكُفوا عن إيذاء المسلمين، و أنّهُ سوف يُغلق فلسطين أمام الحجاج المسيحيين. غير أن هؤلاء ردّوا على هذا التهديد، بنفي أيّ إساءة بحق المسلمين في الاندلس[4].

و إبراهيم بشمي، **مملكة هرمز..الفقاعة الذهبية**، ط1، مؤسسة الايام للصحافة و الطباعة والنشر المنامة (البحرين)، 1994، ص 78.

[1] ديورانت، مرجع سابق، ص 70

[2] أورخان محمد علي **" مأساة الأندلس ومو قف العثمانيين "**، مجلة حراء، ع 5، 2006، ص 38. و دراج، مرجع سابق، ص ص 50 - 53.

[3] أبو عبد الله محمد: (- / ت 1538 م). هو محمد بن أبي الحسن علي بن سعد النصري الأحمري. آخر ملوك غرناطة و الأندلس. بعد هزيمته و دخول الإسبان غرناطة في 2 ربيع الأول 897 هـ 2 جانفي 1492 م. غادر مع أسرته - وفق معاهدة التسليم - إلى المغرب و استقر في البداية بمليلة ثم نزل بفاس في حماية السلطان الوطّاسي. أنظر: شفيق غربال ووملاؤه، مج 1، مرجع سابق ص 65؛ نصار و آخرون ، مج 1، مرجع سابق، ص 65.

[4] الكتاني علي المنتصر، **انبعاث الإسلام في الأندلس**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005 ص 64؛ أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، مرجع سابق، ص 194؛ الصلابي، مرجع سابق ص 228. و للمزيد حول الدور المملوكي في مأساة الأندلس. راجع : دوشاتو، مرجع سابق ص 294 و ما بعدها. كان من الطبيعي أن لا يستجيب البابا والمَلِكان الكاثوليكيان في إسبانيا لهذا

أمّا بالنسبة العثمانيين، فيعود تاريخ بدايات اتصال الأندلسيين بهم، طالبين نجدتهُم إلى عهد السلطان محمد الثاني (الفاتح). ففي عام 881 هـ / 1477 م استقبل السلطان محمد الثاني وفدا من أهل غرناطة - قبل سقوطها بأربعة عشر عاما -[1]

و أطلعوه على ما تَتَعَرّض له الأندلس، وطلبوا منه المُساعدة. إلا أنّ الأوضاع السياسية التي كانت تُواجه الدولة العثمانية في أوربا[2]، حالت دون أيّ تَحرُك فعّال و مُؤثر من لدُن السلطان محمد الثاني[3].

تجدّدت استغاثة الأندلسيين بالعثمانيين في عهد السلطان بايزيد الثاني من خلال خطاب[4] أرسله الموركسيون للسلطان. وتضمّن الخطاب قصيدة تمتدح الدولة العثمانية و السلطان بايزيد الثاني، والدعاء لدولته بدوام البقاء. و نُورِدُ هنا أبياتا من هذه القصيدة توجز مأساة الأندلسيين:

" شكونا لكم مولاى ما قد أصابنا من الضُر والبلوى وعظم الزرية

غُدرنا و نُصِّرنا وبُدّل د يننا ظُلمنا و عُوملنا بكل قبيحة"[5]

و أيضا أبياتا أخرى، فيها تعلق الموركسيين بأمل إغاثة السلطان بايزيد لهم :

" ومن عندكم نرجو زوال كروبنا و ما نالنا من سوء حال و ذّلة

التهديد من قبل المماليك. إذ يبدو أن ادراكهم لطبيعة الدين الإسلامي الذي يُحرّم الإساءة لغير المسلمين وقناعتهم بأن المماليك لن يُقدموا على تنفيذ تهديداتهم، هو الذي شجعهم على مواصلة خطتهم في تصفية الوجود الإسلام في الأندلس.

[1] دراج، مرجع سابق، ص 57.

[2] للمزيد حول تفاصيل الوضع السياسي المُحيط بالدولة العثمانية في تلك الفترة. أنظر: دراج، مرجع سابق، ص 57.

[3] نفسه، ص 57.

[4] للاطلاع على تفاصيل الخطاب. أنظر: التلمساني شهاب الدين احمد بن محمد المقري، **أزهارُ الرّياض في أخبار عياض**، تحقيق مصطفى السقا و ابراهيم الابياري و عبد الحفيظ شلبي، ج 1، د.ط مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر، القاهرة، 1939، ص ص 108- 115.

[5] نفسه، ص 110.

فانتم بحمد الله خير ملوكنا و غزتكم تعلو على كل عزّة"[1]

اتفق السلطان بايزيد الثاني مع سلطان مصر قايتباي على توحيد الجهود لإغاثة الاندلسيين. وكان الإتفاق يَقضي بأن تُرسل الدولة العثمانية أسطولها البحري لغزو صقلية التي كانت حينها من ممتلكات إسبانيا. وأن تقوم الجيوش المملوكية بالسّير نحو جبل طارق والعبور إلى إسبانيا [2]. و في عام 892 هـ/ 1487م أرسل السلطان بايزيد أسطولا بحريا، بقيادة كمال رئيس إلى غرب البحر الأبيض المتوسط - وهي المرّة الأولى التي ينشُطُ فيها الأتراك ضمن هذا المجال المائي- بعد أن استشار كبار رجال الدولة[3]، و الاتفاق مع المماليك[4].

هاجمت القوة البحرية العثمانية السواحل الإسبانية[5]، و تمكّنت من استعادة مدينة مالقة (Malaga)[6]. كما شجّع السُلطان غُزاة البحر الذين التحقوا بالدولة العثمانية - وهُم من سُموا في أوربا بالقراصنة - على الجهاد و التوجه الى إسبانيا لنجدة المسلمين[7].

كان السلطان بايزيد الثاني في هذا الوقت يقف في مُفترق طرُق، إذ كان مُنشغلا بالصراع الذي كان قائما مع أخيه الأمير جم على العرش[8]. زيادة على ذلك انشغل بالاضطرابات التي كان يُثيرها الشاه إسماعيل بتحريكه لأنصاره

---

(1) نفسه، ص 115.

(2) نبيل رضوان، مرجع سابق، ص 324.

(3) آق كوندز و أوزتورك، مرجع سابق، ص 204.

(4) دوشاتو، مرجع سابق، ص 213.

(5) المرجع السابق، ص 204.

(6) مالقة : مدينة على شاطئ البحر بالأندلس، الحميري، المصدر السابق، ص 517؛ الحموي، ج 5 مصدر سابق، ص 43.

(7) أحمد مصطفى، مرجع سابق، ص 74.

(8) نفسه، ص 74.

ودعمه للثورات المسلحة في الأناضول[1]. إلى جانب التهديد الذي كان يُحيط بالدولة من طرف المماليك و المجر و البندقية[2]. كل تلك الظروف، حالت دون تقديمه دعما قويا وفاعلا للمسلمين في الأندلس[3].

في عهد السلطان سليم الأول، استنجد الجزائريون به، فكتبوا إليه يعرضون عليه رغبتهم في ضم الجزائر للدولة العثمانية، فقبِل السلطان هذا العرض على أمل أن تتحول الجزائر إلى حليف للعثمانيين، وشريك لهم في مواجهة الحملات الأوربية واسترداد الأندلس. و هو ما يوحي بإدراك السلطان سليم الأول لأهمية الجزائر في أيّ نشاط من شأنه مساعدة الأندلسيين[4].

إلى جانب ذلك، قرّر السلطان سليم الأول الانتقام للمآسي التي تعرّض لها المسلمون في الاندلس، عن طريق عمل مُماثل ضد النصارى في الدولة العثمانية لكن علماء الدين عارضوه بقوة[5]. إذا بعد ان عاد السلطان من حربه ضد الشاه إسماعيل، بدأ يتوجَسُ من التجمعات البشرية المسيحية داخل الدولة، فهي تشكل خطرا على الدولة، و قد تستغل فرصة انشغال السلطة بالعمليات الحربية في الخارج، وتقوم بحركة تمرّد، بدافع ديني و تحريض من القوى الأوربية[6].

رأى السلطان ضرورة التصدّي لهذا المشكل، بأن يُخيّر الرعايا المسيحيين بين التحوُل إلى الإسلام أو القتل. وكان السلطان متأثرا في اتخاذه لهذا القرار بالمذابح التي كان يتعرّض لها المسلمون في الأندلس، و السياسة الدينية التي مورست في حقهم.

---

(1) أ ورخان، مرجع سابق، ص 39.
(2) دراج، مرجع سابق، ص 57؛ الصلابي، مرجع سابق، ص 235.
(3) الحويري، مرجع سابق، ص 197.

(4) نبيل رضوان، مرجع سابق، ص 331.
(5) عبد العزيز العُمري، مرجع سابق، ص 394؛ أحمد تيمور، مرجع سابق، ص 278.
(6) الشناوي، مرجع سابق، ص 416.

عرض السلطان هذا الأمر على شيخ الإسلام، و طلب منه فتوى تُجيز له تطبيق قراره. فأصدر فتوى بذلك، سُرعان ما تراجع عنها عندما علم بأن السلطان إنما أراد إيذاء الرعايا المسيحيين بدافع الانتقام، أكدّ بأن الشريعة الإسلامية تسمع للمسيحيين و غيرهم من الطوائف بالبقاء على دينهم مقابل دفع الجزية[1].

أمّا في عهد السلطان سليمان القانوني، فإنّ المساندة العثمانية للموركسيين تكاد لا تُذكر[2]. غير أنّ تضييق الحصار البحري على إسبانيا في غربي البحر الأبيض المتوسط، و الضغط عليها من خلال تحالفاته الأوربية[3]، يُمكن اعتباره صورة من صور المساندة غير المباشرة[4]. ففي عام 939 هـ / 1533م، استدعى السلطان سليمان القانوني خيرالدين بربروس[5] إلى استانبول وكان السلطان حينها **" يفكّر شخصيا بالتوجه لفتح إسبانيا "**[6]. فاستعان خيرالدين بقاعدته في الجزائر لإنقاذ الموركسيين و تقديم المساعده العسكرية لهم[7].

---

[1] نفسه، ص 416.

[2] نادية محمود مصطفى، **العصر العثماني من القوة و الهيمنة إلى بداية المسألة الشرقية**، ط 1 المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، 1996، ص 43.

[3] إن أهم التحالفات التي أقامها السلطان سليمان القانوني في هذه الفترة، تلك التي تمّت مع الفرنسيين. ويبدو أن الغرض الذي كان يتوخاهُ العثمانيون من هذا التحالف هو الحصول على حليف داخل أوربا يمكنه أن يُذكي العداء ضد إسبانيا، وتكون نتيجته إضعاف موقفها في الحرب التي كانت تخوضها ضد المسلمين في الأندلس.

[4] نادية مصطفى، مرجع سابق، ص 43.

[5] خير الدّين بربروس: (887- 952هـ / 1483-1546 م). قائد بحري، تمكّن من تجنيد بحارة من الأتراك و العناصر البلقانية التي اعتنقت الإسلام، ليُخضع الملاحة في البحر الأبيض المتوسط للسيطرة الإسلامية العثمانية منذ أن أصبح قائدا للأسطول العثماني في الفترة (939-950هـ/ 1533-1544 م). أنظر: شفيق غربال و آخرون ، مج 3، مرجع سابق، ص 1463؛ مصطفى الخطيب مرجع سابق، ص 72.

[6] إيفانوف، مرجع سابق، ص 134. نقلا عن كتاب الغزوات لمُؤلف مجهول من القرن السادس عشر.

[7] نبيل رضوان، مرجع سابق، ص 333.

لقد كان للإخوة بربروس دورا هاما في تخفيف المظالم التي كان يتعرض لها الأندلسيون حيث يـقول خـيرالدين بربـروس: **" خلال ذلك قمنا بحمل عدد كبير من المسلمين في السفن وإنقاذهم من أيدي الكفار، ونقلهم إلى الجزائر و تونس"**[1]. إذ أنهـم تمكنوا من إرسال ست و ثلاثـين بـارجة إلى سـواحل إسبانيـا لنقل سبعين ألفا من الموركسيين. وقد وَرَدَ ثـناء و إشادة من أهالي غرناطة على دور خيرالدين بربروس في رسالة بعثوا بها إلى السلطان سليمان القانوني في سنة 947 هـ / 1541 م، ذكروا فيها أنه **" كان بجوارنا الوزير المُكرّم المجاهد في سبيل الله خير الدين و ناصر الدين ... فاستعنا به فـأغـاثـنـا، و كان سبب خلاص كثير من المسلمين من أيدي الكفرة المُتمردين و نقلهم إلى أرض الإسلام"**[2].

يُضاف إلى تلك المُساندة، الرعاية المُتَميزَة التي حظي بها المسلمون الفارون من الأندلس، حيث مَنحتْهم السلطة العثمانية امتيازات - زيادة على حقوق الرعايا العثمانيين – خاصة لتعويضهم عمّا خسِروه بعد تهجيرهم من الاندلس[3].

واضح أن الـدّعم القوي الذي قدمـهُ السلطان سليم الأول للإخوة بربـروس[4] للتغلـغـل في غـربي البحر الأبيض المتوسط لبسـط السيـطرة العثـمانية على سواحلــه الجنوبية، ومواجهة القوى الأوربية وفي مُقدمتها إسبانيا، كان يرمي من خلاله إلى تصفية الوجود الإسباني من هذه السواحل. وهو أمر في حـدّ ذاته يعتبر

---

(1) خيرالدين بربروس، **مذكرات خيرالدين بربروس**، ترجمة محمد دراج، ط 1، شركة الأصالة للنشر و التوزيع، الجزائر، 2010، ص 54.

(2) محمد بن حسن بن عقيل موسى، **استجابات إسلامية لصرخات أندلسية**، ط 1، دار الأندلس للنشر و التوزيع، جدّة، 1994، ص 103.

(3) محمد موسى، مرجع سابق، ص 104.

(4) للمزيد حول تفاصيل هذا الدّعم . انظر: بربروس، مصدر سابق، ص ص 64-69.

خطوة أساسية، وشرطا ضروريا لمساعدة المسلمين في الأندلس، و كذا العمل على إعادة الأندلس إلى الحظيرة الإسلامية[1].

3- الخليج العربي.

قبل أن يمتد نفوذ القوى السياسة - سواء المحلية ممثلة في الدولتين العثمانية و الصفوية، أو القوى الخارجية خاصة البرتغال - في هذه المرحلة إلى الخليج العربي، كانت مملكة هرمز[2]هي القوة السياسية الكبرى المتزعمة للخليج[3] تسيطر على مدخله وتتحكم في تجارته[4]. وتعود أصول الأسرة التي حكمت هرمز حينها إلى اليمن، ومؤسسها هو الأمير محمد درهم، في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي[5].

في عام 911 هـ / 1506 م، أرسل ملك البرتغال حملة بحرية ضخمة إلى الخليج العربي[6]. و جاصر البوكيرك هرمز وأجبرها على التفاوض، و الذي نتج عنه التزام حاكم هرمز بالولاء للبرتغاليين ودفع جزية سنوية[7].

أثناء حصار البوكيرك لهرمز، أرسل الشاه إسماعيل سُفنا لنجدة الجزيرة، لكنه تلقى هزيمة كبرى، حينها قرّر مُهادنة البرتغال و التنازل عن هرمز، والتزم

---

(1) نادية مصطفى، مرجع سابق، ص 43.

(2) هرمز: جزيرة مُقابلة لشاطئ إيران الجنوبي، في مضيق هرمز، بين الخليج العربي و خليج هرمز كانت مركزا تجاريا هاما خلال القرنين 10-11 هـ / 16-17م. إذ كانت منطقة لتجميع السلع التجارية في الخليج العربي. أنظر: شفيق غربال و آخرون ، مج 7 مرجع سابق، ص 3498؛ عفيفي، مرجع سابق، ص 512. و للمزيد حول تاريخ الجزيرة و قوتها التجارية وسلاطينها. أنظر ابن بطوطة مصدر سابق، ص 205-206.

(3) العيدروس، تاريخ الخليج العربي الحديث و المعاصر، مرجع سابق، ص 11.

(4) سلسلة الندوات التاريخية، مرجع سابق، ص 94.

(5) المرجع السابق، ص 13.

(6) نفسه، ص 20.

(7) نفسه، ص 21.

بمساعدة البرتغاليين في إتمام السيطرة على الجزيرة، وكلّ ذلك لقاء التزام البرتغال بمساعدة الشاه ضد الدولة العثمانية[1].

لقد كان الشاه إسماعيل - في علاقاته بالقِوى الأوربية، وتحالفاته الخارجية خصوصا مع البرتغال - دوما يضع مصالحه وعداوته للعثمانيين في مقدمة أولوياته. وهي سياسة أسهمت في زيادة التسلُط البرتغالي على الخليج العربي[2]. إذ لم تتعاون الدولة الصفوية مع مملكة هرمز العربية لرد التهديد البرتغالي[3] بل إن الشاه أرسل في 920 هـ / 1515 م وفدا إلى هرمز لتهنئة البوكيرك بإكمال سيطرته علي الجزيرة، ويطلب منه المساعدة للسيطرة على البحرين و الاحساء[4]. كما نص الاتفاق الناتج عن هذا التواصل على التحالف بين الطرفين ضد الدولة العثمانية[5].

بقي وسط وجنوب العراق خارج سيطرة العثمانيين، ومع بداية التهديد البرتغالي للمدن الساحلية في الخليج و امتداده إلى مدينة البصرة، وتواطؤ

---

(1) فالح حنظل، مرجع سابق، ص 191.

(2) نوار، مرجع سابق، ص 226.

(3) العيدروس، تاريخ الخليج العربي الحديث و المعاصر، مرجع سابق، ص 11.

(4) الاحساء : مدينة على الخليج العربي، وهي بلاد القرامطة. أنظر الحميري، مصدر سابق، ص 14. أمّا اليوم فهي من أكبر الواحات في المملكة العربية السعودية. تقع في الجهة الغربية منها، تُعرف بالمنطقة الشرقية وتبعد بحوالي 65 كلم من ساحل الخليج العربي. وهي مقسمة ديموغرافيا بالتساوي بين السُنة و الشيعة. أنظر: نصار و آخرون ، مج 1، مرجع سابق، ص 112؛ عبد السلام محمد مرجع سابق، ص 15؛ عفيفي، مرجع سابق، ص 32؛ محمود مصطفى، مرجع سابق، ص 203. و أيضا:

E.B, (http://www.britannica.com/EBchecked/topic/256446/Al-Hasa#ref2637) 16 mai 2013, 15h.

(5) العيدروس، ص 21؛ الصلابي، مرجع سابق، ص 247.

الصفويين و تخاذلهم في الدفاع عن المنطقة. بدأ السكان يحِنون إلى الحكم العثماني لإنقاذهم[1].

بدأ النفوذ العثماني يمتد إلى الخليج العربي بعد أن بلغت أخبار سقوط بغداد في يد العثمانيين إلى حاكم البصرة الصفوي، فَهرَعَ إلى بغداد ومَثَلَ أمام السلطان سليمان وعرض عليه الطاعة و الخضوع ، فأقرّهُ في منصبه . لكنه بعد فترة قليلة راح يتصرّف كأنه لم تكن له علاقة بالعثمانيين. فأرسل السلطان جيشا دخل البصرة في 953 هـ / 1547 م بعد هزيمة حاكمها الذي فرّ إلى نجد[2]. وبذلك يكون إلحاق العراق بكامله بالدولة العثمانية مدفوعا بالصراع الذي كان قائما بين العثمانيين والصفويين و البرتغاليين[3].

جعل العثمانيون من البصرة قاعدة بحرية عسكرية ثانية بعد السويس للانطلاق منها ضد البرتغاليين و الصفويين، ومدّ نفوذهم في الخليج العربي. فخضعت لهم القطيف و الاحساء. وتعاون معهم الزعماء المحليون في مواجهة التهديد البرتغالي و الصفوي[4].

---

(1) طقوش، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة، مرجع سابق، ص 212.

(2) الأعظمي، مرجع سابق، ص 105-106؛ أحمد ياغي، مرجع سابق، ص 59.

(3) طقوش، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة، مرجع سابق، ص 211.

(4) أحمد ياغي، مرجع سابق، ص 59؛ إيفانوف، مرجع سابق، ص 112. واضح أن الوجود البحري العثماني في الخليج العربي و المحيط الهندي، لم يكن فعّالا و حاسما - مثلما كان حال المواجهات البرية التي خاضها العثمانيون في هذه الفترة ضد مختلف القوى المُجاورة لهم في الشرق و الغرب - و يرجع هذا الأمر في جانب منه، إلى تعدُد جبهات الصراع التي شتتَت القوة العثمانية. وأيضا لأن العثمانيين لم يرثُوا من القوة الإسلامية التي قضوا عليها، سواء الإمارات السلجوقية في الأناضول، أو المماليك في مصر و الشام، أيّ تقاليد بحرية، و لم يكونوا يملكون إلا مراكز بحرية قليلة استولوا عليها من خلال توسعاتهم البرية. وهو واقع لم يكن يسمح لهم ببناء قوة بحرية في وقت مبكّر تستطيع مواجهة البرتغاليين، الذين كانوا أقوى دولة بحرية أوربية آنذاك. أنظر: هاملتون و بوين مرجع سابق، ص ص 138- 140؛ محمد موسى، مرجع سابق، ص 106.

إنّ الصراع بين العثمانيين و البرتغاليين لم يبدأ في الخليج العربي، إلا بعد أن استقرّ العثمانيون في مصر، وبدؤوا تحرُكاتهم البحرية في البحر الأحمر. إذ أرسل السلطان سليم الأول، بعد دخوله مصر قوة بحرية إلى المحيط الهندي، سعيا منه إلى مواجهة المخططات البرتغالية في البحر الاحمر و الخليج العربي[1]. و أيضا بعد أن توجهت الوفود العربية من الخليج العربي و الهند إلى استانبول لطلب الحماية من العثمانيين و مساعدتهم في مواجهة الخطر الرتغالي[2].

إلى جانب ذلك، شجّع العثمانيون السُكان في الخليج العربي على مقاومة الوجود البرتغالي في بلادهم، و ساندوهم معنويا و ماديا. فانتفض أهل القطيف على الحاميات البرتغالية وأجبروها على إخلاء القلاع التي كانت تتحصّن بها[3].

برغم نشاط العثمانيين البحري الواسع في الخليج العربي، و رغبتهم في ايجاد حضورعسكري كثيف لهم في الخليج، و رغم قلة امكانياتهم[4] بالقياس إلى الامكانيات التي رصدوها للبحرية العثمانية في البحر لأبيض المتوسط؛ إلا أنّ أبرز ما قامت به البحرية العثمانية، هو مُحاصرة جزيرة هرمز لافتكاكها من البرتغاليين لكنها فشلت في تحقيق مسْعاها. فتوجهت إلى السواحل الإيرانية، وقامت باستعراض لقوتها أمام الناس، و وبختهم على تعاونهم مع البرتغاليين. وبذلك تحوّل الخليج العربي إلى مجال للصراع العثماني مع القوتين الصفوية و البرتغالية المُتحالفتين[5].

---

(1) الشاطر بصيلي عبد الجليل، **" الصراع بين الدولة العثمانية وحكومة البرتغال في المحيط الهندي وشرق إفريقيا و البحر الأحمر"** المجلة التاريخية المصرية، مج 12، القاهرة، 1964-1965 ص ص 129-139.

(2) محمد حسن العيدروس، **السياسة العثمانية تجاه الخليج العربي**، ط 1، دار المتنبي للطباعة و النشر، أبو ظبي، د.خ.ش، ص 9.

(3) العيدروس، السياسة العثمانية في الخليج العربي، مرجع سابق، ص 10.

(4) فالح حنظل، مرجع سابق، ص 323.

(5) أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، مرجع سابق، ص 333.

لقد استطاع العثمانيون أن يقفوا في وجه الأطماع السياسية و النوايا المذهبية للدولة الصفوية، واحتوائها ضمن مجال جغرافي مُحدّد، وحماية الأقاليم التي خضعت لهم من التشيُع. وأيضا مواجهة التنافس الاستعماري على الخليج الذي بدأ منذ نهاية القرن الخامس عشر ومطلع القرن السادس عشر إثر انطلاق حركة الكشوفات الجغرافية. وكانت البرتغال أولى الدول الأوربية التي اندفعت نحو المحيط الهندي و الخليج العربي، وكان هذا الاندفاع تحـركُهُ الاحقـاد الصليبية والمصالح التجارية. فحوّلت البحـار و المحيـطات في شرق العالم إلى ساحة للصراع بين الإسلام و المسيحية. وقد ظهر واضحا أن

الصراع مع الصفويين جعل من النشاط العثماني في هذه المناطق محدودا. بيد أنه لولا هذا الجهد و النشاط لتغيّر وجه المنطقة وتغيرت ركائز هويتها الدينية و الثقافية.

إلى جانب هذه الإنجازات، هبّ العثمانيون لنجدة إخوانهم من مسلمي الأندلس، من خلال تكثيف النشاط البحري في غرب البحر المتوسط، وألحاق الجزائر بسلطتهم، في مسعى منهم لبناء قاعدة تسهل مهمتهم في مواجهة إسبانيا.

زيادة على ذلك، سعيهم إلى حماية الخليج العربي من التهديد المذهبي الصفوي، و الحملات البرتغالية. غير أنّ هذا الجهد و النشاط لم يُغيّرا على أرض الواقع شيئا، إذ ان التربُص الصفوي حال دون اللتفرُغ الكامل لهذه المِحن.

خـــاتمـــة

من خلال فصول ومضامين هذه الدراسة، تمكنا من الوصول إلى جملة من الاستنتاجات والخُلاصات التي يُمكن حصرها في النقاط التالية:

أولا: استندت العلاقات بين القوى السياسية قبل القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي - وبالتحديد إلى ما قبل ميلاد الدولتين العثمانية و الصفوية - إلى مُحرّكات ودوافع سياسية واقتصادية بالدرجة الأولى. فالرغبة في التوسع الجغرافي على حساب الآخر، كانت دافعا يضبط و يُحدّد هذه العلاقات بعيدا عن المُحرّك الديني، مع استثناء علاقة الإمارات التركية على الحدود البيزنطية، حيث كان الدافع الديني حاضرا بقوة.

ثـانيا: مّرت العلاقات العثمانية الصفوية في الفترة الزمنية محل الدراسة بثلاث أدوار، كل دور منها تميز بخصوصيات أملتها ظروف كل طرف من الطرفين المتصارعين. ففي عهد السلطان بايزيد الثاني اتسمت هذه العلاقات بالتوجس العثماني من التمدد المذهبي الشيعي في الأناضول، وأيضا بالتردّد في مواجهته بحزم.

لقد كان السلطان بايزيد الثاني يعاني من آثار الفتنة التي نشأت بينه و بين أخيه الأمير جم الذي لجأ إلى أوربا، وما ترتب على ذلك من مُساومات و مؤامرات أوربية فرضت على السلطان انتهاج سياسة سلمية على كل جبهات الخطر المتعددة. ولهذا سعى إلى انتهاج أسلوب النصح في علاقته بالشاه إسماعيل.

تغير التعامل العثماني مع التمادي الصفوي بتولي الحكم السلطان سليم الأول الحكم. حيث بلغ التوتر ذروته بين الجانبين، انتهى بهزيمة مدوية للصفويين في تشالديران. وقد كان لشخصية السلطان دورا حاسما في إضفاء طابع التوتر و الصدام على هذا الدور.

استمر العداء العثماني الصفوي في عهد السلطان سليمان في الفترة الأولى من حكمه، مع استمرار الصفويين في سياستهم في تقويض أركان الحكم العثماني في الأناضول. غير أن ظروف الجبهة الأوربية فرضت على السلطان توقيع معاهدة سلام مع الدولة الصفوية.

ثـالثا: إن جُنوح الشاه إسماعيل المُفرط إلى مذْهَبَةِ النظام السياسي في الدولة الصفوية، واجتهاده الحثيث في تشييع الناس ومَذْهَبَتِهِم في الجوار الجغرافي - حتى ولو كان عن طريق الفرض والإكراه - يُمثل أحد الدوافع الرئيسية في تمذهب الدولة العثمانية.

إذ أنه حين ربط الشاه إسماعيل طموحاته السياسية بالدّين، و بالتحديد بالمذهب و رَفَعَ راية التشُيُع ونشره بأي وسيلة في كل الأرجاء، وإرسال الدُّعاة إلى مناطق الأناضول وغيرها، فكان من الطبيعي أن تُثير هذه السياسة المذهبية الدولة العثمانية السُنية. فتحرّكت المشاعر والنَزّعات المذهبية لدى السلاطين العثمانيين، لاسيما منذ عهد السلطان سليم الأول.

رابـعا: إن السياسة المذهبية للدولة الصفوية هي التي جعلت العثمانيين ينطلقون في البحث عن الشرعية الدينية لدولتهم. ويبدو أن الحصول على هذه الشرعية هو الدافع الذي وقف وراء الحملة التي أدّت إلى الإجهاز على دولة المماليك في مصر والشام، والتي - بعد أن تمّ تجميد نشاط الدولة الصفوية ولو مُؤقتا إثر معركة تشالديران - كانت قاعدتها ومشروعيتها مبنية على وجود آخر الخلفاء العباسيين في القاهرة، والذي أُسِر في معركة مرج دابق 918 هـ / 1516 م.

خـامسا: على عكس الدولة الصفوية، لم تنشأ الدولة العثمانية على أساس ديني مذهبي؛ أي أنها لم تُدخل الدّين والمذهب في نشاطها السياسي، و لم تقع تحت وطأة التعصب الطائفي حتى بداية القرن العاشر الهجري / السادس عشر

الميلادي، وبالذات في فترة حكم السلطان سليم الأول، فقد أحدث الشاه إسماعيل مؤسس الدولة الصفوية رد فعل عثماني مماثل، برز في إفراط السلطان سليم الأول في المذهبية. إذ تطلب المشروع السياسي العثماني في عهده نزوعا مذهبيا لمواجهة التصنيف الطائفي الشيعي الصفوي .

إننا لا نقصُدُ هُنا أسْلَمَةَ و مَذْهَبَةَ المجتمع العثماني بكل مُكوناته الطائفية و المذهبية و العرقية، بل هو اللُجُوء إلى الدين و المذهب في مواجهة الأخطار التي كانت تُحدْق بالعثمانيين من دولة مُجاورة بُنيت على أساس مذهبي واستخدمته لتحقيق مآرب سياسية. فلقد ساد التسامح الديني في المجتمع العثماني بين السلطة و كل مكوناته المختلفة.

سادسا: يمثل تاريخ العلاقات العثمانية الصفوية حقلا خصبا لاختلاف الآراء و وجهات النظر حول الدافع الأول لحالة الصراع بين الطرفين. ولا شك أن تحديد دافع بعينه يبدو أمرا عسيرا جدا، بسبب التداخل والتفاعل بين مُحرّكات هذا الصراع و خلفياته.

يُبرزُ هذا التشابُك بين هذه محركات مدى الارتباط الوثيق بين العوامل التي دفعت الطرفين إلى خوض هذا الصراع. إلا أنه يبدو لي من خلال استعراض هذه العلاقات ومفاعيلها، أنّ الذي يتحمل مسؤولية الانقسام الذي شقّ الصف الإسلامي هو الشاه إسماعيل بسياسته المذهبية في بلاده و المناطق التي خضعت له. وأيضا لتحرُشِه بالعثمانيين من خلال سعيِه الحثيث وراء تحقيق مشروعه المذهبي و السياسي داخل الأقاليم الحيوية و الاستراتيجية في الأناضول.

سابعا: لم يكن المذهب سوى وسيلة لحشد الأنصار، فتنوع المجتمع الفارسي في ذلك الوقت، و الناتج عن موجات الغزو المتلاحقة من الشرق، جَعَلَ صَهْر العناصر المختلفة في كيان سياسي مُتكامل و مُوحد أمرا صعبا. ولهذا لجأ الشاه إسماعيل

إلى تجـنيد النزعة المذهبية لإذابة النزعات العـرقية المختلفة، وإعطـاء حركته طاقةً قويـةً، فحوّل التشيع من مذهب فقهي عقدي إلى مذهب سياسي صرف. ولهذا نجدهُ يُسارع - بعد دخـولة تبريز - إلى التخـطيط للسيـطرة على المـقدسات الشيعية في العراق.

لقد تَوَارت المصالح السياسية والاقتصادية و التجارية الخاصة وراء ستار المذهب، و لا حظنا في هذا السياق كيف أن أوزون حسن السُني أوى الشيخ جُنيد الشيعي ليستفيد منه في مشاريعه السياسية. والدليل الآخر على أن العامل السياسي كان له الأولوية على العامل المذهبي في الصراع الصفوي العثماني، هو التحالف الصفوي المملوكي ضد العثمانيين الذين شكلوا خطرا على الدولتين على حد سواء، رغم كون المماليك من المسلمين السنة، بل كانوا حماةً للخلافة السنية آنذاك قبل هزيمتهم على يد العثمانيين وسقوط دولتهم.

ثـامنا: فرضت السياسة الصفوية على العثمانيين تغيير استراتيجيتهم منذ تولي العرش السلطان سليم الأول، بتوجيه توسعاتهم من الغرب الى الشرق. ورغم تعدُد أسباب هذا التحوُل، إلا أنّ تأسيس الدولة الصفوية كان دافعا قويا في هذا التحوُل. فقد أصبـحت مواجهة الخطـر الصفـوي أمرا مُـلحا لِحـفظ الوجـود العثماني. كما أصبح العمق العربي - هو الآخر - ضرورة ملحّة للدولة العثمانية بما يملكه من بُعدٍ ديني و حضاري و جغرافي واقتصادي. فلم يكـن إلحاق الوطـن العربي بالـدولة العثمانية سوى مرحلة فاصلة في تاريخ الصراع بين القوتين العثمانية و الصفوية نتج عنه زوال الدولة المملوكية، التي كانت بالنسبة للعثمانيين عقبة أمام حسم المواجهة مع الصفويين.

تـاسعا: استنزفت جولات الصراع مع الصفويين طاقات الدولة العثمانية على الجبهة الأوربية. إذ لم يكن بمقدورها التحرك على الجبهتين الأوربية و الصفوية. فالنشاط العسكري العثماني ضد الصفويين كان يؤدي إلى تخفيف حدّة الضغط

على الامبراطوريات الأوربية التي كانت تتربص بالدولة العثمانية. وأيضا أضعف موقفها إزاء القضايا و الأزمات التي كان يواجهها المسلمون حينها، و في صدارتها محنة الأندلس.

كما إنّ إلحاق الشمال الإفريقي بالدولة العثمانية، و الذي تزامن مع الصراع القوي بين القوى الإسلامية في المشرق: العثمانية و المملوكية و الصفوية، خاصة بعد الدّعم القوي الذي قدّمهُ السلطان سليم الأول لغزاة البحر، لم يكن سوى مرحلة في مخطط عثماني - فيما يبدو - لتقديم يد العون للمسلمين الموركسيين، و كذلك السعي لاسترجاع الأندلس.

إننا نرى في نهاية هذا البحث، أن هناك تقاطعات و قواسم مشتركة بين السُنة و الشيعة يمكنها أن تقود إلى علاقة تفاعُل ايجابية تنتشل الأمة الإسلامية من دائرة هذا الصراع المذهبي الحاد، والذي وقفنا على مرحلة تاريخية من مراحله. فقد أنتَجَ التمزق السياسي والصراع الدّامي بين الجانبين، المُناخ المُناسب للقوى الأجنبية للتغلغل في المنطقة وتجسيد مخططاتها السياسية و الاقتصادية والدينية.

الملاحق

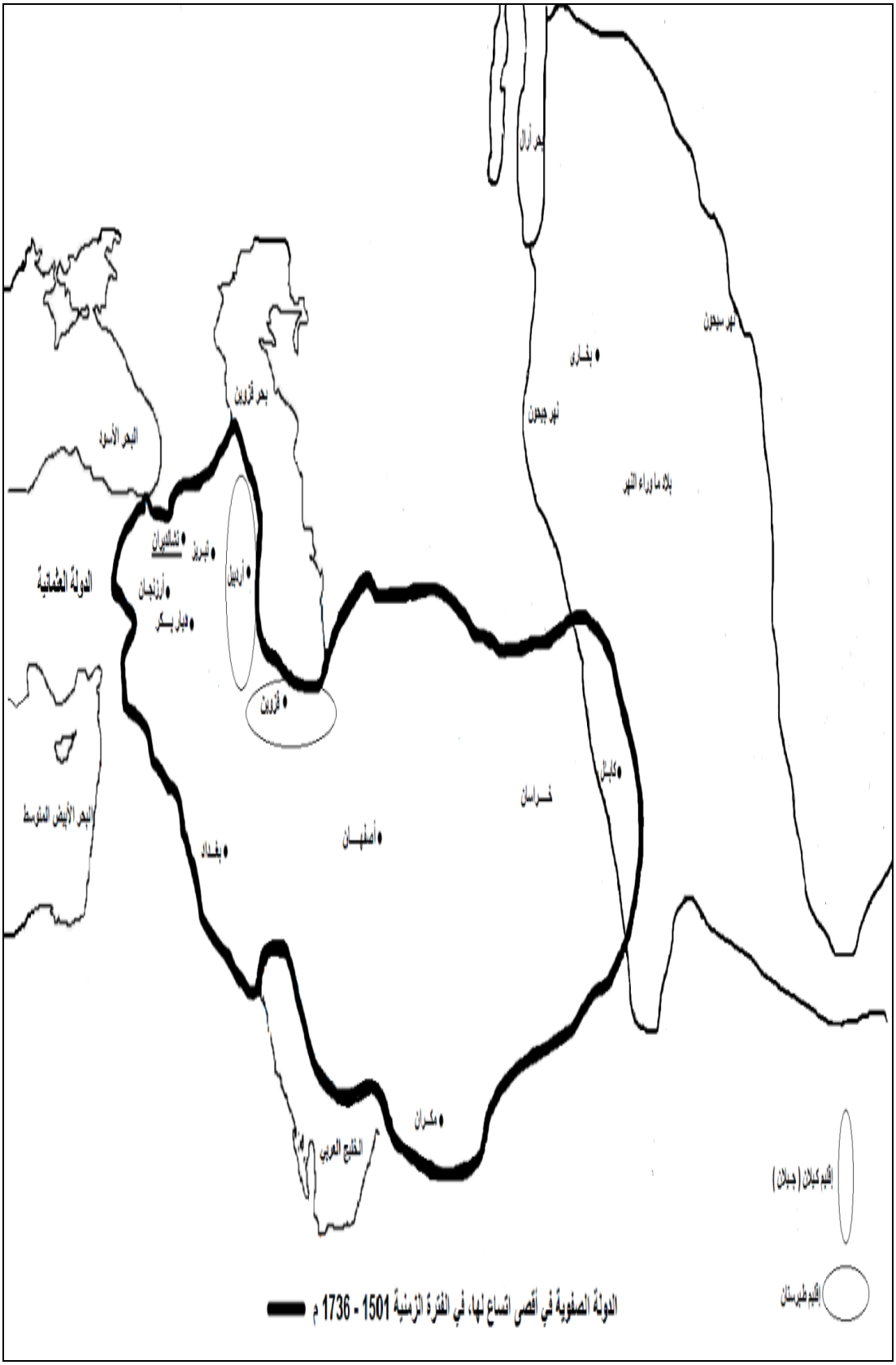
بحر آرال
نهر سيحون
بخارى
نهر جيحون
بلاد ما وراء النهر
بحر قزوين
البحر الأسود
تشالديران
تبريز
أردبيل
الدولة العثمانية
أرزنجان
ديار بكر
قزوين
كابل
خراسان
البحر الأبيض المتوسط
بغداد
أصفهان
مكران
الخليج العربي
إقليم كيلان (جيلان)
إقليم طبرستان
الدولة الصفوية في أقصى اتساع لها، في الفترة الزمنية 1501 - 1736 م

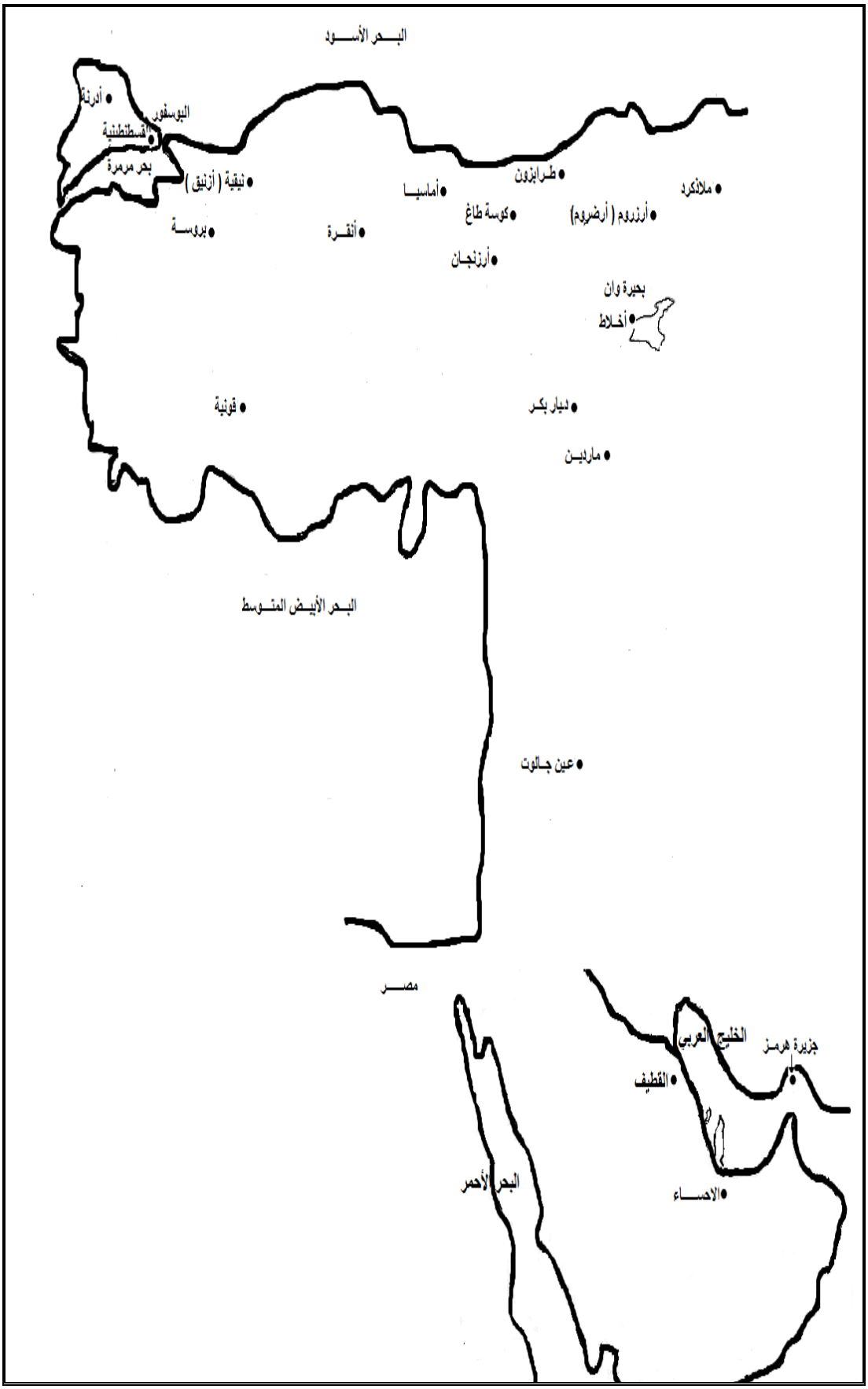
البحر الأسود
أدرنة
البوسفور
القسطنطينية
بحر مرمرة
نيقية (أزنيق)
بروسة
أنقرة
أماسيا
طرابزون
كوسة طاغ
أرزنجان
أرزروم (أرضروم)
ملاذكرد
بحيرة وان
أخلاط
قونية
ديار بكر
ماردين
البحر الأبيض المتوسط
عين جالوت
مصر
الخليج العربي
جزيرة هرمز
القطيف
البحر الأحمر
الاحساء

المُلحق رقم 3 : الجغرافية المذهبية لبلاد فارس خلال القرن 8 هـ / 14 م[1].

المدينة	وضعها المذهبي
أردبيل	معظم أهلها شافعية يحبون الشيخ صفي الدين.
أصفهان	أكثرها شافعية
أهر	الناس فيها شافعية.
اوجان	ساكنوها على المذهب الشافعي.
بيهق	شيعة اثنا عشرية.
تبريز	أكثر أهلها شافعية، وفيها أتباع لكل المذاهب والأديان.
تستر	يدين أهلها بالمذهب الحنفي.
تفرش	أهلها شيعة اثنا عشرية.
جربادقان	وهي گلبايگان الحالية، الناس فيها على المذهب الشافعي.
جرجان	أهلها شيعة أولو مروءة.
جوين	أكثرها شافعية
ديلمان	أهلها أقرب إلى الشيعة والباطنية.
الري	أهل المدينة وضواحيها اثنا عشرية، إلا قرية قوهة أحناف.
زنجان	سنة شافعية.
ساوة	أهلها شافعية، بيد أن قراها كلها شيعية اثنا عشرية.
سجاس وسهرود	أهاليهما على المذهب الحنفي.
سلماس	أهلها سنة.
شاهرود	يقال أن أهلها شافعية، ولكن لا دين لهم.
شيراز	سنة شافعية، وبينهم حنفية وشيعة.
الطالقان	يزعم أهلها أنهم سنة، لكن ميولهم باطنية.
طهران	أهلها شيعة اثني عشرية.
فراهان	أهلها شيعة اثنا عشرية، في غاية التعصب.
قزوين	أهلها معظمهم شافعية، وفيها أقلية حنفية وشيعة.
قم	الناس فيها شيعة اثنا عشرية، متعصبون جدا.
كازرون	أهلها شافعية.
كاشان	أهلها شيعة، تتبعها ثماني عشرة قرية، معظم أهاليها سنة.
مراغة	معظم الناس على المذهب الحنفي.
مشكين	يدين أهلها بالمذهب الشافعي، وبعضهم حنفية وشيعة.
نخجوان	قاطنوها يدينون بالمذهب الشافعي.
نهاوند	أهلها أكراد على المذهب الشيعي الاثني عشري.
همدان	أكثر الناس فيها مشبهة ومعتزلة.
يزد	يميل معظم الناس إلى المذهب الشافعي.

[1] رسول جعْفريان، **الشيعة في إيران (دراسة تاريخية)**، ترجمة علي هاشم الآسدي، ط 2، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد، 1979، ص ص 484-486؛ طَالِب الوَائلي، مرجع سابق، ص 303.

البيبليوغرافيا

1- قائمة المصادر

أ- العَربيـــــةُ:

1- الأندلسي أبي القاضي صاعد بن احمد بن صاعد، **طبقات الأمم**، تحقيق لويس شيخو اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1912.

2- افندي ابراهيم ، **مصباح الساري ونزهة القاري**، د.د.ن، بيروت، 1272 هـ (1856 م).

3- ابن أجا محمد بن محمود الحلبي، **العِراك بين المماليك و العثمانيين الأتراك**، تحقيق محمد أحمد دهمان، ط 1، دار الفكر للطباعة والتوزيع، دمشق، د.خ. ش.

4- ابن الأثير أبو الحسن على، **الكامل في التاريخ**، تصحيح، محمد يوسف الدقاق مج 3، ط 1 دار الكتب العلمية بيروت، 1987.

5- أبو عبد الله ابن محمّد اللاّواتي ابن بطوطة ، **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، ج 1، ط 1، المطبعة الخيرية، د.م.ن، 1322 هـ (1986 م).

6- ابن حوقل أبو القاسم النّصيْبي، **صورة الأرض**، ج 1-2، ط 2، دار صادر، بيروت 1938.

7- ابن زنبل الرمال المحلي، **تاريخ السلطان سليم خان بن بايزيد خان مع قانصوه الغوري سلطان مصر**، د.ن، د.م.ن، د.خ.ش.

8- ابن عماد شهاب الدين الحنبلي الدمشقي، **شذرات الذهب في أخبار من ذَهَب**، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط و محمود الأرناؤوط، م 7، ط 1، دارابن كثير، دمشق - بيروت 1991.

9- ابن وكيل يوسف الملّواني، **تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك و النوّاب**، تحقيق محمد الششتاوي، ط 1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 1999.

10- بن كنّان محمد بن عيسى، **حدائق الياسمين في ذكر قوانين الخلفاء و السلاطين**، تحقيق عبّاس صبّاغ، ط 1، دار النفائس للطباعة و النشرو التوزيع، بيروت، 1991.

11- البشاري شمس الدين الشامي المقدسي، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، ط 2، مطبعة بريل، ليْدن، 1906.

12- بدر الدين محمد العامري الغَزي الدمشقي، **المطالع البدرية في المنازل الرّومية**، تحقيق المهدي عيد الرواضية، ط 1، دارالسويدي للنشر والتوزيع، أبوظبي، 2004.

13- البغدادي صفي الدين عبد المؤمن، **مراصد الاطِلاع على أسماء الأمكنة و البقاع**، تحقيق محمد على البجاوي، ج 2، ط 1، دار المعرفة للطباعة و النشر، بيروت، 1954.

14- البلاذري احمد بن يحيى بن جاب، **فتوح البلدان**، تحقيق و تقديم عبد الله أنيس الطباع وعمر انيس الطباع، مؤسسة المعارف للطباعة و النشر، بيروت، 1987.

15- بن إياس محمد بن أحمد الحنفي، **بدائعُ الزهور في وقائع الدُهور**، تحقيق محمد مصطفى ج 3، ط 2، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، 1961.

16- بن ثغري جمال الدين ابي المحاسن يوسف، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة** تقديم محمد حسين شمس الدين، ج 12، ط 1، دار الكتب العالمية، بيروت، 1992.
17- بن خلكان أبو العباس شمس الدين، **وفيات الاعيان و أنباء ابناء الزمان**، تحقيق احسان حقي، مج 5، دار صادر، بيروت، د.خ.ش.
18- بن طولون الصالحي شمس الدين، **مُفاكهة الخِلان في حوادث الزمان**، تحقيق خليل المنصور، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998.
19- التلمساني شهاب الدين احمد بن محمد المقري، **أزهارُ الرّياض في أخبار عياض**، تحقيق مصطفى السقا و ابراهيم الابياري و عبد الحفيظ شلبي، ج1، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر، القاهرة، 1939.
20- الحافظ الذهبي، **العبر في خَبَر من غَبَرَ**، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ج 3، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1985.
21- الحموي شهاب الدين أبي عبد الله، **معجم البلدان**، تصحيح و ترتيب محمد أمين الخانجي ط 1، مطبعة السعادة، مصر، 1906.
22- الحِمْيَري محمد بن عبد المنعم، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق إحسان عبّاس ط 2، مكتبة لبنان، بيروت، 1984.
23- الحيدري البغدادي إبراهيم فصيح، **عنوان المجد في بيان أحوال بغداد و البصرة و نجد** ط 2، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1999.
24- السخاوي شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، **الضّوء اللّامع لأهل القرن التاسع**، ج 10 دار الجيل، بيروت، د.خ.ش.
25- السلامي ابي المعالي محمد بن رافع، **تاريخ علماء بغداد (منتخب المختار)**، تصحيح و تعليق عباس العزاوي، ط 2، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2000.
26- شهاب الدين أحمد ابن عرب شاه، **عجايب المقدور في اخبار تيمور**، كلكته (الهند) 1882.
27- الشوكاني محمد بن علي بن محمد، **البدر الطالع بمحاسن مَنْ بَعْدِ القرن السابع**، تحقيق محمد حسن حلاّق، ج 1، ط 1، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، 2006.
28- الشهرستاني أبو الفتح محمد بن عبد الكريم، **الملل و النحل**، تصحيح أحمد فهمي محمد ج 1، ط 2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992.
29- صدر الدين بن الحسن الحسيني، **اخبار الدولة السلجوقية**، تصحيح محمد إقبال، جامعة البنجاب، لاهور، 1933.
30- العصامي عبد الملك بن حسين المكي، **سمط النّجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي** تحقيق عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت 1998.
31-عبد الله الشرقاوي، **تحفة الناظرين فيمن ولى مصر من الملوك و السلاطين**، تحقيق رحاب عبد الحميد القاري، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1996.

32- عماد الدين بن حامد الاصفهاني ، **تاريخ دولة آل سلجوق**، شركة طبع الكتب العربية مصر 1900.
33- القرماني أحمد بن يوسف، **أخبار الدول و آثار الأُول في التاريخ**، دراسة و تحقيق أحمد حطيط و فهمي سعد، مج 3، ط 1، دار عالم الكتب، بيروت، 1992.
34- القزويني زكرياء بن محمد بم محمود، **آثار البلاد و أخبار العباد**، دار صادر، بيروت د.خ.ش.
35- المالكي ابراهيم بن عامر بن علي العبيدي، **قلائد العقيان في مفاخر دولة آل عثمان**، مطابع محمد أمين، مصر،1317 هـ (1899م).
36- محمود مقديش، **نُزهة الأنظار في عجائب التواريخ و الأخبار**، تحقيق علي الزواري و محمد محفوظ، مج 2، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988.
37- مجهول، **حدود العالم من الشرق إلى الغرب**، تحقيق يوسف الهادي، ط 1، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 1999.
38- منجم باشي احمد بن لطف الله، **جامع الدول**، تحقيق احمد اغيراقجة، انسان باينلرى استنبول، د.خ.ش.
39- محمد بن المعطي الاسحاقي ، **أخبار الأول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول**.، د.ن د.م.ن، د.خ.ش.
40- النهروالي قطب الدّين، **الإعلام بأعلام بيت الله الحرام**، تحقيق فرديناند وستنفلد، د.ن ليْبـزِج، 1857.

ب- المُعـــــرَّبةُ:

1- البدليسي شرف خان ، **شرفنامة**، ترجمة محمد علي عوني، ج2، ط2، دار الزمان، بيروت 2006.
2- علوي ناصر خسرو، **سفر نامة**، ترجمة يحيى الخشاب، ط 2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، 1993.
3- نيقولا باربارو، **الفتح الاسلامي للقسطنطينية (يوميات الحصار العثماني 1453)** ترجمة حاتم عبد الرحمن الطحاوي، ط 1، عين للدراسات والبحوث الانسانية و الاجتماعية ج.م.ع، 2002.

2- قائمة المراجع

أ- الرسائل الجامعية

1- الهام عبد القادر حمودي الطائي، **الدولة العثمانية في عهد السلطان بايزيد الثاني 1481-1512 ميلادية**، رسالة ماجستيرغير منشورة جامعة الموصل، 2004.

2- بونابي الطاهر، **الحركة الصوفية في المغرب الاوسط خلال القرنين السادس و السابع الهجريين / 12 و 13 الميلاديين**، رسالة ماجستير منشورة، قسم التاريخ، جامعة الجزائر الجزائر، 2000.

3- جميلة معاشي، **الإنكشارية و المجتمع بيايلك قسنطينة في نهاية العهد العثماني**، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008.

4- عبد الله سعيد محمد الغامدي، **جهاد المماليك ضد المغول و الصليبيين**، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم القرى، 1987.

5- سمية بنت محمد حمودة، **حركة الفتح العثماني في القرن 11 هـ / 17 م، دراسة تاريخية حضارية**، رسالة ماجستيرغير منشورة، جامعة أم القرى، مكة، 2006.

6- طَالِب محيبس حَسَن الوَائلي، **إيران في عهد الشاه إسماعيل الأول**، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، بغداد، 2007.

7-غسان على محمد الرمال، **صراع المسلمين مع البرتعاليين في البحر الأحمر خلال القرن 10 هـ / 16م**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك عبد العزيز، مكة المكرمة، 1981.

8- نبيل عبد الحي رضوان، **جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس و استرداده في مطلع العصر الحديث**، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة أم القرى ،مكة، 1987.

ب-المـــــقالات

1- أورخان محمد علي **" مأساة الأندلس ومو قف العثمانيين "**، مجلة حراء، ع 5، أكتوبر-ديسمبر، 2006.

2- باسيام حمزة عباس، **" إيران في عهد الشاه طهماسب الأول الصفوي 1524-1576م "** مجلة الخليج العربي، جامعة البصرة، مج 40، ع 1-2، 2012.

3- الشاطر بصيلي عبد الجليل، **" الصراع بين الدولة العثمانية وحكومة البرتغال في المحيط الهندي وشرق إفريقيا و البحر الأحمر "** المجلة التاريخية المصرية، مج 12، القاهرة 1964-1965.

4- الصفصافي أحمد القطوري **"رجـل من صُـناع التاريخ ، أورخان غازي "**، مجلة حراء ع 12، سبتمبر، 1988.

ج- العَربيـــــةُ:

1- ابراهيم بشمي، **مملكة هرمز(الفقاعة الذهبية)**، ط1، مؤسسة الايام للصحافة و الطباعة والنشر، المنامة (البحرين)، 1994.

2- إبراهيم بك حليم، **تاريخ الدولة العثمانية العلية (التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية)** ط 1، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1988.

3- أبو زهرة محمد، **تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة و العقائد وتاريخ المذاهب الفقهية** ك 1، دار الفكر العربي، القاهرة، د.خ.ش.

4- أحمد عبد الرحيم مصطفي، **في أصول التاريخ العثماني**، ط 3، دار الشروق، القاهرة 2003.

5- أحمد فؤاد متولي، **الفتح العثماني للشام و مصر**، ط 1، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة 1995.

6----------- ، **تصرفات جـــان بـــردي الغزالي و خاير بك بعد موت السلطان سليم الأول (كما تصورها وثيقتان بالفارسية و التركية)**، في كتاب دراسات في تاريخ مصر الاقتصادي و الاجتماعي في العصر العثماني، إشراف دانيال كريسيليوس و آخرون ، ط 1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 1997.

7- أحمد تيمور باشا، **التذكرة التيمورية، مُعجم الفوائد ونوادر المسائل**، تحقيق محمد شوقي أمين ط 1، دار الكتاب العربي، مصر، 1953.

8- أمين ابراهيم شميل، **الوافي في المسألة الشرقية و مُتعلقاتها**،ج 2، مطبعة الأهرام الاسكندرية، 1879.

9- إسماعيل أحمد ياغي، **العالم العربي في التاريخ الحديث** ، ط 1، مكتبة العبيكان، الرياض 1997.

10- إسماعيل عبد العزيز الخالدي، **العالم السلامي والغزو المغولي**، إشراف أحمد محمد العسّال و عبد الستار فتح الله سعيد، ط1، مكتبة الفلاح، الكويت، 1984.

11- أماني بنت جعفر بن صالح الغازي، **دور الإنكشارية في إضعاف الدولة العثمانية (الجيش الجديد)**، ط 1، دار القاهرة، القاهرة، 2007.

12- أكرم كيدو، **شيخ الإسلام في الدولة العثمانية**، ترجمة هاشم الأيوبي، ط 1، منشورات جرّوس برس، طرابلس(لبنان)، 1992.

13- بديع محمد جمعة، **الشاه عباس الكبير**، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت د.خ.ش.

14- جعفر السبحاني، **أضواء على عقائد الشيعة الإمامية**، ط 1، مؤسسة الإمام الصادق، قُم (إيران)، 1421 هـ (2000م).

15- جمال زكريا قاسم، **الخليج العربي (دراسة لتاريخ الإمارات العربية في عصر التوسع الأوربي الأول)**، دار الفكر العربي، القاهرة، د.خ.ش.

16- حسن أحمد محمود، **الإسلام في آسيا الوسطى**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر 1972.

17- حسن الضيقة، **الدولة العثمانية (الثقافة، المجتمع و السلطة)**، ط 1، دار المنتخب العربي، بيروت، 1997.

18- حسنين محمد ربيع، **دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية**، دار النهضة العربية القاهرة 1983.

19- حضرة عزتلو يوسف بك آصاف ، **تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن** تقديم محمد زينهم محمد عزب، ط 1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1995.
20- راغب السرجاني، **قصة التتار من البداية إلى عين جالوت**، ط 1، مؤسسة اقرأ، القاهرة 2006.
21- زبيدة عطا، **بلاد الترك في العصور الوسطى**، دار الفكر العربي، الكويت، د.خ. ش.
22- سعيد عبد الفتاح عاشور، **العصر المملوكي في مصر و الشام**، ط2، دار النهضة العربية القاهرة، 1976.
23- سلسلة الندوات التاريخية، حسن صالح شهاب، **الصلات التاريخية بين الخليج العربي و الدولة العثمانية**، ج 2، ط 1، مركز الدراسات و الوثائق، رأس الخيمة (الإمارات العربية المتحدة)، 2001.
24- سليمان الدخيل، **الفوز بالمُراد في تاريخ بغداد**، تقديم و تعليق محمد زينهم محمد عزب ط 1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2003.
25- شاهين مكاريوس، **تاريخ إيران**، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2003.
26- شوقي أبو خليل، **معركة تشالديران سليم الأول العثماني و إسماعيل الصفوي**، ط 1، دار الفكر، دمشق، 2005.
27- طه ندا، **فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت، 1967.
28- عادل سعيد بشتاوي، **الاندلسيون المواركة**، مطابع انترناشيونال، القاهرة، 1983.
29- عبّاس إسماعيل صبّاغ، **تاريخ العلاقات العثمانية - الإيرانية (الحرب و السلام بين العثمانيين و الصفويين)**، ط 1، دار النفائس، بيروت، 1999.
30- عبد الجليل التميمي، **دراسات في التاريخ العربي العثماني 1453-1918**، ط 1 زغوان، 1994.
31- عبد السلام عبد العزيز فهمي، **تاريخ الدولة المغولية في إيران**، دار المعارف القاهرة د.خ .ش.
32- عبد السلام محمد هارون، **مُعجم مُقَيّدات ابن خلكان**، ط 1، مكتبة الخانجي، القاهرة 1987.
33- عبد العزيز بن ابراهيم العُمري، **الفُتُوح الإسلامية عبر العصور**، ط3، دار إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، 1421 هـ (2000م).
34- عبد العزيز بن صالح المحمود الشافعي، **عودة الصفويين**، ط 1، مكتبة الإمام البخاري الإسماعيلية، 2007.
35- عبد العزيز سليمان نوار، **تاريخ الشعوب الإسلامية**، دار الفكر العربي، القاهرة د.خ. ش.
36- عبد العزيز محمد الشنّاوي، **الدولة العثمانية دولة اسلامية مُفترى عليها**، ج 1، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1980.

37- عبد الفتاح حسن أبو علية، **الدولة العثمانية والوطن العربي الكبير**، دار المريخ للنشر الرياض، د.خ.ش.
38- عصام الدّين عبد الرّءوف الفقي، **الدول المستقلة في المشرق الإسلامي**، دار الفكر العربي، القاهرة، 1999.
39- علي الكوراني العاملي، **كيف ردّ الشيعة غزو المغول**، ط 1، دار الهدى، قُم (إيران) 2006.
40- علي الوردي، **لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث**، ج 1، ط 1، انتشارات الشريف الرضى، قُم (إيران)، 1413هـ (1993م).
41- علي ظريف الاعظمي، **الدولة الفارسية في العراق**، مطبعة الفرات، بغداد، 1927.
42- علي محمد محمد الصلابي، **الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط**، دار الإيمان للطبع و النشر و التوزيع، إسكندرية، 2003.
43- علي أحمد السالوس، مع الاثنى عشرية في الأصول و الفروع (موسوعة شاملة)، ط 7 مكتبة دار القرآن القاهرة، 2003.
44- عمرعبد العزيزعمر، **تاريخ المشرق العربي 1516-1922**، ط 1، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2009.
45- فاضل مهدي بيات، **دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني**، ط 1، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2003.
46- فالح حنظل، **العرب و البرتغال في التاريخ**، ط 1، منشورات المجمع الثقافي، ابو ظبي 1997.
47- فهد بن عايش بن محمد الطيار، **فتح القسطنطينية (827هـ - 1453 م)**، ط 1، النادي الأدبي، تبوك، 2002.
48- فـؤاد عبد المعطي الصـيّاد، **المغـول في الـتاريخ**، ج 1، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، 1980.
49- كامل مصطفى الشيبي، **الصلة بين التصوف و التشيع (النزعات الصوفية في التشيع)** ج 2، ط 3 ، دار الأندلس للطباعة والنشر و التوزيع، بيروت، 1982.
50----------- ، **الطريقة الصفوية ورواسبها في العراق المعاصر**، ط 1، مكتبة النهضة بغداد، 1967.
51- الكتاني علي المنتصر، **انبعاث الإسلام في الأندلس**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 2005.
52- ماسينيون ومصطفى عبد الرازق، **دائرة المعارف الاسلامية (التصوف)**، ط 1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1984.
53- محمد السعيد جمال الدين، **دولة الإسماعيلية في إيران**، ط 1، الدار الثقافية للنشر القاهرة، 1999.

54- محمد بن حسن بن عقيل موسى، **استجابات إسلامية لصرخات أندلسية**، ط 1، دار الأندلس للنشر و التوزيع، جدّة، 1994.

55-----------، **المختار المَصُون من أعلام القرون**، مج 1، ط 1، دار الأندلس الخضراء جدّة، 1995.

56- محمد جميل بيهم ، **فلسفة التاريخ العثماني**، ك 2، د.ن، د.م.ن، 1954.

57- محمد حرب، **العثمانيون في التاريخ و الحضارة**، ط 2، دار القلم، دمشق، 1999.

58- محمد حسن العيدروس، **تاريخ الخليج العربي الحديث و المعاصر**، ط 1، عين للدراسات والبحوث الانسانية و الاجتماعية، القاهرة، 1996.

59----------- ، **دراسات في الخليج و الجزيرة العربية**، ج 5، دار الكتاب الحديث الجزائر، 2009.

60----------- ، **السياسة العثمانية تجاه الخليج العربي**، ط 1، دار المتنبي للطباعة و النشر، أبو ظبي، د.خ.ش.

61- محمد حميد السلمان، **الغزو البرتغالي للجنوب العربي و الخليج في الفترة ما بين 1507-1525 م**، مركز زايد للتراث و التاريخ، أبو ظبي، 2000.

62- محمد دراج، **الـدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس (1512-1543)** ط 1، شركة الأصالة للنشر و التوزيع، الجزائر، 2012.

63- محمد سهيل طقوش، **تاريـخ المماليك في مصر و بلاد الشام**، ط1، دار النفائس للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، 1997.

64----------- ، **تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة**، ط 2، دار النفائس، بيروت، 2008.

65----------- ، **تاريخ السلاجقة في بلاد الشام**، ط 3، دار النفائس للطباعة و النشر والتوزيع، بيروت، 2009.

66----------- ، **تاريخ تاريخ الدولة الصفوية في إيران 907-1148 هـ / 1501-1736 م**، ط 1، دار النفائس، بيروت، 2009.

67- محمد سيّار الجميل، **بقـايا و جذور التكـوين العـربي الحديث**، ط 1، الأهلية للنـشر و التوزيع، عمَّان، 1997.

68----------- ، **تكوين العرب الحديث**، ط 1، دار الشروق، عمّان، 1997.

69- محمد عبد العظيم أبو النصر، **السلاجقة تاريخهم السياسي و العسكري**، ط 1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية و الاجتماعية، القاهرة، 2001.

70- محمد عبد اللّطيف هريدي، **الحروب العثمانية الفارسية و أثرها في إنحسار المد الإسلامي عن أوربا**، ط 1، دار الصحوة للنشر و التوزيع، القاهرة، 1987.

71- محمد عبد الله عنان، **مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام**، ط 5، نشر حسين عنان، د.م.ن 1997.

72- محمد فريد بك المحامي، **تاريخ الدولة العلية العثمانية**، تحقيق إحسان حقي، ط 1، دار النفائس، 1981.
73- محمود شاكر، **التاريخ الاسلامي (العهد العثماني)**، ج 8، ط 4، المكتب الاسلامي بيروت، 2000.
74- محمود محمد الحويري، **تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى**، ط1، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2002.
75- مصطفى بركات، **الألقاب و الوظائف العثمانية 1517-1924**، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، 2000.
76- مار اسطفان الدويهي، **تاريخ الطائفة المارونية**، تحقيق رشيد الخوري الشرتوني، المطبعة الكاثوليكية للاباء اليسوعيين، بيروت، 1890.
77- المطران يوسف الدّبس، **تاريخ سورية الدنيوي و الديني (سورية في أيام السلاطين العثمانيين)**، مراجعة مارون رعد، إشراف نظير عبود، ج 7، د.ن، د. م.ن، د.خ.ش.
78- الميرالاي اسمعيل سرهنك، **تاريخ الدولة العثمانية**، تقديم ومراجعة حسن الزين، دار الفكر الحديث للطباعة والنشر، بيروت، 1988.
79- نادية محمود مصطفى، **العصر العثماني من القوة و الهيمنة إلى بداية المسألة الشرقية** ط 1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، 1996.
80- نزار قازان، **سلاطين بني عثمان، بين قتال الاخوة و فتنة الانكشارية**، ط 1، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1992.
81- وجيه كوثراني، **الفقيه و السلطان (جدلية الدين و السياسة في إيران الصفوية - القاجارية والدولة العثمانية)**، ط 2، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت، 2001.
82- وديع أبو زيدون، **تاريخ الإمبراطورية العثمانية (من التأسيس إلى السقوط)**، ط 2 الأهلية للنشر و التوزيع، عمّان (الأردن)، 2011.
83- يوسف رزق الله غنيمة، **نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق**، ط 1، مطبعة الفرات بغداد، 1924.

د- المُعرَّبـــــةُ:

1- أحمد آق كوندز و سعيد أوزتورك، **الدولة العثمانية المجهولة 303 سؤال وجواب توضح حقائق غائبة عن الدولة العثمانية**، وقف البحوث العثمانية، اسطامبول، 2008.
2- أكمل الدين احسان اوغلي، **الدولة العثمانية تاريخ و حضارة**، ترجمة صالح سعداوي، ج2 إرسيكا، استانبول، 1999.
3- إداور بروي، **تاريخ الحضارات العام، القرنان السادس عشر و السابع عشر**، إشراف موريس كروزيه، ترجمة يوسف أسعد داغر و فريد م.داغر، ج 4، ط 2، منشورات عويدات بيروت- باريس، 1987.

4---------- ، **تاريخ الحضارات العام – القرون الوسطى**، ترجمة يوسف أسعد داغر و فَرِيْدم داغر، ط 3، منشورات عويدات، بيروت، 1994.
5- برنارد لويس، **إستنبول و حضارة الخلافة الإسلامية**، ترجمة و تعليق سيّد رضوان علي ط 2، الدار السعودية للنشرو التوزيع، الرياض، 1982.
6---------- ، **اكتشاف المسلمين لأوربا**، ترجمة ماهر عبد القادر محمد، ط 1، المكتبة الأكاديمية القاهرة، 1996.
7- بيتروسيان، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية**، تقديم و مراجعة قسم الدراسات والنشر، جمعية الماجد، دبي، 2006.
8- الفيكونت دوشاتو بريان، **آخر بني سراج و خلاصة تاريخ الأندلس**، ترجمة شكيب ارسلان، مطبعة المنيار، مصر، 1925.
9- ثريا فاروقي و آخرون ، **التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العثمانية**، ترجمة قاسم عيده قاسم، مج 2، ط 1، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2007.
10---------- ، **الدولة العثمانية والعالم المُحيط بها**، ترجمة حاتم الطحاوي، ط 1، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2008.
11- ج.ج.لوريمر، **دليل الخليج (القسم التاريخي)**، ترجمة قسم الترجمة بمكتب أمير دولة قطر ج 1، طبعة جديدة، مطابع علي بن علي، الدوحة، د.خ.ش.
12- جان لوي باكي جرامون ،**((أوج الامبراطورية العثمانية : الاحداث 1512 1606))**، في تاريخ الدولة العثمانية، إشراف روبير مانتران، ترجمة بشير السباعي، ج 1، ف 5، ط 1 دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، 1993.
13- جوزيف داهموس، **سبع معارك فاصلة في العصور الوسطى**، ترجمة محمد فتحي الشاعر ط 2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1992.
14- خليل اينالجيك، **تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الإنحدار**، ترجمة محمد الأرناؤوط ط 1، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2002.
15- خليل ساحلي اوغلي، من تاريخ الأقطار العربية في العهد العثماني، مركز إرسيكا استانبول، 2000.
16- دونالد ولبر، **إيران ماضيها و حاضرها**، ترجمة عبد النعيم محمد حسنين، ط 2، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1985.
17- روي فيريرا اندرادي، **يوم سقطت هرمز**، ترجمة عيسى أمين، مؤسسة الأيام للصحافة والطبع والنشر و التوزيع، المنامة، 1996.
18- رسول جعْفريان، **الشيعة في إيران (دراسة تاريخية)**، ترجمة علي هاشم الآسدي، ط 2 مجمع البحوث الإسلامية، مشهد، 1979.
19- زَامْبَاوَر، **معجم الأنساب و الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي**، ترجمة زكي محمد حسن بك و حسين أحمد محمود، دار الرائد العربي، بيروت، 1980.

20- ستيفن هيمسلي لونكريك، **اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث**، ترجمة جعفر الخيّاط ط 4،، د.ن، د.م.ن، د.خ.ش.

21- صالح اوزيران، **الأتراك العثمانيون و البرتغاليون في الخليج العربي 1534-1581** ترجمة عبد الجبار ناجي، منشورات مركز دراسات الخليج العربي، البصرة، 1979.

22- عباس اقبال اشتياني، **تاريخ إيران بعد الإسلام**، ترجمة محمد علاء الدين منصور، دار الثقافة للنشر و التوزيع، القاهرة، 1989.

23- علي شريعتي، **التشيُع العلوي و التشيُع الصفوي**، ترجمة حيدر مجيد، تقديم إبراهيم دسوقي شتا، ط 2، دار الأمير للثقافة و العلوم، بيروت، 2007.

24- فاضل بيات، **الدولة العثمانية في المجال العربي، دراسة تاريخية في الأوضاع الإدارية في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية حصرا(مطلع العهد العثماني - أواسط القرن التاسع عشر)**، ط 1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2007.

25- كي لسترنج **بلدان الخلافة الشرقية**، ترجمة بشير فرنسيس و كوركيس عوّاد، ط 2 مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985.

26- كارل بروكلمان، **تاريخ الشعوب الإسلامية**، ترجمة نبيه أمين فارس و منير البعلبكي ط 5، دار العلم للملايين، بيروت، 1968.

27- هاملتون جيب و هارولد بوين، **المجتمع الإسلامي والغرب**، ترجمة عبد المجيد القيسي ج 1، ط 1، دار المدى للثقافة و النشر، دمشق، 1997.

28- نصر الله فلسفي، **إيران وعلاقاتها الخارجية في العصر الصفوي 905-1148 هـ/1500-1736 م**، ترجمة محمد فتحي يوسف الرّيس، دار الثقافة للطباعة و النشر القاهرة 1989.

29- نيقولاي ايفانوف، **الفتح العثماني للأقطار العربية 1516-1574**، ترجمة يوسف عطا الله ، ط 1 ، دار الفارابي، بيروت، 1988.

30- نيقولا قاتان، **((صعود العثمانيين 1451 – 1512))**، في تاريخ الدولة العثمانية إشراف روبير مانتران، ج 1، ف 2، ترجمة بشير السباعي، ط 1، دار الفكر للدراسات و النشر و التوزيع، القاهرة، 1993.

31- ول وايريْل ديورانت، **قصة الحضارة(الإصلاح الديني)**، ترجمة عبد الحميد يونس، مج6 ج 2، دار الجيل، بيروت، 1998.

32- يلماز أوزتونا، **المدخل إلى التاريخ التركي**، ترجمة أرشد الهرمزي، ط 1، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2005.

33----------- ، **تاريخ الدولة العثمانية**، ترجمة عدنان محمود، مراجعة و تنقيح محمود الأنصاري، مج 1، مؤسسة فيصل للتموين، استامبول، 1988.

34----------- ، **موسوعة تاريخ الإمبراطورية العثمانية السياسي و العسكري و الحضاري**، ترجمة عدنان محمود سلمان و محمود الانصاري، م 1، ط 1، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2010.

3- قائمة المراجع الأجنبية :

1-A.Lamartine, **Histoire De La Turquie**, v2, Librairie Du Constitutionnel Paris, 1854.

2-Daniel Panzac , **Histoire économique et sociale de l'Empire ottoman et de la Turquie (1326 ...1960)** ,Vol 8 , Collection Turcica , Peeters, 1995.

3-Edward S. Creasy, **History Of The Ottoman Turks**, f.p, Henry Holt And Company, New York, 1878.

4-j.De Hammer, **Histoire De L'empire Ottoman Depuis Son Origine Jusqu'a Nos Jours**,T4, Bellizard-Barthes-Dufour-Lowell, Paris, S.D.

5-Jean-Louis Bacqué-Grammont,**<<Notes et documents sur les Ottomans, les Safavides et la Géorgie, 1516-1521>>**, dans Cahiers du monde russe et soviétique, Vol 20, N°2, Avril-Juin, 1979.

6-Jouannin Joseph-Marie et Van Gaver Jules, **Lunivers Ou Histoire Et DescriptionDe Tous Les Peuples**,(Turquie),Firmin DiDOT Fréres, Éditeurs, Paris.

7-Herbert Adams Gibbons , **The Foundation Of The Ottoman Empire A History Of The Osmanlis Up To The Death Of Bayezid I (1300-1403)** , Cornell University Library , New York , 1916 , p 125.

8-M.De Salaberry, **Histoire De L'empire Ottoman Depuis Sa Fondation Jusqu'à La Paix D'yassy En 1792** ,T1, D.E, Bossang et Masson, Paris-Londres 1817.

10-Mehrdad Kia, **The Ottoman Empire**, F.P, Greenwood Press, London 2008.

11-Münir Atalar, **Osmanli PadiŞahlarI**, S.D.L.E.

11-Olivier roy, **The Failure Of Political Islam**, Harvard College, Usa 1994.

12-P. M. Sykes, **A History Of Persia**, v 1 - 2, Macmillan And Co London 1915.

13-Rula Abissad, **Converting Persia (Religion and power in the safavide empire)**, I.B.Tauris, London-New york, 2004.

14-Roger M. Savory,**L'Iran de 1501 à 1629**,Dans (HISTOIRE DE L'HUMANITE) , V 5, UNESCO, Paris, 2008.

15-Stanford.J.Shaw, **History of the ottoman empire and modern turkey**, v 2, f.p, Cambridge University Press, New York, 1977.

16-Tèophile L'avallee, **L'empire ottoman depuis les temps anciens jusqu'à nos jours**, Garnier frères,librairie éditeurs,paris, 1855.

17-Thomas W. **Arnold, The Caliphate**, Oxford, London, 1924.

18-T.W.Arnold, **The Preaching Of Islam**, d.e, Constable et Company London,1913.

4- الموسوعات

أ- العربية

1- أحمد شلبي، **موسوعة التاريخ الاسلامي و الحضارة الإسلامية**، ج 3، ط 8، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1980.

2- بطرس البُستاني، **دائرة المعارف**، مج 1، د.ن، بيروت، 1876.

3- بارتولد تاجيك، **دائرة المعارف الإسلامية**، ترجمة ابراهيم زكي خورشيد و آخرون ، مج 2 ع 6، د.م.ن، 1996.

4- حسين محمد نصار و آخرون ، **الموسوعة العربية**،، ط 3، المكتبة العصرية، بيروت 2009.

5- حسين مؤنس، **أطلس تاريخ الإسلام**، ط 1، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1987.

6- سهيل صابان، **المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية**، مراجعة عبد الرزاق محمد حسن بركات، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2000.

7- عبد الحكيم عفيفي، **موسوعة 1000 مدينة إسلامية**،ط 1، أوراق شرقية للطباعة والنشر و التوزيع، بيروت، 2000.

8- قتيبة الشهابي، **معجم ألقاب أرباب السلطان في الدول الإسلامية**، منشورات وزارة الثقافية، دمشق، 1995.

9- مجمع اللغة العربية، **المُعجم الكبير**، ج 4، ط 1، دار أخبار اليوم، القاهرة، 2000.

10----------- ، **المُعجم الوسيط**، ط 4، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2004.

11- محمد شفيق غربال و آخرون ، **الموسوعة العربية الميسرة**، ط 1، المكتبة العصرية بيروت، 2010.

12- محمد فريد وجدي، **دائرة معارف القرن العشرين**، مج 1، ط 3، دارالمعرفة للطباعة و النشر بيروت، 1971.

13- محمد المعلم و آخرون، **موسوعة الشروق**، مج 1، مطابع الشروق، القاهرة، 1994.

14- محمود مصطفى، **إعجام الأعلام**، ج 2، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983.

15- مسعود الخَوَند، **الموسوعة التاريخية الجغرافية**، ج4، دار روّاد النهضة للطباعة و النشر و التوزيع، لبنان، د.خ.ش.

16- مصطفى عبد الكريم الخطيب، **معجم المصطلحات و الألقاب التاريخية**، ط 1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996.

17- منير البعلبكي، **معجم أعلام المورد**، ط 1، دار العلم للملايين، بيروت، 1992.

ب- الأجنبية

1-Encyclopedia Britannica, (http://www.britannica.com).

2-Gabor Agoston et Bruse Masters, **Encyclopedia Of The Ottoman Empire**, Facts On File, New York, 2009.

الفـــهـــــارس

فهرس الأعلام

	اسم العلم	الصفحة
أ	ألب أرسلان	25-24-23-22
	آباقا خان	30
	ألجايتو خدابنده	31-30
	أورخان	41-40-39-38-31
	أرطغرل	37-36
	أبوبكر الصدّيق	53
	أوزون حسن	63-62-54
	إبراهيم بن علاء الدين	61
	إسماعيل الصفوي	78-77-76-75-74-73-71-69-65-64-63 91-89-88-87-85-84-83-82-81-80-79 102 -101-99-98-97-96-95-94-93-92 111-110-109-108-107-106-104-102 128-126-124-121-117-116-114-112 145-143-141-139-136-134-131-129 159-156-155-150-149-146
	أحمد بن بايزيد الثاني	134-90-86
	إدريس البدليسي	105-103
	ألفونسو دي البوكيرك	160-159-139-133-132-106
	إبراهيم باشا(الصدرالأعظم)	119-118
	ابن كمال (شيخ الإسلام)	142
	إيزابيلا الأولى	151
	أبو عبد الله محمد	153
ب	بيبرس	31-28
	بايزيد الأول	60-45-43
	بايزيد الثاني	84-83-82-81-80-79-78-77-75-73-71 154-141-130-128-91-90-89-87-86-85

	بابا النون	155 112
ت	تكـودار تيمورلنك تاج الدين إبراهيم الكيلاني	30 95-89-60-59-55-53-46-45-44 59-58
ج	جنكيز خان جُنيد بن إبراهيم جم بن محمد الثاني جان بردي الغزالي	19-18 63-62-61 155-91-85-73-72-71 112
ح	الحاج بكتاش حيدر بن جُنيد الحسين بن علي	39 64-63-62 65
خ	خيرالدين بربروس	158-157
د	دُقاق	21
ذ	ذو الفقار خان	118-117
س	سلجوق سليمان قوتالمش سليمان (ابن أورخان) سليمان (ابن بايزيد الثاني) سليم الأول سليمان القانوني	21 26-25-24 40 45 95-94-93-92-91-90-89-87-86-85-69 106-105-104-103-102-100-99-97-96 114 -113-112-111-110-109-102-107 132-130-129-128-126-120-116-115 144-142-141-139-138-137-136-134 161-158-156-149-146 118-117-116-115-114-113-112-111 126-125-124-123-122-121-120-119

	سيدي خليفة	160-158-157-149-144-139-135-132 113
ش	شاه قولي شارل الخامس	87-84-82-81 122-115
ص	صفي الدين اسحاق صدر الدين موسى صاري جويز	59-58-57-56-55 59 95
ط	طغرلبك طهماسب	23-22-21 120-119-117-116-115-114-112-111 144-126-125-124-123-122
ع	علاء الدين كيقباد عثمان(ابن أرطغرل) علاء الدين(ابن عثمان) علاء الدين(ابن مراد الثاني) عمر بن الخطاب عثمان بن عفان علي بن أبي طالب علاء الدين علي عباس الثالث علي باشا (الصدر الأعظم) عبيد الله الاوزبكي علاء الدولة	36-27 38-37-36 38 48 53 53 57-56 61-60-59 68 82 96 98
غ	غياث الدين كيخسرو الثاني	28-27
ف	فرديناند الثاني	151

ق	قليج أرسلان	26
	قانصوه الغوري	143-108-106-99-94-93-92
	القاص ميرزا	123
	قايتباي	154-153
ك	كركود بن بايزيد الثاني	86
	كمال زادة (شيخ الإسلام)	144
	كمال رئيس	155
م	ملكشاه	26-25
	مراد الأول	43-42-41
	ميلوك كوبلوفتش	42
	محمد الأول	47-46
	مـــوسى (ابن بايزيد الأول)	46
	مصطفى(ابن بايزيد الأول)	48-47-46
	مراد الثاني	49-48-47
	مراد بن أحمد	133-91
	محمد الثاني (الفاتح)	154-153-72-71-51-50-49-48
	المتوكل (الخليفة العباسي)	93
	محمد درهم	159
ن	نادر شاه	68-67
	نور علي خليفة	83
هـ	هولاكو	53-30-26-19
ي	يوحنا الثامن	48
	يوجينوس الرابع	48
	يزدجرد	53
	يعقوب بن أوزون حسن	63

فهرس الأماكن

	اسم المكان	الصفحة
أ	الأناضول	20-22-23-24-25-26-27-28-29-31-32 35-37-37-38-39-41-42-43-43-45-47 49-51-52-56-60-69-71-72-74-75-76 77-79-82-83-84-85-90-91-95-96-103 104-112-116-118-124-126-128-129 130-138-139-141-146-149-155
	آسيا الوسطى	20-27-36-76-135
	أخلاط	28-41
	أنقـورة (انقرة)	36-44-45-46-47-55-60-78
	أذربيجان	36-57-109-114-118-119-123
	أرزروم (أرضروم)	41-124
	أدرنة	43-47-48-86-115
	انجلترا	43
	اسكتلندا	43
	إيطاليا	43
	أماسيا	46-104-113-125
	ألبانيا	48
	استانبول	50-79-86-87-98-99-102-108-112-115 122-125-132-139-157-161
	أردبيل	56-59-60-62-63-64-75-81-109
	أصفهان	63
	إيران	67-71-95-96-101-120-123
	أرزنجان	79
	الأندلس	132-151-152-153-154-155-156-158 163
	إسبانيا	132-154-155-157-158-163

	أراغون الاحساء	151 161-160
ب	بغداد بخارى البوسفور بلاد الروم البلقان بروسة (بورسة) بلغاريا بوهيميا بيت المقدس البندقية بتليس بوزوق بلغراد البرتغال البحرين البصرة	160-122-121-120-119-117-80-21-19 20 50-25 26 51-49-48-48-47-45-42-41-37 140-136-135-47-46-45-14-39 43 43 61 155-122-78-77-73 119-118-104 113 117 162-159-148-132 160-133 161-160
ت	تركستان الشرقية تبريز تركيا تشالديران تونس	20 114-106-104-102-80-79-76-65-64-29 128-124-123-122-120-119 38 113-108-105-104-103-102-101-100 144-143-128-124-115-114 153
ج	جيحون (نهر) الجزائر	67-21-19-18 163-157-156
ح	حلب الحجاز	136-119-99-93 132-131

خ	خراسان	120-67
د	ديار بكر دمشق	122-105-55 112
ر	روما رودس رأس الرجاء الصالح	153-132-73-51-41 73 137-135-131
س	السلطانية سويسرا سيناس سوريا السويس	30 43 44 129-111 161-139-133
ش	الشام شيروان	134-122-112-107-90-71-31-29-26-24 143-137-136 123
ص	الصين صقلية	135 154
ط	طرابزون طبرستان	141-98-91-89-86-85-79-54 63
ع	العراق عين جالوت	120-118-117-108-81-71-32-29-26 161-160-137-131-129-124-121 30
غ	غرناطة	158-153-152
ف	فارس فارنا الفرات (نهر) فرنسا فيينا	57-56-53-35-32-30-29-28-23-20-19 144-135-129-104-73-71-66-65-64-58 149-147 145-49-48 67 73 122

	فلسطين	153
ق	القسطنطينية	118-104-86-78-50-48-44-41-40-24
		.149-124
	قونية	119-113-26
	قزوين (بحر)	67
	القاهرة	139-107-81
	القرم	86
	قرّة غين دده	105
	قوج حصار	150-105
	قزوين (مدينة)	123
	القطيف	162-161-133
	قشتالة	151
	القدس	153
ك	كوسة طـاغ	37-28
	كوسوفو	43-42
	كيلان	58
	كربلاء	121
م	ما وراء النهر	19
	مصــر	107-90-73-72-71-69-31-30-27-21-20
		143-138-137-136-133-122-112-111
		161-147
	ملاذكرد	32-23
	ماهان	35
	مارتيزا (نهر)	42
	المجر	155-130-116-73
	مكة	125-74
	المورة (شبه جزيرة)	77
	ماردين	105
		105

	الموصل مرج دابق مرعش المدينة مكران المغرب مالقة	112 113 125 133 153 155
ن	نيقية النمسا نيكوبوليس نيش نهاوند النجف	25 151-150-130-115-43 44 48 53 121
هـ	الهند هرمز	161-140-135-133-131 162-160-159
و	وان (بُحيرة)	119-55-23
ي	يوزغاد اليمن	112 159-131

فهرس المواضيع

الموضوع	الصفحة
مقدمـــة	**6**
مدخـل : العلاقات السياسية في الأناضول قبل القرن 10 هـ / 16 م.	
1- الـغـزو المغــولي للعـالم الإسـلامي.	**18**
2- الإمـارات السلــجوقية في الأنـاضــول.	**20**
3- الدولـة الإيلخــانية المغولية في بلاد فارس.	**29**
الفصل الأول : نشأة الدولـة العثمانية و الدولـة الصفوية و تطورهما.	
المبحث الأول : نشأة الدولـة العثمانية و تطورها.	
1- تأسيـس الـدولـة العـثمانيـة.	**35**
2- تطـور الــدولـة العـثـمانيـة.	**38**
3- معركة أنقرة وتفكك الدولـة العثمانية.	**43**
4- إعادة بناء الدولـة وصعودها.	**46**
المبحث الثاني : نشأة الدولـة الصفوية و تطورها.	
1- بلاد فارس قبل الصفويين.	**53**
2- أصـلُ الصفـويـيـــن.	**55**
3- التصوف و التشيع الصفوي.	**57**
4- تطــور الحــركة الصفـويــة.	**59**
5- تأسيس الدولـة الصفويـــة.	**63**

الفصل الثاني : تطـور العـلاقـات العثـمانيـة الصـفويـة.	
المبحث الأول:العلاقات العثمانية الصفوية في عهد السلطان بايزيد الثاني.	
1- سيـاسة السلطـان بايزيد الثـاني.	**71**
2- النـفوذ الصـفوي فـي الأناضـول.	**74**
3- ثـورة شاه قولـي و الدّعم الصفـوي.	**81**
4- حـركات الـتمرُد المـذهبـي.	**83**
5- التّغيُر السياسي في السلطة العثمانية.	**85**
المبحث الثاني : العلاقات العثمانية الصفوية في عهد السلطان سليم الأول.	
1- الشاه اسمـاعيل و أتباعه.	**88**
2- سيـاسـة السـلطان سلـيم الأول.	**89**
3- مـعركة تشالديران والسقوط الصفوي.	**101**
4- الوضـع بعد معركـة تشالديـران.	**103**
المبحث الثالث : العلاقات العثمانية الصفوية في عهد السلطان سليمان القانوني.	
1- السلطـان سليمان القانوني و الشاه طهماسب.	**111**
2- الصـراع العثمانـي الصفـوي في الـعراق.	**117**
الفصل الثالث : دوافـع الصـراع العثـمـاني الصـفـوي و آثـاره	
المبحث الأول : دوافع الصراع العثماني الصفوي.	
1- الدافـع السـياسي.	**128**
2- الدافـع الاقتصادي.	**134**
3- الدافـع المـذهـبي.	**141**

المبحث الثاني : آثـــار الصراع العثماني الصفوي.	
1- الفتوحات العثمانية في أوربا.	**148**
2- الأنــدلــس.	**151**
3- الخليـج العربي.	**158**
خاتمة	**165**
الملاحق	**171**
البيبليوغرافيا	**175**
فهرس الأعلام	**189**
فهرس الأماكن	**193**
فهرس المواضيع	**198**